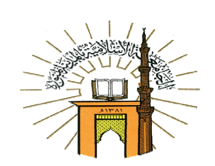


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



كلية الدعوة وأصول الدين

الجمعية العلمية السعودية

لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مَجلّة

الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ٢ – السَّنة الأولى – رجب ١٤٣٠ هـ

ردمك × ٦١٦٥٨-٥١٦

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير (ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاثة نسخ، منها نسختان قرصيان مستقليان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلة الدّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

كلمة رئيس الجمعية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم؛ وبعد :

فإن العلم الشرعي خير ما صرفت فيه الأعمار، وخير ما أنفقت فيه الأموال، فهو ذكر في الدنيا وذخر في الأخرى، العمل به نجاة وزكاة ، بذله لأهله أعظم النصيحة وأعظم الإحسان، كيف وقد أقسم الله بالقلم، وتمدح سبحانه بأنه علم الإنسان ما لم يعلم .

وإن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب وهي واحدة من منظومة الجمعيات العلمية التي تبنتها وزارة التعليم العالي، وتشرف عليها الجامعة الإسلامية بالمدينة، لتشرف بأنها تخدم بأشرف العلوم وأعلاها في الدين مقاماً ألا وهو علم العقيدة الذي لا يصح الإسلام إلا به ولا يسلم العبد من البدع والخرافات إلا بتحقيقه ولا ينجو يوم القيامة إلا من صدر عنه وورد به، وقد خطت الجمعية –ولله الحمد– خطوات جادة في تحقيق أهدافها بدعم وتشجيع من إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة، والتي تشرف على أعمالها وأنشطتها .

وإن من الخطوات العملية لتحقيق أهداف الجمعية إصدار مجلة تعنى بالتخصص، وتخدم المتخصصين والمسلمين عموماً .

وها هي مجلة الجمعية (مجلة الدراسات العقدية) تبدأ بالصدور لتكون لبنة من اللبنات المباركة في خدمة عقيدة السلف ونشرها وهي من

حسنات هذه الحكومة الرشيدة من قبل حكومة خادم الحرمين الشريفين ، ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر رئيس هيئة التحرير وأعضاء هيئة تحرير المجلة لما قاموا به من جهود كان لها الأثر الأكبر في صدور هذه المجلة بهذه الحلة، فنسأل الله أن يجزل للجميع الثواب ويبارك في جهودهم، وأن ينفع بهذه المجلة بما حوته من علم ونصح المسلمين في كل مكان، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

رئيس الجمعية

أ.د. سعود بن عبدالعزيز الخلف

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم رسله، وخيرته من خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

هذا هو العدد الثاني من : (مجلة الدراسات العقدية) المجلة التي ظل المختصون في العقيدة ، وطلاب العلم بعامة يتطلعون إلى صدورها.

وهو باكورة عمل (الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب) في مجال الدراسات العقدية، وخدمة البحث العلمي، وثمرة جهود مباركة، بذلت من قبل لجان ومجالس، وهيئة تحرير على مر السنوات الماضية من عمر الجمعية الفتية، المديد بإذن الله عز وجل، تظافرت على الإعداد لإرساء قواعد انطلاقة مدروسة، تمضي المجلة على ضوئها بخطى واثقة قدما في القيام بما هو مؤمل منها في خدمة التخصص، والمختصين في العقيدة، والأديان ، والفرق ، والمذاهب، وتحقق هدفاً بل أهدافاً مهمة من أهداف إنشاء الجمعية .

والمجلة إذ تعلن بصدور عددها الأول والثاني عن بدء انطلاقتها الميمونة بعون الله ، وتوفيقه ، لترجو من كافة المختصين، ومن أعضاء الجمعية على وجه الخصوص، أن يمدوها بعناصر بقائها واستمراريتها، في أداء رسالتها، والقيام بدورها في خدمتهم.

تأمل منهم أن يتواصلوا معها من خلال بحوثهم القيمة، ودراساتهم الجادة، وتقديم النصح ، والمشورة، للارتقاء بأداء مجلتهم إلى المستوى المنشود.

وإنني بهذه المناسبة أتقدم بالشكر والعرفان لله عز وجل أولا وآخرا على توفيقه وعونه، ثم لمعالى مدير الجامعة الإسلامية،على رعايته الكريمة للجمعية، وللمجلة على وجه الخصوص، ثم الشكر موصول لمجلس إدارة الجمعية على جهوده المباركة ، وتوجيهاته السديدة ، التي كان لها أبلغ الأثر في انطلاقة المجلة.

ولا يفوتني أن أتقدم بشكر خاص لزملائي أعضاء هيئة تحرير المجلة على جهودهم المخلصة، والمضنية التي بذلوها، ويبذلونها في سبيل إصدار المجلة، وإخراج هذا العدد، والأعداد التالية له ، سائلا الله جل وعلا أن يجعل ما قدموا في موازين حسناتهم.

والشكر موصول لكل من تواصل مع المجلة ، بنصح أو توجيه، أو رأي سديد ، أو تحكيم رشيد.

أسأل الله أن يبارك في الجهود، وأن يتقبلها بقبول حسن، وأن يثيب الجميع على ما قدموا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس هيئة تحرير المجلة

د. محمود بن عبد الرحمن قدح

اللَّطَائفُ النَّدِيّة

في بَيَان تَوْحيْد الرُّبُوبيَّة

إعداد:

الدكتور أحمد بن عبدالله الغنيمان

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

المقدمــة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونـستغفره ونـستهديه ، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومـن يـضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

ثم أما بعد فإن توحيد الربوبية مما جاء الإسلام بتقريره وتأكيده ، واعتبار الإيمان به أصلا من أصول الدين وقواعده التي لا يمكن أن يقوم الـدين إلا بها ولا يقبل من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا بعد الإيمان به واعتقاده ، إذ هو من أوجب الواجبات وأهم المهمات ، عليه مدار رحى التوحيد لمـا يتـضمنه مـن الإقرار بوحدانية الله وفي ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، لكـن لمـا كـان الخلق مقرين به لم يكثر الكلام عليه الدعوة إلى الإيمان به ، وإنما إلى محصلاته وثمراته لوازمه، ومن هنا تكمـن أهميـة دراسـته وبيـان مكانتـه . ولمـا كـان الاعتناء بهذا الجانب من أهل العلم قليلا ـ لكونه واضحاً وبينـا ـ رأيـت أن أسهم في بيان ذلك مقتصرا على الأمور الـشرعية الثابتـة وفـق أصـول أهـل السنة والجماعة وقواعـدهم في الاسـتدلال والاسـتنباط ، معرضـاً عـن آراء المتكلمين والفلاسفة وغيرهم الذين جعلوا غاية هذا التوحيد إثبات وجوده

جل وعلا ، غافلين أو متغافلا عما قرره سبحانه وتعالى في كتابه وما قرره رسوله ﷺ في سنة من لوازمه وثمراته .

وما هذا البحث إلا جهد المقل عله يكون لبنة لدارسة أوسع وأشمل لهذا النوع من أنواع التوحيد .

هذا وقد قسمته إلى مقدمة وسبعة فصول .

أما المقدمة فهذه وأما خطة البحث فتتضمن ما يلي :

الفصل الأول : التوحيد وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة

المبحث الثاني : تعريف التوحيد في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

المبحث الخامس : الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية .

الفصل الثاني توحيد الربوبية تعريفه وأسماؤه وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريفه في اللغة .

الفصل السابع : من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المدينة النبوية

٦ـ٦ـ١٤٢٩ هـ

أحمد بن عبد الله الغنيمان

Hks١٩٩@gmail.com

الفصل الأول : التوحيد .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة

المبحث الثاني : تعريف التوحيد في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

المبحث الأول:

تعريف التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة مأخوذ من الوحدة والانفراد [1] (الواو والحاء والدال: أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد. من ذلك : الوحدة ، وهو واحدُ قبيلته : إذا لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر:

يا واحدَ العُرْبِ الذي   ما في الأنام له نظير

ولقيتُ القومَ مَوْحَدَ مَوْحَد ، ولقيتُ الرجلَ وحدَه .)[2] .

(يقال: وحَّدهُ وأحَّدَهُ، كما يقال ثنَّاهُ وثلَّثهُ. ورجلٌ وَحَدٌ ووَحِدٌ، أي منفردٌ. وتوَّحَدَ برأيه، تفَرَّدَ به [3] وفلان واحِدُ دهرِهِ، أي لا نظير له..)[4]

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ (التوحيد مصدر من وحَّد يُوَحِّد توحيداً ، إذا أفرده و جعله واحداً.)[5]

---

١ - انظر كتاب العين مادة وحده ٣/ ٢٨١ والصحاح مادة (وحده) واللسان مادة وحده ٣/ ٤٦ .

٢ - معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠-٩١ .

٣-انظر اللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦ .

٤ - الصحاح مادة وحد ٥٤٧ـ٥٤٨ .

٥ - لسان العرب مادة (وحد) ٣ / ٤٤٨.

إذا فالتوحيد هو جعل الشيء واحداً كأنه شي متفرق ثم اجتمع ولذلك قيل: هذه القبيلة كلمتها واحدة، وقولها واحد، كأن آراءهم متعددة ولكنها اجتمعت إلى رأي واحد .

وهذا الذي تقدم هو مفهوم التوحيد في الاصطلاح كما سيأتي بيانه.

المبحث الثاني :

تعريف التوحيد في الاصطلاح .

عند إطلاق كلمة التوحيد فإنه يراد بها معنيان:

الأول : الفن (العلم) المدون بهذا الاسم .

وقد اختلفت عبارات القوم في تعريفه فمنهم من يتوسع في ذلك فيجعله شاملاً لجميع مباحث العقيدة ، ومنهم من يقصر ذلك على ما يتعلق بذات الله وصفاته وحقه على عبادة .[1]

الثاني : تطلق على المصدر من وحد يوحد توحيداً وهو إفراد الله تعالى بأفعاله ، وإفراد أفعال العباد له وحده دون من سواه .

ولذا فقد تنوعت تعريفات أهل العلم للتوحيد على أقوال منها :

١ـ هو إفراد الله بالعبادة .[2]

٢ـ إفراد الله بأفعال العباد .[3]

---

١ – انظر دعوة التوحيد خليل هراس ٨ ـ٩.

٢ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢ وانظر كشف الشبهات ١/ ٧ تيسير العزيز الحميد ٤٧٢

٣ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢

٣ـ إفراد الله بما يختص به .[1]

٤ـ إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته. [2]

وعند النظر في هذه التعاريف نرى أن التعريف الأول والثاني اقتصرا على نوع واحد من أنواع التوحيد وهو توحيد الإلهية ، ومما يسوغ به ذلك أن توحيد الألوهية هو أهم أقسام التوحيد كلها فهو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الخلق وخلقت الجنة والنار ، ولأن الانحراف فيه وقع فيه كثير من الناس، بالإضافة إلى أن من اقر بهذا التوحيد فقد أقر بسائر أقسامه ضمناً كما سيأتي .

وأما التعريف الثالث والرابع فهما الأولى لأنهما جمعا أنواع التوحيد كلها إلا أن الثالث مختصر والرابع مفصل ولذا فهما أشمل من سابقيهما.

المراد بكلمة "التوحيد" في النصوص الشرعية عند الإطلاق

اختلفت طوائف المسلمين في المعنى المراد بها على أقوال متباينة سيأتي ذكرها .

١ - فتاوى مهمة لعموم الأمة ١/ ٤

٢ - تيسير العزيز الحميد ٣٢

والذي يعنينا هنا هو معرفة المراد بها عند الإطلاق كما دلت عليه النصوص الشرعية .

من خلال تتبع نصوص الكتاب والسنة يتبين أن المراد بها على وجه الخصوص توحيد العبادة فإن جل نصوص القرآن والسنة المتحدثة عن التوحيد تصب في بيان توحيد الله في عبادته ولعلي أذكر شيئا من ذلك:

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] أي أعبدوا الله وحده .

وقال سبحانه على لسان قوم نوح: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف]

وذكر عن أقوام الرسل أنهم قالوا بعدما رأوا العذاب : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [غافر]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء] والمقصود أعبدوني وحدي .

وكان الأنبياء أول ما يدعون أقوامهم إليه أن يقولوا : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾

وقال ﷺ : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.**))[1]

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمتة ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**)) [2]

وقد افتتح البخاري رحمه الله تعالى كتاب التوحيد من صحيحه بحديث ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : ((**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى ... الحديث**))[3]

وفي رواية : ((**وليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ..**))[4]

وفي رواية : ((**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**))[5]

وبوب البخاري – رحمه الله – لذلك فقال : ((**باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.**))[1]

١ – البخاري (ح ٢٥) ومسلم (ح ٢١).
٢ – البخاري (ح ٣٢٥٢) .
٣ – البخاري (ح ٢٦٨٥) .
٤– البخاري (ح ١٣٨٩) . ومسلم (ح ١٩)
٥– البخاري (ح ١٣٣١) . ومسلم (ح ١٩)

وروى مسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**بني الإسلام على خمسة : على أن يوحدوا الله...**))[٢]

وفي رواية : ((**على أن يعبدوا الله ويكفروا بما دونه**))[٣]

وفي رواية : ((**على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.**))[٤]

ومن هذه النصوص يتبين لنا مدلول لفظ التوحيد عند الإطلاق وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد على وجه الخصوص كما تدل على إفراد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته تضمنا.

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت من أجله الكتب وشرعت الشرائع وهو معنى الكفر بالطاغوت الذي أمر الله عبادة أن يكفروا به .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ومما يدل على صحة هذا أيضاً وأن السلف كانوا يفهمون ذلك ، ما رواه مسلم عن جابر – رضي الله عنه – أنه قال في وصف فعل النبي صلى الله

---

١ – صحيح البخاري ٤/ ٣٨٧ والفتح ٦/ ٢٦٨٣ .
٢ – مسلم (ح ١٦) .
٣ ـ مسلم (ح ١٦) .
٤ ـ مسلم (ح ١٦) .

عليه وسلم في حجة الوداع : ((**فأهل النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك .**))[١]

هذا هو معنى لفظ التوحيد وهو الذي تدور حوله كتب السلف ومن سار على نهجهم ، ولا عبرة بما عدا ذلك من إطلاقات المبتدعة من الفلاسفة [٢] المتكلمين والجهمية المعطلين والأشاعرة المؤولين والصوفية المستغرقين في الضلالات ممن اصطلحوا على وضعه للتعطيل المحض ، ثم دعوا إليه الناس باسم التوحيد ، فخدعوا به من لم يعرف معناه في اصطلاحهم وظن أن ذلك هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل .

وهؤلاء انقسموا في مفهوم التوحيد إلى أربعة أقسام :

الأول : توحيد الفلاسفة : ويدور مفهوم التوحيد عندهم حول إثبات وجود الخالق ، وإنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده ، وإنكار صفات كماله ، فقالوا لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين إذ ليس معنيان متميز أحدهما عن الآخر البتة ، لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، وجسماً مؤلفاً ، ليس واحداً من كل وجه .

---

١ - مسلم ٢/ ٨٨٧ . (ح ١٢١٨)

٢ - الفيلسوف أصلها يوناني معربه وهي مكونه من كلمتين فيلو بمعنى محب وسوف بمعنى الحكمة فهي تعني محب الحكمة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٥٧ .

وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده فلما اصطلحوا على هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[البقرة ١٦٣] ، وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[المائدة ٧٣] نزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي الفاسد، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد وكسوه ثوبه وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب ونعوت كماله بأقبح الأسماء وهو التركيب والتأليف.

الثاني : توحيد الجهمية : هو مشتق من توحيد الفلاسفة يقوم على نفي صفات الرب وأسمائه ويزعمون أنها بمعنى واحد .

الثالث : توحيد القدرية الجبرية :وهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلا أو واقعة بكسبهم أو إرادتهم بل زعم غلاتهم أنها نفس فعل الله فهو الفاعل لها دونهم .

الرابع : توحيد القائلين بوحدة الوجود من غلاة المتصوفة حيث زعموا بأن التوحيد هو شهود الحقيقة، وأن الموحد هو الذي يرى الله عين كل شيء، فالوجود عندهم شيء واحد ليس لا فرق بين وجوده ووجود غيره

فالخالق هو عين المخلوق ، والمخلوق هو عين الخالق ، بل إن منهم من زعم أن الله تعالى وتنزه حال في كل شيء.[١]

فهذه الأربعة الأنواع جاء الرسل بإبطالها ودل على بطلانها العقل والنقل.

١ - الصواعق المرسلة ٩٢٩ بتصرف يسير وانظر الفتاوى ٦/ ٦٨ .

المبحث الثالث :

أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

إن الإيمان بالله جل وعلا لا يتم إلا بالإيمان بربوبيته وألوهيته، وما يجب له من أسماء وصفات تليق بجلاله جل وعلا مما أخبر به سبحانه في كتابه أو أثبه له رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذه الأقسام هي التي جاء ذكرها في كتاب الله ودعا إلى تحقيقها رسل الله ،هي التي يتعارف أهل العلم على تقسيمها إلى قسمين :

- توحيد المعرفة الإثبات
- توحيد القصد والطلب.

فالأول : دل على إثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى ، وإثبات خصائص ربوبيته من الخلق والملك والتدبير وهو ما يعرف بتوحيد الربوبية كما دل على إثبات أسمائه وصفاته وأفعاله وتكلمه بكتبه وتكليمه من شاء من عباده، وهو ما يعرف بتوحيد الأسماء والصفات . كما دل على إثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى] تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ الآيات ... الحديد وغيرها من الآيات.

كما يتضمن توحيد الربوبية وهو معرفة وحدانية الله في الخلق والرزق والملك والتدبير ... [1] واثبات ذلك له وحده لا شريك له ، واعتقاد تفرده بذلك كله وحده دون من سواه .

والقرآن مليء بآيات تدل على هذين النوعين. [2]

الثاني : توحيد القصد والطلب ، وهو عبادة الله وحده لا شريك ومحبته والخوف منه والإخلاص له وتجريد المتابعة لرسوله ويسمى توحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما التوحيد في العبادة والإرادة والعمل فكما في سورة الكافرون .. فتضمن إخلاص الدين له كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة] وقال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ

---

١ - وسيأتي بيانه قريبا بإذن الله .

٢ - انظر شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ٢/ ٢٦٠ المسماه توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة] فتضمن براءة من لشرك وأهله.[١]

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن القرآن كله ـ بالجملة ـ مقرر لهذين النوعين فهو إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو توحيد الإثبات والمعرفة ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، والكفر بكل ما يعبد من دونه وهو توحيد الإرادة والقصد ، وإما أمر ونهي وإلزام بهما وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد ، أو خبر عن النكال بأهل الشرك ، فالأول جزاء من تمسك بالتوحيد ، والأخر جزاء من حاد عنه.[٢]

وهذا التقسيم للتوحيد تقسيم استقرائي درج عليه أهل العلم قديما وحديثا ليسهل فهمه والعمل به ، كما درج أهل العلم على تقسيم الدين إلى أصول وفروع والفقه إلى عبادات ومعاملات ونحوها وكما درج أهل اللغة على تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف مع أن العرب لم تقل ذلك ، وهذا من باب الاصطلاح ليقرب الفهم ويسهل الإدراك، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ " دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ التوحيد ينقسم

١ – درء التعارض ١/ ١٢٩ .

٢ – مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠ وانظر شرح الطحاوية ٨٨ ، و تيسير العزيز الحميد ٣٣، ومعارج القبول ١/ ٥٤.

إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيده في ربوبيَّته ، و هذا النوع جُبِلَت عليه فطر العقلاء . الثاني : توحيده جلّ و علا في عبادته ، و ضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وهي متركِّبة من نفيٍ و إثبات . الثالث : توحيده جلّ و علا في أسمائه و صفاته "[1]

وهذا التقسيم قدر درج عليه كثير من أهل العلم والمعرفة وهو من تأصيل أهل السنة والجماعة لكن قد اعترض عليه من خفي عليه المراد منه أو فهمه فهماً غير صحيح ، أو مقلد لهواه متبعاً من سبقه، ولذا رأيت إتماما للكلام في هذه المسألة أورد أهم اعتراضاتهم مع إجابة مختصرة عليها لأنها ليس المقصود من البحث .

اعترض بعضهم على هذا التقسيم اعتراضات أهمها :

الأول : قولهم : بأنه لا فرق بين توحيدي الربوبية والألوهية لأن الرب هو الإله والإله هو الرب فلم هذا التقسيم.[2]

الجواب من وجوه :

١ـ تقدم معنى الإله وأن معناه الحق هو المعبود بخلاف الرب فإن بمعنى المالك والسيد المطاع كما سيأتي[1] فبينهما فرق في المعنى والدلالة كما قرره أهل اللغة ولا ينكره إلا جاهل.

---

١ - إتحاف المريد بمعرفة التوحيد،ص٢٣-٢٤.

٢ - التنديد لمن عدد التوحيد للسقاف ص ٣١ وانظر البراهين الساطعة للقضاعي ٣٧٥ـ٣٨٣ .

٢ـ أن هـذا الادعـاء مبنـي عـلى معتقـد باطـل في أن أسـماء الله وصـفاته مترادفة.

٢ـ أن أسماء الله أعـلام وأوصـاف تختلـف معانيهـا وألفاظهـا وإن اتحـد مدلوها . فالرب والإله أعلام دلت على مسمى واحد واختلفت في دلالتهـا على أوصاف المسمى نفسه .(٢)

الثاني: أن هذا التقسيم من ابتداع شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة وتلميـذه لم يسبق إليه سابق .(٣)

والجواب عنه من وجوه :

١ــ تقـدم بعـض النقـول عـن كثـير مـن علـماء الأمـة المتقـدمين مـنهم والمتأخرين القول بهذا التقسيم مما يتبين فيه أن شيخ الإسلام ابن تيمية لـيس هو أو من قال به أو ابتدعه أو قال به.(٤)

---

١ – انظر ص ٣١ .

٢ – انظر القواعد المثلى ص ١٦ .

٣ – التنديد ص ٨ ، والتوسل لابن مرزوق ص ٦٧ . وانظـر في الـرد عـلى هـذا الاعـتراض القـول السديد في الرد على مـن أنكـر تقـسيم التوحيـد للبـدر ص٣١ ، والـشرك في القـديم والحـديث ١/ ١٠٥ .

٤ – انظر التحذيرات من مختصرات الصابوني في التفسير لبكر أبو زيد ص٣٠ . وانظر القول السديد للبدر ص ٢٠ وما بعدها .

٢ـ أن سبب تفصيل شيخ الإسلام فيه وتقريره والكتابة فيه كثرة نواقضه المنتشرة في العصور المتأخرة بعد غزو الصليبيين والمشركين من المغول والتتر الذين نشروا الشرك وأقاموا القباب على القبور ودعوا الناس إلى تعظيمها مما حدا بأهل الغيرة كشيخ الإسلام إلى بيان ذلك قياماً بالواجب الذي أوجبه الله عليهم .

٣ـ أن بعض المتقدمين من الأشاعرة ذكر هذا التقسيم ، قال الباقلاني(١) : " الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء "(٢)

وقال الباجوري(٣) في التوحيد : " هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد ودته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ."(٤)

---

١ – محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. صاحب التصانيف في علم الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية توفي في ٤٠٣هـ انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩ ، والأعلام للزركلي ٦/ ١٧٦ .

٢ – الإنصاف ص ٣٤ .

٣ – إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر من فقهاء الشافعية ولد بباجور في مصر عام ١١٩٨ تقلد مشيخة الازهر سنة ١٢٦٣هـ، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة ١٢٧٧سنة هـ . انظر الزركلي١/ ٧١ . ومعجم المؤلفين ١/ ٨٤ .

٤ – تحفة المريد ص ١٠ .

وغيرهما كثير.

الثالث : أن هذا التقسيم لم يرد في الشرع ، وبالتالي فهو إحـداث في ديـن الله .

الجواب أن نقول قـد تقـدم أنـه هـذا التقـسيم هـو اسـتقراء للنـصوص الشرعية بل قد ذكر في غير ما آيه ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥]

الرابع : أن هذا التقسيم تسبب في تفريق المسلمين وتكفير بعضهم .

والجواب من وجوه :

١ـ أنا لا نسلم بأنه فرق المسلمين بل ميز ما بين الموحدين وغـيرهم ، بـل صحح مسار كثير من المسلمين الغافلين أو الجاهلين به ، فكان سببا لجمعهم على الحق والدين

٢ـ وعلى فرض التسليم جدلا نقول إن تفريق المسلمين ليس مقتصراً على هذا التقسيم مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ((**ستفترق أمتي على ثـلاث وسبعين فرقة**)) (١)

---

١ - رواه أبو داود (ح٤٥٩٦) وصححه الألباني .

الخامس : قالوا : يلزم من هذا التقسيم أن يكون المشركين جاؤا بالتوحيد الصحيح المنجي وإلا لزم أن لا يكونون مقرين بالتوحيد أصلاً وبالتالي فلا عبرة بهذا التقسيم .

والجواب من وجوه :

١ـ أن هذا القول مبني على ما قرره المتكلمين من أن التوحيد الذي جاءت به الرسل والذي تكون به النجاة في الآخرة .[1]

٢ـ إطلاق الشرك عليهم في الألوهية مع إقرارهم بالربوبية هو نهج القرآن .

٣ ـ أن قول أهل العلم بأنهم مقرين بالربوبية لا يقصدون أنهم جاؤا به على الوجه الصحيح وإلا لكانوا مقرين بالألوهية.

٤ـ ما سيأتي من بيان أن الخلق اقروا بهذا التوحيد ولم ينفعهم .[2]

السادس : أن هذا التقسيم فيه مشابهة للنصارى القائلين بالتثليث :

١ – انظر شرح العقائد النسفية للتافتزاني ص ٧٣ . والدرر السنية في الرد على الوهابية لدحلان ص ٤٠ـ٤١ . وانظر درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٤٥ .

٢ – انظر ص . وانظر في الرد على هذا الاعتراض القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للبدر ص٣١ ، والشرك في القديم والحديث ١/ ١٠٥ .

والجواب من وجوه :

١ـ أن التثليث مبني على جعل الإله الحق ثلاثة بخلاف هذا التقسيم فإن من باب تقسيم التبيين والتوضيح لا من باب التضاد .

٢ـ أن هذا ما قرره الله جل وعلا في كتابه العزيز بخلاف التثليث فقد أبطلة وقبح القائلين به.

٣ـ أن هذا القول يمكن أن يجري أيضاً على ما يعتقده الأشاعرة القائلين بان التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد لا قسيم له وواحد في صفاته لا نظير له وواحد في أفعاله لا شريك له، فقد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام.(١)(٢)

لكن المتأمل في هذه الشبة والاعتراضات يدرك حقيقة وهنها وضعفها ، فقد بنيت على عدم فهم لهذا التقسيم والمراد منه ، فلو أدرك هؤلاء أن ليس المراد به تقسيم تضاد واختلاف وإنما تقسيم تنوع لما كان في ذلك أي أشكال، ثم لو تجرد الناس وبالخصوص أهل العلم من التبعية لغير نصوص الكتاب والسنة لما وجد الاختلاف والتفرق ، وإن أي متجرد محق يدرك أن تقسيم التوحيد لا مشاحة فيه فقد قسم النحاة الكلام إلى ثلاثة أقسام وقسم أهل العلم الدين إلى علم اعتقاد وعلم أحكام ولم يشنع أحد على مثل هذه

١ – انظر الملل والنحل ١/ ٤٢ .

٢ – ينظر في الرد على هذه الاعتراض القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للبدر ص٣١ ، والشرك في القديم والحديث ١/ ١٠٥ .

التقسيمات فيما أعلم فلم هذا التشنيع على تقسيم التوحيد ؟! أم لأنه حمل راية بيانه وتوضيحه من بين خطأ كثير من مسالك المتبعين للمتكلمين المتأثرين بالفلسفة والبعد عن النصوص الشرعية المكتفين بالاعتماد على عقول البشر ؟!!

المبحث الرابع :

العلاقة بين أنواع التوحيد .

أولا : علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية :

توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية ولذا أكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه من ذكر صفات ربوبيته المشاهدة في الأنفس والآفاق وغيرها ليدلل على وجوب عبادته وحده لا شريك له ، فإن من أقر بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه المحيي المميت وحده لا شريك له المدبر المالك المتصرف وحده لا شريك له الذي يملك الضر والنفع وحده لا شريك له الذي خلق الإنسان فسواه وصوره في أحسن صورة وسخر له الكائنات وحده لا شريك له ؛ إذا أقر العبد بذلك لزمه أن يقر بأنه سبحانه المعبود وحده لا شريك له ومن ثم لزمه صرف جميع أنواع العبادة له والكفر بجميع ما عبد من دونه ، ولا يكون مؤمنا مستحقا لثواب الله ورحمته إلا بهذا وبغيره يحل به سخط الله وعقوبته [١] . وقد دل النصوص على ذلك:

قال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل] فبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله

١ – انظر الاستقامة ٢/ ٣١ ، وزاد المعاد ٣/ ٥٨٨ ، وتيسير العزيز الحميد ٧١ .

وحده فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونـه ولهـذا قال ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ يعنى يفعل ذلك فإذا كانت آلهتهم لا تجيـبهم في حـال الاضطرار فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الـذي يجيـب المـضطر إذا دعـاه ويكشف السوء وحده وهذا أصح ما فسرت به الآية ..

وقوله ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النمل] .. إلى قوله : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل]

فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا بـه على ما جحدوه : من قصر العبادة جميعها عليه" [1]

والآيات في كتاب الله في هذا المعنى كثيرة جـداً بـل أظهـر مـن أن تـذكر لكن أكثر الناس لا يعقلون .

١ - انظر فتح المجيد ١/ ١٧٠

وعلى هذا فإن كل من أقر بأنه له الأسماء الحسنى والصفات العليا المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير فقد لزمه أن يعبده وحده لا شريك له ولذا احتج إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم] فاحتج عليه السلام على بطلان المعبودات من دون الله أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع الضر وما كان كذلك فلا يستحق أن يعبد فلزم أن يعبد من اتصف بصفات السمع والبصر وجلب النفع ودفع الضر.

ومثلها قوله جل وعلا في أول امر في كتاب الله جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة] فذكر سبحانه خصائصه الموجبة لعبادته وهذا في القرآن كثير.

ثانيا : علاقة توحيد الألوهية بتوحيدي الربوبية والأسماء والصفات

وأما العلاقة بين توحيدي الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الإلهية فهي علاقة تضمن فإن من أقر بتوحيد الإلهية فإن مقر بأنه لا يملك جلب

النفع ولا دفع الضر إلا هو ، مقر بما له من الصفات والأفعال التي يختص بها استدل عليه وعلى وجوب عبادته.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية كما قال كل منهم لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف] وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ﴾ [النحل: ٣٦] [2] فكل من أقر بأنه الله إلهه ومعبوده فقطعا يكون مقراً بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ويجلب النفع ولا يدفع الضر إلا هو بل لا يستحق أن يوصف بكمال الصفات ويتسمى بأكمل الأسماء إلا هو . ولذلك عاب الله تعالى على المشركين الذين يقرون بتوحيد الربوبية ثم يشركون في عبادة الله، بصرف بعض أنواع العبادة

---

١ – انظر الاستقامة ٢/ ٣١ ، وزاد المعاد ٣/ ٥٨٨ ، وتيسير العزيز الحميد ٧١ .

٢ – درء التعارض ٥/ ١٥٦وانظر زاد المهاجر ١٧ .و رفع الشبهة والغرر ٦٧ و بدائع الفوائد ١/ ١٢٤ وانظر مثله في أحكام أهل الذمة ٢/ ٩٥٠ ومفتاح دار السعادة ١/ ٩٤ .و معارج القبول ٢/ ٤٠٢ و فتح المجيد ١/ ١٧٠

وقال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ الأعراف وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل] وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء]فدلت الآيات على أن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا والعاجز لا يصلح أن يكون إلها.[١]

لكن قد يقول قائل إنه قد يجمع بين لفظ الربوبية والألوهية في موضع واحد وقد يفرد أحدهما بالذكر دون الآخر فهل معنى ذلك أن كل لفظ يختص بمعنى لا يشمله المعنى الذي دل عليه اللفظ الآخر.؟

أجاب عن هذا التساؤل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فقال :" الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الإلهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص معناه عند الاقتران كما في قوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ وفي قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ فجمع بين الاسمين : اسم الإله واسم

١ - انظر شرح الطحاوية ١/ ٧٧ .

الرب فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد والرب هو الذي يرب عبده فيدبره .

وهذا كانت العبادة متعلقة باسمه "الله" والسؤال متعلقا باسمه "الرب" فإن توحيد الله بالإلهية هو الغاية التي خلق لها الخلق ،والربوبية تتضمن خلق الخلق وإنشائهم." [١]

١ – مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩ .

المبحث الخامس:

الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية :

تكمن أهمية هذا المبحث في أمور منها : أولاً : بيان وجه الخلط الواقع عند بعضهم بين أنواع التوحيد والأمر الثاني : في بيان منهج الرسل في الدعوة إلى التوحيد والأمر الثالث : في بيان وفهم كثير من نصوص القرآن فإن من فهم التوحيد وأنواعه فهم كلام الله جل شأنه بل وتلذذ بقراءة وسماعة واستشعر عظمته .

ولعل الفروق تتلخص فيما يلي :

١ـ الفرق اللغوي فالربوبية مشتق من الرب كما تقدم والألوهية مشتق من الإله والفرق بينهما واضح جلي قال ابن فارس :(أله : الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى ، وسمي بذلك لأنه معبود ويقال تأله الرجل إذا تعبد) [١] وقال في رب : (الراء والباء يدل على أصول ، فالأول إصلاح الشيء والقيام به ، فالرب المالك والخالق

١ – معجم مقاييس اللغة مادة (أله) .

والصاحب ... والرب المصلح للشيء والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه)[1] وبه يظهر خطأ من يفسر الإله بأنه القادر على الاختراع و هذا باطل شاهده قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس].[2]

٢ـ أن توحيد الربوبية يتعلق بأفعال الرب جل وعلا من الإحياء الإماتة الرزق ...إلخ) أما توحيد الألوهية فيتعلق بالعبادة والتأله المبنية على الأمر والنهي .

٣ـ توحيد الربوبية أقرّ به المشركون و توحيد الألوهية أنكره المشركون[3]

٤ـ أن توحيد الربوبية مدلوله علمي يتعلق باعتقاد القلب ولذا فهو يسمّى توحيد المعرفة و الإثبات وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي من جهة فعل المكلف وقوله المبني على الاعتقاد بأنه الرب المستحق للعبادة ولهذا فهو يسمى توحيد القصد والطلب.

---

١ – المصدر السابق مادة (ربب) .

٢ – انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ وانظر القول المفيد ١/ ٣٩ ، ٢٥٧

٣ – انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ .

٥ـ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فهو خارج عنه لا يـدخل فيـه إلا من جهة المعنى الشرعي و توحيد الألوهية متضمّن لتوحيد الربوبيـة لأن الربوبية هي بعض الألوهية .[1]

٦ـ أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن بـه في الإسـلام إجماعـا بخـلاف توحيد الألوهية.[2]

---

١ – تقدم الكلام على هذا انظر ص ١٩ .

٢ – انظر القاعدة الرابعة من القواعد الأربع للشيخ محمد بن عبـد الوهـاب ، وانظـر تيـسير العزيـز الحميد ص ٣٣ وانظر القول المفيد ١/ ٥ وانظر المدخل لدراسةِ العقيدةِ الإسلاميةِ عـلى مـذهبِ أهل السنةِ والجماعةِ ص ٩٦.

الفصل الثاني :

توحيد الربوبية تعريفه وأسماؤه ،

وفيه مباحث

المبحث الأول : تعريفه في اللغة

المبحث الثاني : تعريفه في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أسماؤه .

المبحث الأول :

تعريفه في اللغة

توحيد الربوبية مأخوذ من كلمة " رب " والرب كما سيأتي[١] يطلق على المربي ، والمدبر، والقيم، والمنعم والمالك والسيد.

قال ابن الأَنباري الرَّبُّ يَنْقَسِم على ثلاثة أَقسام يكون الرَّبُّ المالِكَ ويكون الرَّبُّ السّيدَ المطاع قال الله تعالى : ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾[يوسف: ٤١] أي سيده ويكون الرب المُصْلِحَ رب الشيء إذا أصلحه.[٢]

والرَّبُّ هُوَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وهو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالِكُه له الرُّبُوبِيَّةُ على جَمِيعِ الخَلْقِ لا شَرِيكَ له وهو رَبُّ الأَرْبَابِ ومَالِك المُلوكِ والأَمْلاَكِ[٣]

و" الرِّبِّيُّون : الذين صبروا مع الأنبياء نسبوا إلى العبادة والتألّه في معرفة الرُّبوبيّة لله الواحد. "[٤] كما أن الرَّبُّ اسم من أسماء الله تعالى.

---

١ - انظر المبحث الأول من الفصل الرابع.
٢ - اللسان ربب ١/ ٣٩٩ ، تاج العروس ١/ ٥٠٥
٣ - تاج العروس رب ب ١/ ٥٠٥
٤ - كتاب العين ٨/ ٢٥٧.

ويظهر مما تقدم أن الربوبية مشتقة من " الرب " فالله هـو الـرب والـسيد الذي كمل سؤدده لا يعجزه شيء يدبر الأمر كله وإليه يرجع الأمـر كلـه لا خالق إلا هو ولا رازق ولا محيـي ولا مميـت إلا هـو الـذي ملـك كـل شيء ورباه .وصفات الربوبية هذه ظاهرة لكل عاقل ومن هنـا أضـيف التوحيـد إلى هذه الكلمة لشموليتها على اختصاص الرب جل وعلا بجميع ما تحملـه من صفات ومعان .

المبحث الثاني :

تعريفه في الاصطلاح .

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف توحيد الربوبية ولعلي اسرد بعض التعريفات وإن كانت متقاربة في المعنى إلا أن العبارات قد تختلف من تعريف إلى تعريف :

١ـ إفراد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر ونحو ذلك.[١].

٢ـ الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.[٢]

٣ـ الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو.[٣]

---

١ – انظر (تيسير العزيز الحميد / ٣٣

٢ – تيسير العزيز الحميد ١٧ ومعارج القبول ٢/ ٤٥٩

٣ – مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٤٥

٤ـ هو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم.[١]

٥ ـ " إفراد الله بالخلق والملك والتدبير " [٢]

٦ـ هو أن لا معطى لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل إلا هو.[٣]

٧ـ الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه[٤]

وبتتبع تعريفات أهل العلم لهذا النوع من التوحيد نجد أنه يدور حول إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، إلا أن البعض يتوسع في ضرب الأمثلة وبعضهم يقتصر، والبعض الآخر يكتفي بذكر مثال واحد فقط كما صنع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غير موضع من مؤلفاته حيث عرفه بقوله: "هو إفراد الله بالخلق" وكذا تلميذه ابن القيم رحمهما الله .

---

١ – المصدر السابق ١/ ١٥٠

٢ – القول المفيد ١/ ١٤

٣ – مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٢/ ٤٤٧

٤ – منهاج السنة النبوية٣/ ٢٨٩ ، الاستقامة ١/ ١٧٩

الخلاصة :

ومن هنا نستطيع القول بان أشمل تعريف لتوحيد الربوبية هو : إفراد الله بأفعاله ، ويدخل في هذا جميع صفات الربوبية من الخلق والملك والتدبير والتصرف في جميع مخلوقاته ، بل يدخل فيه خلق أفعال العباد من الخير والشر ووجه ذلك:

١ – أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته.

٢ – أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب. [١]

كما يدخل فيه الإيمان بما قضاه الله وقدره وأنه لا يخرج شيء عن ملكه وخلقه وتدبيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ " وأما توحيد الربوبية فيدخل فيه ما قدره الله وقضاه وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه ورضيه، والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الإلهية ويستعين بالله على ذلك وهو توحيد الربوبية فيقول إياك نعبد وإياك نستعين والله أعلم." [٢]

---

١ – فتاوى مهمة لعموم الأمة ص ٣

٢ – الفتاوى ٢٢/٤٤٨ ، ٤١٩ بتصرف يسير

المبحث الثالث :

أسماؤه .

لهذا النوع من التوحيد أسماء عديدة منها :

١ – توحيد الربوبية كما سبق بيانه.

٢– التوحيد العلمي وهذا الاسم مأخوذ من العلم وذلك بأن الأصل أن كل عبد يعلم أن الله خلقه ورزقه وأنعم عليه ، وهذا من العلم البدهي ولذا قيل التوحيد العلمي بناء على علم العبد ببعض صفات ربه مع اعتقاده بمدلولاتها وإثابتها له وعمله بمقتضاها.

٣– التوحيد الخبري وهذا الاسم ألصق بتوحيد الأسماء والصفات وإن كان كلا التوحيدين أقصد الربوبية والأسماء والصفات يدوران حول إفراد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته ، وهذا مبني على أن هذه الصفات متلقاها من الخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤ – توحيد المعرفة والإثبات . يقصد بالمعرفة المعرفة بالخالق جل وعلا ، معرفته بأفعاله وصفاته ، وتوحيد الإثبات أي إثبات تلك الأسماء والصفات لله وحده، كما جاء في حديث معاذ حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال له : ((**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول**

ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم) [1] فجعل ذلك معرفة .

٥- التوحيد الاعتقادي وهذا الاسم مشتق من اعتقاد العبد ما لله جل وعلا من الأسماء والصفات والأفعال وإثبات ذلك له .

مسألة :دلائل توحيد الربوبية

تكلم أهل العلم في دلائل الربوبية وحيث أن البحث لا يقصد بها بيانها فقد كتبت فيها سفراً سهل الله نشره ولذا فأوجز اهم ما ذكره أهل العلم فقد ذكروا من دلائل معرفة الله ومعرفة ربوبيته أدلة منها : الفطرة ودليل الخلق والإيجاد ودليل الضرورة ، ودليل العناية ، ودليل الاضطرار . قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –

وحدانية الربوبية معلومة بالشريعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية ، والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل . [2]

---

١ – رواه البخاري (ح ١٣٨٩) ومسلم (ح ١٩)

٢ – مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠١ وانظر ٢/ ٢٧.

الفصل الثالث :

أهمية توحيد الربوبية

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، وحاجة العبد إليه أشد من حاجته إلى توحيد العبادة، ولذا فكل الناس مؤمنون به مؤمنون بدلائله . ويمكن إجمال أهميته في أمرين :

أحدهما : علم العبد بحاجته الماسة إليه.

والثاني : إفراد الله جل وعلا به والبعد عن نواقضه.

فالأول متعلق بحاجة العبد والثاني متعلق بحق الرب جل وعلا

وتفصيل ذلك :

من المعلوم أن حاجة العبد إلى الرب لا تنتهي ولا يمكن لعبد أن يستغني عن ربه طرفة عين ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يكثر من قوله : "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك " [١] لأن من وكل إلى نفسه هلك ، بل إن العبد قد يحال بينه وبين ما يريده كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال] فكل عبد فقير محتاج إلى ربه أشد من حاجته إلى طعامه وشرابه[٢] قال تعالى : ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر] وإليك ما يوضح ذلك :

١ - رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني

٢ - انظر الوابل الصيب ٥٦ .

١ـ أن كل عبد مفتقر بطبعه إلى ربه لا يمكن أن يستغني عنه طرفة عين فإنه إن لم يكن له معينا فلا معين له" قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]. [1]

٢ـ أن الإنسان أحوج ما يكون إلى الهداية والتوفيق ، ولا هادي إلا الله فإن لم يكن للعبد هادياً فلا هادي له قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف] ، وقَالَ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر] فهو سبحانه الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولذا فالعبد أشد ما يكون إلى طلب الهداية والتثبيت عليها وهذا لا يكون من الغافل عن معرفته بربوبيته وأسمائه وصفاته، ولأجل هذا شرع لنا أن ندعو بكل صلاة بقوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.[2]

٣ـ أن الله هو الموجد للعبد من عدم فلا يمكن أن يكون له موجد غير الله، كما لا يمكن أن يكون أوجد نفسه ، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ

١ - انظر طريق الهجرتين ١/ ٢٢ ، ٢٧ .

٢ - انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٠ ، وانظر بدائع الفوائد ٢/ ٢٧٥، وشفاء العليل ١/ ٩٨ .

ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور] وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يستغني عنه طرفة عين . [1]

٤ـ أن العبد لا يمكن أن يستقل بنفع دونه . قال سبحانه:﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف] فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن دونه من باب أولى وقال سبحانه :﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح] .

٥ـ أن العبد محتاج إلى من يرشده إلى ما يفعله من تفاصيل أحواله وإلى ما يتركه من مثل ذلك ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالرب جل وعلا[2] ، قال ﷺ : ((**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**)) [3] وأيضا حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : ((**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم**

١ - انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٤٣٧ ، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٦٥ .رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني .

٢ - انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٢٠ ، وشرح الطحاوية ٣٦٢ .

٣ - رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني .

الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) [١]

٦ـ أن العبد إذا علم ما ينفعه وما يضره إحتاج إلى من يجعله قادرا على العمل بما ينفعه ودفع ما يضره وإن لم يكن الله معينا له فلا معين.[٢]

٧ـ أن العبد محتاج إلى أن يلهمه ربه أن يعمل العمل النافع ويوفقه إلى العمل الصالح فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريدا للعمل بما يعلمه وإلا كان العلم حجة عليه ووبالا . [٣]

٨ ـ أن العبد بحاجة إلى التوفيق فلا يكفي العلم والعمل حتى يوفق ويهدى قال سبحانه : ﴿**مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾ [الكهف: ١٧] وإذا لم يكن الله له هاديا فلا هادي له.[٤]

٩ـ أنه إذا علم وعمل ووفق فهو بأشد الحاجة إلى الثبات على ذلك إلى المات ، وهذا لا يكون إلا بتحقيق توحيد الربوبية فإن الرب هو الذي بيده

---

١ - رواه مسلم (ح٢٠٠)

٢ - انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٢٠ ، وشرح الطحاوية ٣٦٢ .

٣ - انظر شرح العقيدة الطحاوي ٣٦٢ وانظر منهاج السنة ١/ ٤٢١ ، ودرء التعارض ٢/ ١٨٨ . وطريق الهجرتين ١/ ١٥٩ .

٤ - انظر مدارج السالكين ١/ ٤١٣ .

القلوب يصرفها كيف يشاء[١] ، ولذا كان ﷺ كما في حديث أنس يكثر من قوله : ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا وبك وبما جئت به فهل تخاف علينا.؟ قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء.**))[٢]

١٠ ـ أن الله هو المعطي المانع لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى وطلب هذا من تحقيق توحيد الربوبية ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمعها في الصلاة كما ثبت عنه في الصحيح : أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول : ((**ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قاله العبد وكلنا لك عبد**)) [٣] فهذا حمد وهو شكر لله تعالى وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد ثم يقول بعد ذلك : [لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد] وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقا وقدرا وبداية ونهاية. [٤]

١ – انظر الاستقامة ٢/ ٢٥٣ ، ومجموع الفتاوى ٢٨/ ١٤٩ ، ومدارج السالكين ٣/ ٥١١ .

٢ – الترمذي (٢١٤٠) وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ .

٣ – رواه مسلم (ح ٤٧١)

٤ – انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٧٦ ، وشرح الطحاوي ٣٦٢ .

١١ـ من المعلوم أن الله جعل لكل شيء سببا والله هو المسبب للأسباب وموجدها ، والإنسان محتاج إلى ذلك في كل أحواله ، فإن لم يكن الله معينا له فلن يتم له شيء فوجب الإيمان بذلك وطلب العون منه . (١)

١٢ـ ومن المعلوم أيضاً أنه ليس شيء من الأسباب مستقلا بمطلوب إذ لا بد من انضمام أسباب أخر إليه، ولا بد أيضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود فكل سبب فله شريك وله ضد فإن لم يعاونه شريكه ولم ينصرف عنه ضده – : لم يحصل مسببه ولا يكون ذلك إلا بعون الله وتوفيقه المستمدة من معرفته وتوحيده .

مثال ذلك :

المطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك ، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات .

١ – مجموع الفتاوى ٨/ ١٦٩ ،

ومن عرف ما تقدم حقيقة المعرفة انفتح له باب توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعلم أنه لا يستحق أن يعبد أو يسأل غيره فضلا عن أن يعبد غيره أو يسأله أو يتوكل عليه .[١]

والأمثلة على هذا النوع يطول ذكرها ولعل ما ذكر يغني عن مالم يذكر.

أما النوع الثاني وهو إفراد الله به فهو نتيجة حتمية للأول فإن العبد إذا عرف ربه بأنه الخالق الرازق المحيي المميت المعطي المانع النافع الضار المالك المدبر المتصرف بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إذا عرف ذلك واعتقده زاد قربا من ربه وتعلقا به وتحقيقاً لربوبيته فهداه ربه ووفقه وسهل له أمره ويسره لليسرى وجنبه العسرى وهذا غاية ما ينشده العبد.

وبالمقابل إذا جحد هذا النوع من التوحيد أو أعرض عن تحقيقه أو قصر في مفهومه ومعرفته فإنه بقدر تقصيره يكون ضلاله وبعده عن ربه وهلاكه، وما ضل من ضل إلا بجهله بربه ، وما فسق من فسق إلا ببعده عن معرفة

---

١ - انظر شرح الطحاوية ١/ ٣٦٢ .

صفاته وخصائص ربوبيته ، وما عصى من عصى إلا بجهله بحقوقه وأوامره وشرائعه وعظمته ، وإلا لو عرف العبد ربه حق المعرفة ما عـصاه ولا خـرج عن طوعه .

الفصل الرابع :

كلمة " رب " ومدلولاتها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مدلولات كلمة " رب "

المبحث الثاني : إطلاق كلمة " الرب ".

المبحث الثالث : أنواع ربوبية الله لخلقه.

المبحث الأول :

مدلولات كلمة " رب "

قال الراغب رحمه الله تعالى : " الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال ربه ورباه ورببه" [١] .

وكلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ.

١) على السيد المطاع ، قال الله تعالى : ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف]. [٢]

٢) على المالك ، قال تعالى : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

---

١ – المفردات للراغب مادة ربب

٢ـ يجوز إطلاق كلمة سيد مجردة من الألف واللام على المخلوق بلا نزاع ، لقوله تعالى : {وألفيا سيدها لدى الباب } وقوله ﷺ : " أنا سيد ولد آدم " وقوله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيدكم " والفقهاء يقولون : " إذا قال السيد لعبده .أما إذا اضيفت إلى الألف واللام فهل يجوز إطلاقها على غير الله تعالى ؟ الصحيح الجواز لعدم النهي ما لم تفد محذورا كأن يتوهم أن المخاطب بها أو المتكلم قد حاز جميع أنواع السؤدد أو بمعنى آخر يراد بها جنس السؤدد ، أو يراد بها الغلو والإطراء فعندئذ يمنع لقوله صلى الله عليه وسلم لمن قاله له : أنت سيدنا وابن سيدنا ... قال " إنما السيد الله " أي الذي كمل سؤدده . والله أعلم انظر تيسير العزيز الحميد ٥٨٨ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤٩٢ و القول المفيد ٣/ ١٠٠ ، وبدائع الفوائد ٣/ ٧٢٩.

٣) على المربي المتعهد (القائم) بالإصلاح . قال ﷺ : ((**وأن تلد الأمة ربها**)) [١] [٢]

٤) كما تطلق على المعبود ، ومنه قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد هان من بالت عليه الثعالب .

قال ابن منظور: " الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم... ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال "[٣] .

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال – تعالى – ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] وقال : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر].

---

١ – رواه البخاري (ح ٥٠) ومسلم (ح ٨) .

٢ ـ عرفها ابن سعدي رحمه الله بأنها : (تربية الله لخلقه ، وتنشأته لهم بما أفاض عليهم من نعمه العظيمة ، وآلائه الجسيمة ، التي بها يكون بقاؤهم ، وعليها ينبني أساس استخلافهم في الأرض) تيسير الكريم المنان ١/ ٣٤ .

٣ ـ لسان العرب مادة ربب .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ أي : خالقهم ومالكهم، ومصلحهم ومربيهم بنعمه، وبإرسال رسله ، وإنزال كتبه ، ومجازيهم على أعمالهم .

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله – : " .. فإنَّ الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم ، وجزاء مُحسنهم بإحسانه ، ومُسيئهم بإساءته." [١] .

وقال ابن منظور: " الرب: هو الله – عز وجل – هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك "[٢]

ومن هنا يتبين أن لكلمة " الرب " عدة معان كلها يصح إطلاقها على الله عز وجل بكمالاتها المطلقة فهو المربي للأشياء ينميها وينقلها من طور إلى طور حتى يبلغ بها غاية التمام .

وهو المالك لها السيد عليها المطاع فيها المدبر لمصالحها القائم بحفظها.

ولهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والتدبير إلخ مختصة بالله سبحانه وحده لا شريك له ، وهذا أمر مركوز في الفطر السليمة .

١ – مدارج السالكين ١/ ٦٨ .

٢ – لسان العرب مادة (ربب)

وهو سبحانه رب العالمين ، وحده لا شريك له المالك لجميع شؤونهم الخالق لهم المدبر لأحوالهم المالك المتصرف، الخالق الرازق، المحيي المميت، المدبر، السيد، المطاع... الذي: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء] له صفات الكمال المطلق، ويجب صرف العبادة له وحده ، إذ هو الإله الحق.

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] وقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف]

المبحث الثاني :

إطلاق كلمة " الرب "

لا تطلق كلمة (الرب) معرفة بالألف واللام من غير إضافة إلا على الله جل وعلا ، لتكفله سبحانه بمصالح الموجودات ، قال تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وقال : ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦ ﴾ [الصافات] ولاشتمالها على العموم ولاستغراقها جميع معان الربوبية التي لا تصلح بمجموعها إلا له جل وعلا. (١)

أما إذا جردت من الألف واللام جاز إطلاقها على الله وعلى غيره ، كما يقال : رب الدار ؛ وربُّ الفرس . يعني صاحبُها ، ومنه قولُه تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقوله تعالى ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٥٠]. ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١]وقال – صلى الله عليه وسلم – في ضالة الإبل : ((**حتى يجدها ربها**)). متفق عليه.(٢)

قال ابن منظور: " ولا يطلق غير مضاف إلا على الله – عز وجل – وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا.

---

١ – انظر تفسير القرطبي ١/ ١٣٧ .

٢ – تقدم تخريجه قريبا .

قال: وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله – تعالى – وليس بـالكثير، ولم يذكر في غير الشعر". [١]

مسألة :

اختلف أهل العلم في النهي الوارد في الـصحيحين عـن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : ((**لا يقـل أحـدكم أطعـم ربك وضئ ربك، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي .**)) [٢][٣]

هل هذا النهي للتحريم أو للتنزيه ؟

وبيان ذلك فيما يلي :

أولا : اتفقوا على أن علة النهي هو إيهام المشاركة بين الخالق والمخلوق في اللفظ .

قال الخطابي وسبب المنع أن الإنسان مربوب معبد بإخلاص التوحيـد لله تعالى وترك الإشراك به فترك المضاهاة بالاسم لئلا يـدخل في معنـى الـشرك ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد. [٤]

١ – لسان العرب مادة : ربب .
٢ – رواه البخاري (ح ٢٤١٤) ومسلم (٢٢٤٩) .
٣ – انظر تيسير العزيز الحميد ٦٥٣، وحاشية ابن قاسم ٣٤٥ .
٤ – فتح الباري ٥/ ١٧٩ وعمدة القاري ١٣/ ١١١و انظر تيسير العزيز الحميد ٥٧٨ .

ثانيا : إذا جردت من الألف واللام وأضيفت إلى غير العاقل جاز ذلك بلا خلاف . قال الخطابي : "وأما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله رب الدار والثوب.[1]

ثالثاً : إذا أطلقت على العاقل فقد اختلفوا في جواز ذلك من عدمه على قولين مبناهما على فهم قوله ﷺ : ((**لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي.**)) [2] هل النهي فيه للتحريم أم للكراهة ؟ على قولين :

الأول : أنه النهي للتحريم ورجحه ابن مفلح ـ رحمه الله ـ : بقوله: (ظاهر النهي التحريم ، وقد يحتمل أنه للكراهية ، وجزم به غير واحد من العلماء .

فإن قلت : قد قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : {اذكرني عند ربك} ، وقال النبي ﷺ في أشراط الساعة : ((**وأن تلد الأمة ربتها**)) فهذا يدل على الجواز .

قيل : أما الآية ففيها جوابان :

١ – انظر تيسير العزيز الحميد ٥٧٨ .

٢ – رواه البخاري (ح٢٤١٤) ومسلم (ح١٥) .

أحدهما وهو الأظهر: أن هذا جائز في شرع من قبلنا ، وقد ورد شرعنا بخلافه .

الثاني : أنه ورد لبيان الجواز والنهي للأدب والتنزيه دون التحريم .

وأما الحديث ((وأن تلد الأمة ربتها)) [1] فعنه ثلاث إجابات :

١) أنه ليس من هذا الباب للتأنيث ، فإن الله يقال له رب ، ولا يقال له ربة ، والنهي إنما ورد للذكر لما فيه من إيهام المشاركة في الربوبية، وهو معدوم في الأنثى .

٢) أن يقال بحمله على الكراهية في الأنثى أيضاً لورود الحديث بذلك دون الذكر ، لأنه لم يرد فيه إلا النهي .

٣) أن يقال وهو أظهر : إن هذا ليس فيه إلا وصفها بذلك لادعائها به، وتسميتها به ، وفرق بين الدعاء [يا رب] والتسمية [هذا ربي] وبين الوصف [أن تلد الأمة ربتها] كما تقول : زيد فاضل، فتصفه بذلك ولا تسميه به ولا تدعوه به).[2] وكما قال سبحانه : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ النور: ٣٢ وهذا من قبيل الإضافة ، مثل ما لو

١ - رواه ا البخاري (ح٥٠) ومسلم (ح١) .

٢ - تيسير العزيز الحميد ٦٥٣ .

قلت هذا عبد فلان ، وهذه أمة فلان ، فإن هذا جائز ، لأن إيهام المـشاركة في الربوبية منتفي .

أما قوله : " لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي " [١] فإنـه يـوهم مـشاركة الله في ربوبيته وملكه في اللفظ وهذا منهي عنه.

والتحقيق أن المسألة لا تخلوا من أمرين :

أحدهما : أن يكون اللفظ موهما للمشاركة بـين الخـالق والمخلـوق فهـذا يحرم تحقيقا للتوحيد وسداً لذريعة الشرك .

والثاني : أن ينتفي محظور إيهام المشاركة بالإضافة فهذا جائز

وتفصيل ذلك :

أن الإضافة على أنواع :

أ ـ أن يضاف إلى ضمير المخاطب المفرد فيحرم كما في الحـديث " لا يقـل أطعم ربك ".

ب ـ أن تكون الإضافة إلى ضـمير المخـاطبين " الجمـع " فيجـوز كقولـه تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾[النور: ٣٢]

---

١ - رواه أبو داود (ح٤٩٧٥) وصححه الألباني.

ج ـ أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب فالصحيح الجواز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : " وأن تلد الأمة ربها "

د ـ أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم ، فالصحيح عدم الجواز لإيهام المشاركة ، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ " وفيه نهى العبد أن يقول لسيده ربي وكذلك نهى غيره فلا يقول له أحد ربك ويدخل في ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه فإنه قد يقول لعبده أسق ربك فيضع الظاهر موضع الضمير على سبيل التعظيم لنفسه والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى"(١)، فإن قيل ، قد قال الله تعالى : { هذا ربي } والجواب أنه هذا في شرع من قبلنا وقد ورد شرعنا بخلافه .

هـ ـ أن يضاف إلى اسم ظاهر، كقولهم : رب الغلام فظاهر الحديث الجواز مالم يوهم المشاركة أو يوجد محذور يمنع ذلك .(٢)

فتبين بهذا : أن الرب يطلق على الله معرفًا ومضافًا ، فيقال : الرب ، أو رب العالمين ، أو رب الناس، ولا تُطلق كلمة الرّبِّ على غير الله إلا مضافة ، مثل : رب الدار ، ورب المنزل ، ورب الإبل، وكره بعضهم إضافتها إلى العاقل.

---

١ – فتح الباري ٥/ ١٧٩ .

٢ – انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٥٣ وفتح المجيد ص٤٤٣ ، حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ٣٤٥، والقول المفيد ٢/ ٣٣٩ـ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي رحمه الله ١/ ٢٤٦ . وفتح الباري ٥/ ١٧٩ ، وشرح النووي على مسلم ١٥/ ٦ .

المبحث الثالث :

أنواع ربوبية الله لخلقه

تربية الله لخلقه على نوعين :

١ـ عامة : وهي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم ، فهي شاملة لجميع المخلوقات برها وفاجرها مكلفيها وغير مكلفيها لا يخرج عنها أحد .

٢ـ خاصة : هي تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .فهي خاصة بأوليائه وأصفيائه . وحقيقتها التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر . ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة . (١)

١ - تفسير ابن سعدي ١/ ٣٤ .

الفصل الخامس:

من صفات الربوبية

من المعلوم أن لله صفات كثيرة لا يمكن حصرها ، لكن له سبحانه أكمل الصفات وأعدلها وأعلاها وأجلها، فهو الخالق الرازق المحيي المميت الـذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجـير ولا يجـار عليـه ، المـدبر شـؤون الخلـق ، القادر فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، القاهر فوق عباده ، القوي المتين الذي لا يغلب ولا يقهـر ، بعـزه يعـز مـن يـشاء ، وبسلطانه وجبروته يذل من يشاء ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممـن يـشاء ، لا راد لأمره وهو العزيز الحكيم ، الظاهر الـذي لـيس فوقـه شيء والبـاطن الذي ليس دونه شيء، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نـوم ، لـه مـا في السموات والأرض ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه ـ جل وعلا ـ له الـصفات العظيمـة، والآلاء الجسيمة فتبارك الله رب العالمين .

وكل ما كان الخلق إلى صفة من صفاته أحوج كل ما كان ظهورهـا بيـنهم أكثر .

وقد عد بعض أهل العلم ثلاث صـفات تجمـع صـفات الربوبيـة وبقيـة الصفات تعود عليها ، وهذه الصفات هـي : صـفة الخلـق ، وصـفة الملـك، وصفة التدبير وسأعرض لكل صفة على حده :

١ـ صفة الخلق :

صفة الخلق من صفات الله ـ جل وعلا ـ التـي لا يجـوز إطلاقهـا معرَّفـة بالألف واللام إلا عليه وحده ، وهو الموجد من عدم على غير مثال سـابق ، وصفة الخلق من أظهر صفات الربوبية ، ولهذا أقرت بها جميع الأمم ، ولهـذا احتج الله على المشركين بهـا كـما في قولـه تعـالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر]

وقـال تعـالى مبينـاً بطـلان آلهـة الكفـار : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل] فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وخَلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقـه ، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بـأن الله– تعـالى– خـالقٌ لأفعـال العباد كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات] .[1]

كما أن خلقه سبحانه عام شامل لكل مخلوق وهو من أخص صفاته جـل وعلا ولذا ألزم المشركين المقرين بـذلك أن يعبـدوه قـال تعـالى :﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ

١ – انظر القول المفيد ١/ ٩ـ١٠

أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة]

قال ابن كثير رحمه الله : "يقول تعالى : { إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ } تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها ـ وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الأخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس] وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ [فاطر: ١٣] أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بها عند أهل ذلك الأقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يس]

{ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ } أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها فهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود] وتصريف الرياح } أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه.. { والسحاب المسخر بين السماء والأرض } أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى : {لآيات لقوم يعقلون } أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى." (١)

وقال ابن جرير رحمه الله : "أخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم وتفرد لهم بها ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فتشركوه في عبادتكم إياي وتجعلوه لي ندا وعدلا ؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ففي الذي عددت عليكم من نعمتي وتفردت لكم بأيادي دلالات لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل

---

١ - تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٤

والجور والإنصاف وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيري وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادا فهذا هو معنى الآية. "(١)

ثانيا : صفة الملك :

يجب إفراد الله- تعالى- بالملك فالله -تعالى- وحده هو المالك كما قال الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾** ﴾ الفرقان وقال سبحانه: ﴿ **تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾** ﴾ [الملك]

وقال تعالى :﴿ **قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ** ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وملك الله ملك حقيقي ثابت من كل وجه.(٢) وحقيقة ملكه إنما تتم بالعطاء والمنع والإكراه والإهانة ، والإثابة والعقوبة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾** ﴾ [فاطر] وقال سبحانه : ﴿ **يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾** ﴾ [الرحمن] قال ابن عباس رضي الله عنه فمن شأنه أنه يغفر

---

١ - تفسير ابن جرير ٢/ ٦٥ .

٢ - شفاء العليل ٢/ ٦٠٩ .

ذنباً ويكشف كرباً وينصر مظلوماً ويأخذ ظالماً ، ويفك عانيـاً ويغنـي فقـيراً ويجبر كسيراً ، ويشفي مريضاً ، ويقيل عثرة ويستر عورة ، ويعز ذليلاً ويـذل عزيزاً ، ويداول الأيام بين الناس فيرفع أقواماً ويضع آخرين ، لا ينازعـه في ملكه منازع ولا يعارضه معارض ، له الملك المطلق.[١]

فهو سبحانه الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه[٢] وهـو المالـك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة [٣] .

ومن كمال ملكه سبحانه شـموله لملـك الـدنيا والآخـرة ، ولهـذا خـص سبحانه نفسه بأنه مالك يوم الدين ؛ لأن ادعاء غيره ملكـاً في ذلـك الوقـت ممتنع ؛ بخلاف الدنيا فقد يدعي مدع أن له الملك المطلق ولذا فـإن الله جـل وعلا ينادي يوم القيامة فيقول : " لمن الملك اليوم " فلا يجيبه أحد ، فيجيـب نفسه بقوله " لله الواحد القهار. [٤]

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ((**يطـوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك**

١ - انظر طريق الهجرتين ٢٢٨.

٢ - تفسير ابن جرير ١٢/ ٥٩.

٣ - تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٩ .

٤- انظر شعب الإيمان ١/ ٣٠٩ .

أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون.)) [١]

وملك الله عام مطلق شامل ، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾[النور: ٦١]وقوله ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٦]. فدلت هذه النصوص وغيرها أن لغير الله تعالى ملكاً لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل فهو ملك قاصر، وملك مقيد. [٢]

ثالثاً : تدبير الأمر

من صفات ربوبية الله جل وعلا صفة التدبير، ولذا يجب اعتقاد أن الله عز وجل متفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى : (﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا

١ رواه مسلم (ح ٢٤) .

٢- انظر القول المفيد ١/ ١٠-١١ .

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [يونس]

إن تدبير الأمر في هذا العالم لمن آيات الله الباهرة: فهو الذي سخر الشمس تطلع صباحا وتغرب مساء؟! ولكل وقت مكان غروب وشروق .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر]

وهو الذي أجرى القمر في فلك معين لا يحيد عنه ؟! حتى عاد في آخر الشهر ﴿ ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس]

وهو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ويغني ويفقر ، ويقبض ويبسط، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض الذي أنزل من السماء ماءاً فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة.

وفي شعر أمية بن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه :

وأنت الذي من فضل ومن رحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

وقولا له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنك الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة فيصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له من أنبت الحب في الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا[1]

وهو سبحانه مع هذا التدبير لا يشغله شأن عن شأن، بل هو محيط بعلم كل شيء، ليس معه شريك ولا ند.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢]

١ - تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥٦ .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ "قوله : { يـدبر الأمـر } يقـول تعـالى ذكـره : يقضي الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها أمور الـدنيا والآخـرة كلهـا ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه.[1]

١ – تفسير الطبري ٧/ ٢٢٧ .

الفصل السادس :

لم ينكره أحد وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : إقرار الأمم بهذا التوحيد .

المبحث: الثاني هذا الإقرار لا يكفي للدخول في الإسلام .

المبحث الثالث: بعض من شذ فأنكره .

المبحث الأول :

إقرار الأمم بهذا التوحيد

من المعلوم أن هذا التوحيد لا ينازع فيه أحد مطلقاً إلا من شد ولا عبرة بالشاذ ، ولذا فكل الأمم مسلمهم وكافرهم صغيرهم وكبيرهم قد أقروا واعترفوا بربوبية الله لهم؛ بل حتى البهائم عرفت ربها وسبحت بحمده؛ بل حتى الجمادات كما قال جل وعز : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ولذا فإن هذا التوحيدُ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ؛ بل القلوب مفطورة على الإقرار به ؛ أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ (١٠) ﴾ [إبراهيم].

وما من أمه بعث الله لها رسول إلا كان أول ما يدعوهم إليه هو عبادة الله جل وعلا لا إلى التعرف إليه ولذا لم يقل رسول من الرسل لقومه تعرفوا إلى الله أو اعرفوا ربكم بل كانوا يدعوتهم إلى عبادة الله وحده فكل الرسل قالوا لأقوامهم :﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]

إذن فليس في هذا التوحيد نزاع بين الرسل والأمم؛ ولهذا أخبر الله عن قوم صالح الكفار الذين تمالئوا على قتل نبي الله صالح أنهم مقرون بالله ،

قـــال تعـــالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النمـل] وقـــال ســـبحانه : ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل]. فهم تقاسموا بالله يريدون قتله وهم مقرون، فمع كفرهم فهم مقرون بربوبيتـة وبوجـود الله ولم ينكروه.

وكذلك قوم نوح ومن جاء بعـده مـن الرسـل كقـوم هـود وموسـى وإبراهيم وعيسى وكفار قريش كلهم يقرون بتوحيد الربوبيـة ، كـما أخـبر عنهم سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه .

قال في التيسير : "وهذا القسم من التوحيـد لم يعـارض فيـه المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كانوا مقرين به إجمالاً ؛ كما قال تعـالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الزخرف فهم يقرون بأن الله هو الذي يدبر الأمـر، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ..." [1]

والآيات الدالة على أنهم مقرون به كثيرة معلومـة، منهـا قولـه تعـالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخـــرف] وقولـــه :

١ - تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، وانظر القول المفيد ١/ ١٤ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت] وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون]

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس]

إذًا هم مقرون بهذا التوحيد، ولم ينكروه؛ لأن الأمر فطريّ ، فطر الله عليه جميع طوائف بني آدم إلا من شذ .

وهنا مسألتان يحسن ذكرهما :

المسألة الأولى: هل إقرارهم به يعني أنهم أتوا به على الوجه الأكمل ؟

في الحقيقة ليس معنى إقراره المشركين بتوحيد الربوبية أنهم أتوا به على الوجه الأكمل ؛ بل إنما كانوا يقرون به إجمالا كما حكى الله عنهم في الآيات السابقة ؛ لكنهم كانوا يقعون في أشياء تخل به وتقدح فيه ؛ ومن

ذلك اعتقادهم في الكهنة والسحرة بأنهم يعلمـون الغيـب واعتقـادهم أن آلهتهم التي يزعمون تنفع وتضر ، أو أنها مصدر للخير والبركـة ، إلى غـير ذلك من صور الـشرك في الربوبيـة ؛ لكنهـا تبقـى قليلـة محـصورة إذا مـا قورنت بصور شركهم في الإلهية والعبادة. (١)

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف] قال ابن عباس تـسألهم مـن خلـق الـسموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره .(٢)

فالكفار المشركون مقرون أن الله خالق الـسموات والأرض ولـيس في جميع الكفار من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته وصفاته وأفعالـه هـذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الـصائبة المـشركين الـذين يعبـدون الكواكـب والملائكـة ولا مـن عبـاد الأنبيـاء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغـيرهم فـان جميـع هـؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم مقـرون بـالرب الحـق الـذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون بـه في ألوهيته أن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شفعاء أو شركـاء أومـشركون في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب بعض الكائنات دونـه مـع اعـترافهم بأنـه

---

١ – تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، وانظر القول المفيد ١/ ١٤ .

٢ – مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٥٠

رب ذلك الرب وخالق ذلك الخلق . وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد.[١]

المسألة الثانية : الغرض من سياق الربوبية في القرآن :

قد يتساءل البعض فيقول : إذا كان الخلق كلهم مقرون بربوبية الله جل وعلا فلماذا ساق الله سبحانه وتعالى في كتابه وكرر ذكر ربوبيته كثيراً ؟ والجواب أن يقال :

لقد تنوعت الأساليب التي ساق الله فيها ذكر الربوبية في كتابة ومن يتتبعها يدرك أنها تدور حول قضية واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة وحده سبحانه وترك عبادة من سواه. وإليك أخي القارئ الكريم شيئاً من تلك الأساليب :

١. المجادلة العقلية للمشركين في بيان بطلان معبوداتهم ووجوب عبادة الرب جل وعلا ، وقد تعددت الطرق التي ذكرها سبحانه في هذا الدليل العقلي ومنها :

أ ـ بيان أنهم لا يخلقون بل يخلقون فكيف يستحق المخلوق الضعيف أن يعبد ؟ وما الفرق بينه وبين العابد ؟! قال سبحانه : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ**

١ – المصدر السابق وانظر ١٤/ ٣٧٧

شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور]

ب ـ مقارنة صفات المعبود الحق بصفات المعبود الباطل وبيان أنها لا تملك من صفات الربوبية شيء ولذا وجب عبادة الرب الحق وترك كل معبود باطل، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم]

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس]

ج ـ بيان سفه عقولهم كيف يعبدون من دون الله مالا يملك لهم نفعاً ولا ضراً ويتركوا النافع الضار الذي بيده ملكوت كل شيء ، قال سبحانه: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يونس]

٢ . تجهيلهم بقولهم على الله بلا علم ، قال سبحانه : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ ﴾ [الحج]

٣ . احتجاج الله عليهم بما أقروا به بما أنكروه :

احتج سبحانه بهذه الاعتراف على ضلال مسلكهم في عبادتهم غيره، وتوجههم إلى سواه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت] ذلك أن المنطق العقلي يقتضي أن تصرف العبادة إلى الخالق الرازق ، الذي بيده مقاليد الأمور، أما صرفها إلى من لا يملك لنفسه ضرا ، ولا نفعاً – فضلا عن غيره – فهذا مما لا تقر به العقول السليمة ، ولا تؤيده الفطر المستقيم.

٤. ضرب الأمثال على بطلان كل ما عبد من دون الله وهذا كثير في كتاب الله وقد تنوعت الأساليب في ضربها ومنها :

أولا : ضرب الأمثال للمقارنة بين المعبود حقا والمعبود كذبا وزورا، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد]

ثانيا : ضرب الأمثال لبيان بطلان المعبودات من دون الله وأنها لا تملك أن تدفع عن نفسها الضر ولا تجلب لنفسها النفع فكيف بغيرها ، بل كيف

تستحق أن تعبد : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل]

ثالثاً : ضرب الأمثال لبيان خفة عقولهم وضلالهم ووهن ما عبدوه من دون الله قال سبحانه : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت]

رابعاً : ضرب الأمثال لبيان هوان هذه المعبودات وشدت ضعفها مهما وصفت فيه من القوة والجبروت قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج]

خامساً : ضرب الأمثال لبيان قدرة الله جل وعلا على إحياء الموتى والبعث والنشور وهذا مالا يمكن أن يكون من المعبودات من دون الله ، وهو كثير في كتاب الله جل شأنه فقد عد سبحانه في سورة واحده أربع حوادث في إحياءه للموتى بعد موتهم ، فقد أرى بني إسرائيل آية ذلك بإحياء الرجل المقتول ، ولما خرجوا وهم ألوف حذر الموت أماتهم الله ثم

أحياهم ، وذكر سبحانه حادثتين أخريين أحدهما : عندما طلب إبراهيم عليه السلام أن يريه كيف يحي الموتى ، والأخرى عندما أمات الحمار وصاحبه ثم أحياهما ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[البقرة : ٢٥٩]

سادسا : ومن ذلك ضرب الأمثال الكثيرة في إنزال المطر وأحياء النبات ثم عود الأرض كما كانت جرداء قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ [الروم] (١)

وليس المقصود هنا تقصى ذلك، وإنما الإشارة إلى شيء من هذه المواضع ، وقد حصل والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في تقرير عقيدة التوحيد ٢٧٦ وما بعدها .

المبحث الثاني :

بعض من شذ فأنكره أو نسب بعض صفاته إلى غيره

توحيد الربوبية معلوم بالبراهين العقلية والفطر السليمة والدلائل الكونية وأمره ظاهر للعيان لا يمكن أن يخفى على أحد من الخلق ولذا لم ينكره أحد معتبر، ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ولم يعرف عن احد من الطوائف أنه قال إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور]

إلا أننا نجد بعض من طمس الله بصرة وأعمى بصيرته ممن أنكر ربوبية الرب جل وعلا وجحد وجوده أو جحد بعض صفاته ، أو جعل له شريكاً فيها . ويمكن تقسيم أولئك إلى طائفتين :

أحداهما : الذين عطلوا الرب عن جميع صفاته

قص الله عز وجل علينا في كتابه الكريم قصة طاغيين أنكرا وجود الرب جل وعلا وادعيا بعض خصائص الربوبية ، فعاقبهما الله عز وجل، بجنس ما ادعياه

الطاغية الأول : النمرود بن كنعان[1] الذي زعم أنه قادر على إحياء الموتى مضاهيا بذلك الخالق جل وعلا ، فقال لإبراهيم ـ عليه السلام ـ حينما حاجه في ربه ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾البقرة: ٢٥٨ ردا على إبراهيم عليه السلام حينما قال له : ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فجاء برجلين قتل أحدهما وأبقى الآخر وقال: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن طلب منه فعلا آخر من أفعال الرب - جل جلاله - فقال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ فانقطعت حجته وبهت قال تعالى : ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وقد ذكر أهل التفسير : أن الله عز وجل ابتلى النمرود ببعوضة دخلت رأسه وهو يحاول إخراجها ، لكن دون جدوى ، فما كان منه إلا أن أمر من عنده أن يضربوا رأسه بالنعال فكان أعز الناس إليه من يضربه ، إلى أن مات[2].

فهذا الذي ادعى إحياء الموتى قد عجز أن يميت بعوضة على صغر حجمها ، وقربها منه ، وإيذائها .

---

١ ـ جبار كان ببابل يقال له : نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل : إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، تفسير الطبري ٣/ ٢٥

٢ ـ انظر تفسير الطبري ٣/ ٢٥ وتفسير القرطبي ٣/ ٢٧١ .

الطاغية الثاني : فرعون عليه لعنة الله ، وهو أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب جل وعلا، كما أخبر الله عنه أنه قال - : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات] وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨] وبهذا ناقض فطرته التي فطره الله عليها من الإيمان بالرب جل وعلا، ولذا فإنه كان مستيقنًا به في الباطن كما أخبرعنه تعالى على لسان موسى - عليه السلام - قوله : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾النمل: ١٤ ومع ادعائه الربوبية ، لم يستطع أن ينجي نفسه من الغرق ، فأي رب هذا الذي يغرق ، ثم لا يستطيع أن ينجي نفسه

وممن أنكر ذلك أيضاً في العصر الحاضر : الشيوعيون، فقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده - سبحانه وتعالى - بناءً على عقيدتهم الفاسدة التي تقوم على إنكار كل مغيب وعدم الإيمان إلا بالمحسوسات وتأليهه الطبيعة ، فنسبوا إلى الطبيعة الخلق والإرادة والحكمة والتدبير نسأل الله سلامة العقول .

وهم في الحقيقة يناقضون أنفسهم وفطرهم ولذا نجد أن كثيرا منهم كفروا بها ورجعوا عن قولهم ؛ بل دولتهم سقط كيانها بأقل من سبعين عاما على قيام اكبر تجمع لهم في التاريخ ، وهذا يعتبر وقتاً وجيزا بالنسبة إلى عمر الدول .

وهم "إنما ينكرون وجود ربهم في الظاهر مكابرة ؛ وإلا فهم في الباطن لا بد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد ، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا وله مؤثر ، قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور][1]

ومنهم أيضاً المجوس الذين أنكروا توحيد الربوبية على سبيل التشريك المجوس الثنوية ، حيث قالوا : إن للعالم خالقين هما النور والظلمة ، إلا أنهم لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين ، بل جعلوا النور خير من الظلمة؛ لأنه يخلق الخير ، والظلمة تخلق الشر ، والذي يخلق الخير خير من الذي يخلق الشر . وأيضاً فإن الظلمة عدم لا يضيء، والنور وجود يضيء ؛ فهو أكمل في ذاته.[2]

الطائفة الثانية : المشركون به في ربوبيته ولم يعطلوا وجوده

ومن هؤلاء على سبيل المثال :

١ـ النصارى الذين جعلوا مع الله رباً يوجد ويتصرف ويغفر الذنب ويكشف الكرب ويقولون بأن خالق الخلق ثلاثة لكنهم لم يثبتوا للعالم

---

١ ـ انظر القول المفيد ١/ ١٤

٢ ـ شرح قصيدة ابن القيم ١/ ٣٦٥ لابن عيسى ، وانظر (تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، والقول المفيد ١/ ١٤).

ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض بل هم متفقون على أن صانع العـالم واحد ويقولون باسم الأب والابن وروح القدس اله واحد.[١]

٢ـ بعض من يزعم أن ثم خالقاً لبعض الأشـياء كالفلاسـفة الدهريـة في حركة الأفلاك أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، وكالقدريـة في أفعال العباد ، وكمن يعتقد في إلهه أنـه ينفعـه ويـضره بـدون أن يخلـق الله ذلك فيه ، ومن هنا فإن الله أبطل هذا النوع من الشرك في قولـه سـبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

٣ـ بعض المنتسبين إلى هذه الأمة من الغلاة في الأشـخاص كـالغلاة في نبينا عليه الصلاة والسلام القائلين بأنه له شيئاً من التصرف في الكون وأن الكون إنما خلق من أجله .

٤ـ غلاة الرافضة الذين يزعمون أن أئمتهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون كما هو ظاهر في كتبهم .

وليس المقصود هنا بيان شركهم وضلالهم فلعلـه يتيـسر ذلـك بـإفراده بمبحث مستقل وإنما المقصود تعداد طوائفهم .

---

١ ـ المصدر السابق

ومن هنا يتبين لنا أن إنكار وجود الله قليـل في الخلـق إلا أن الـشرك في الربوبية قال به كثير ممن ابتعد عن كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليـه وسلم ، أو ممن لم يؤمن به أصلا ، نسأل الله السلامة والعافية .

كما أنه ينبغي أن ينبه هنا إلى انه ليس في الخلق من اعتقد وجود خـالقين متماثلين في كل شيء ؛ لأنه لو كان للعالم صانعان متكافئان فعند اخـتلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تـسكينه أو يريـد أحـدهما إحياءه ويريد الآخر إماتته فأما أن يحـصل مرادهمـا أو مـراد أحـدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الـضدين، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركـة والـسكون ، ويـستلزم أيضا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها ؛ ولأن المانع من فعل أحـدهما هو فعل الآخر، فلو امتنع مرادهما لزم كون كل منهما مانعا للآخر، وذلـك يستلزم كون كل منهما قادرا غـير قـادر؛ لأن كونـه مانعـا يقتـضي القـدرة وكونه ممنوعا يقتضي العجز، وذلك تنـاقض ، وإذا حـصل مـراد أحـدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية.(1)

١ ـ انظر المصدر السابق

المبحث الثالث :

هذا الإقرار لا يكفي للدخول في الإسلام

تقدم أن الأمم قد أقرت بتوحيد الربوبية بـل إن الخلـق كلهـم مقـرون بذلك[١] إلا أن هذا الإقرار لم ينفعهم ولم ينجهم من عذاب الله جـل شـأنه كما قـال تعـالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف]وقـال سـبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر]

فعلم بهذا أن الإقرار بربوبية الله تعالى لا يكفي العبد في تحقـق إسـلامه بل لابد معه من الإتيان بلازمه ومقتضاه وهو توحيد الألوهية .

وهذا مما يؤكد أن توحيد الربوبية ليس هو الغاية من التوحيـد، ولـيس هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وأرسـل الرسـل وأنزلـت الكتـب ؛ خلافا لما يعتقده بعض من انتسب إلى هذا الدين من أهل الكـلام وبعـض المتصوفة الذي لا يشهدون إلا هذا التوحيد، حتى ظنوا أنه هو الغايـة مـن خلقهم، وأن من حققه فقد حقق غاية التوحيد الذي جـاءت بـه الرسـل ،

---

١ ـ بغض النظر عما وقع فيه من الشرك من كثير منهم ، فإنه لا يقدح في اقرارهم به ، كـما أن اقـرار كثير من الخلق في أن الله معبودهم لا يعني أنهم يخلصون العبادة له وينقادون.

فصار عامة المشركين الذين بعثت إليهم الرسل أعلم منهم بمراد الرسل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع ، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد ، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله ، حتى يجعلوا معنى الألوهية القدرة على الاختراع ، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولاً لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً ، وهم مع هذا مشركون". [١]

ومما يبين أن هذا التوحيد لا ينجي صاحبه من عذاب الله ولا يعد صاحبه مسلماً ما يأتي :

أولا : أن إبليس لعنه الله اقر به ونطق فلم ينجه من عذاب الله قال تعالى على لسانه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] فاعترف بربوبيته

١ ـ مجموع الفتاوى ٣/ ٩٨ ، والتدمرية ١٠٨ .

وعبوديته له العبودية العامة ، وقال سبحانه ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦] وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم]

فاعترف بربوبية الله له وأقر بضعفه وهوانه وأنه لا يملك لنفسه شيئاً بعدما وقعت الواقعة ودخل هو وجنوده النار .

ثانياً : أن فرعون إمام الملحدين اقر به ولم ينجه من عذاب الله قال سبحانه على لسان موسى مخاطباً فرعون ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]

وقال عنه قومه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: ١٤] إلا أن هذا لم ينفعهم ؛ بل إنه كان يدرك أنه له ربا يجب أن يعبده ولذا لما أدركه الغرق قال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس]

ثالثاً : أن جميع الأمم التي بعثت إليهم الرسل كانوا مقرين بذلك ومع ذلك بعث الله إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولذا كانوا أول ما يدعون أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده ، قال جل شأنه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وما من رسول إلا كان أول أمر يـأمر بـه قومه قوله : ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعـراف: ٥٩] ولـو كـان توحيد الربوبية منجينا لهم من عذاب الله لما بعـث الله إلـيهم رسـولا ولما وقع بينهم خصومة .

رابعاً : أن الخصومة بين الرسل وأتباعهم إنما وقعت في توحيد العبـادة لا الربوبية ولو كان توحيد الربوبية كافيا لما وقعت تلك الخصومة فيه قـال سـبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل] أي فريق مصدق به وبرسالته وفريـق كافر به وبرسالته وبما جاء به[1] وكذا سائر الرسل فما مـن رسـول إلا دعـا قومه إلى عبادة الله لا إلى إفراده بالربوبية قال سـبحانه عـلى ألـسنة رسـله : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم] قولـه تعـالى : {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ} استفهام معناه الإنكار أي لا شك في الله أي في توحيده قاله قتـادة وقيل : في طاعته.[2]

---

١ ـ انظر تفسير ابن جرير ٩/ ٥٣٠ ، وابن كثير ٣/ ٤٨٨.

٢ ـ تفسير القرطبي ٩/ ٢٩٥.

خامساً : أن نبينا عليه الصلاة والسلام أمر بمفارقة المشركين في دينهم وديارهم بسبب كفرهم بأحقية الله وحده للعبادة دون من سواه مع إقرارهم بتفرده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها ؛ بل لما جادله قومه في دعوته إلى إخلاص العبادة لله وحده قالوا له نعبد إلهك عاما وتعبد إلهنا عاما فأنزل الله قوله تعالى ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣** ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : "هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون } يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية" [١]

ومثلها قوله سبحانه : ﴿ **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١** ﴾ [يونس]

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم { فقل لي عملي ولكم عملكم } كقوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون } إلى

---

١ ـ تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٦ وانظر تفسير ابن جرير ١٢/ ٧٢٧.

آخرها وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين {إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله } الآية.) [١]

سادساً : أن كفار قريش وكفار العرب الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم يقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يؤمنوا بالله وحده ويخلصوا له الدين كله ، قال سبحانه : { ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[الزمر]

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]

سابعاً : أن هذا التوحيد وحده لا يعصم دم العبد وماله فقد أقر به المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم تنفعهم هذه الشهادة في شيء؛ لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية، ولذلك قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يقروا بتوحيد الألوهية .

قال صلى الله عليه وسلم : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأني رسول الله ؛ فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)) [٢][٣] .

١ ـ تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٠ .

٢ ـ رواه البخاري (ح ٢٥) ومسلم (ح ٢٠).

٣ ـ انظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٤٥.

ثامنا: أن من مات على توحيد الربوبية فقط لا ينجيه من عذاب الله.

عن أبي هريرة قال لما أنزلت هـذه الآيـة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء] دعا رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم قريـشا فـاجتمعوا فعـم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مـرة بـن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النـار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم مـن النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقـذي نفـسك من النـار فـإني لا أملـك لكـم مـن الله شـيئا ،غـير أن لكـم رحمـا سـأبلها ببلالها.)[1]

فبين عليه الصلاة والسلام أن من مات على ما كـان يعتقـده المـشركون دخل النار ، ولما سأله العباس : عمك أبو طالب كان يحوطك فهـل نفعتـه بشيء قال : ((**انه في ضحضاح من النار ولولا أنا كـان في الـدرك الأسـفل من النار**))[2]

فتبين بهذا أنه ليس كل مـن أقـر بـان الله تعـالى رب كـل شيء وخالقـه يكون محققا للتوحيد ناجيا من عذاب الله حتـى يكـون عابـدا لـه دون مـا

---

١ ـ رواه مسلم (ح ٢٠٤).

٢ ـ رواه أحمد ١/ ٢٠٦ وأصله في البخاري (ح ٣٦٧٢).

سواه، داعيا له دون ما سواه ، راجيا له خائفا منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه ويطيع رسوله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه .

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء لكنهم ابتغوا الشفعاء عند الله فجعلوا له أندادا قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزمر: ٤٣] ولهذا وجد أمثال هؤلاء ممن يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركاً ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام إن هذا شرك.

وأجهل منهم من جعل إثبات توحيد الربوبية هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة وعباد المتصوفة ممن لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.(١)

وكذلك " الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معنى الإله هو الخالق المتفرد بالملك فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيد الربوبية،

---

١ ـ انظر شرح قصيدة الإمام ابن القيم ٢/ ٢٥٩.

وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، ولا هو أيضا معنى لا إله إلا الله، وإن كـان لا بد منه في التوحيد؛ بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليـل هو أجل من جميع المعاني. وحاصله هو البراءة من عبادة كل مـا سـوى الله والإقبال بالقلب والعبادة عليه ."[١]

١ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. ١١٢ .

الفصل السابع :

من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية

الفصل السابع :

من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية .

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية لا يحصيها العد ولا يحيط بها العقل حصراً، ولذا فسأشير في هذا الفصل إلى بعض تلك الثمرات والتي منها:

١- أن تحقيق هذا التوحيد سبب لتحقيق التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخير ودفع الشر فإن المؤمن بكمال تحقيقه لربوبيته الله يتبرأ من كل حول وطول ويلتجأ بل ويعتصم بحول القوي العزيز، ولذا شرع لنا أن نقول : " لا حول ولا قوة إلا بالله عند العجز"

والحول التحول والانتقال من حال إلى حال والقدرة على ذلك، أي لا حول ولا قوة على ذلك الحول إلا بك، وذلك يفيد التوكل على الله لأنه علم وعمل فالعلم معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضر وعامة المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين وهو داخل في هذه الكلمة لأن فيها التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، والإقرار بقدرته على كل شيء وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة .[1]

---

١ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد بتصرف يسير ص ٣٨٣.

ومما يؤكد ذلك ويوضحه أن التوكل من نتائجه والتوكل من أعلى مقامات الدين ودرجات المؤمنين وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه.[1]

٢- تحقيق العبودية التامة لله جل وعلا فإن من عرف الله جل وعلا حق المعرفة عرفه بأسمائه وصفاته وآلائه وآياته الباهرة لا يمكن إلا أن يلهج لسانه بذكره وقلبه بالعبودية التامة له ، وهذا لا يكون إلا للمؤمنين الكمل الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١** ﴾ [آل عمران] فبلغ بهم تحقيق توحيد الربوبية إلى الإذعان له والإخلاص له في جميع أنواع العبادة ذلت لهم قلوبهم وألسنتهم وأبدانهم .

٣- البعد عن الشرك . إن من عرف الله وحقق الربوبية الكاملة له لا يمكن أن يشرك به شيئا لأن كل عابد لغير الله لا يخلو إما أن يكون راجيا أو خائفا وإذا عرف العبد أن من بيده جلب النفع ودفع الضر هو الله وحده لم يلتفت قلبه إلى غيره في طلب أي شيء ولذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد على بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا اعتمادا

---

١ ـ مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٢١

على الله واستغناء به عن غيره كما أبطل سبحانه اعتقاد كـل معتقـد في غـير الله أن يكون يملك نفعـاً أو ضرا فقـال جـل شـأنه : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ المائدة أي يسمعكم ويعلم حاجاتكم فيقضيها لكم .

٤- شهود فقره وحاجته إليه ، بل إن المحقق لتوحيد الربوبيـة ليـشهد فقر جميع المخلوقات إلى الله جل وعلا وعدم اسـتغنائها عنـه طرفـة عـين، وإذا كان كذلك لم ينزل حاجته وفقره إلا به ؛ بل لم يلتفت قلبه إلى غـيره في جلب خير أو دفع شر لعلمه بأن كل من توجه إليه بـشيء مـن ذلـك فقـير مثله فكيف يلتجئ إلى فقير ويترك الغنـي الحميـد قـال سـبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر]. قال ابـن جرير ـ رحمه الله ـ : "يقول تعالى ذكره : يا أيهـا النـاس أنـتم أولـو الحاجـة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبـدوا وفي رضـاه فـسارعوا يغنـيكم مـن فقـركم وتنجح لديه حوائجكم { وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ } عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم "(١)

٥- قوة التمسك بدين الله من أهم أسبابه معرفة الرب جل وعـلا بـما تعرف به على عباده وبما أوجبه عليهم وافترضه عن طريق رسله ، فإن مـن حقق ذلك لا يمكن أن يتزعزع عن دين الحق أبدا ولذا كان عليـه الـصلاة

١ ـ تفسير الطبري ١٠/ ٤٠٤ .

والسلام يقول : " يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شـديد " وذلـك قوله لقومه حينما جادله قومه في الملائكـة الـذين أرسـلهم الله عـلى شـكل شبان حسان فجاؤا يهرعون إليـه قـال تعـالى : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [هود]

٦- التمييز بين توحيدي الربوبية والألوهية تمييزا تاما يعرف به العبـد ما عليه غالب الناس بكونهم إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبيـة الذي لم يصل إليه شرك المشركين وإما مصدق لهم تابع لهـم وإمـا شـاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بـين ديـن الرسـول صـلى الله عليـه وسلم وبين دين النصارى.

٧- يوجد في المؤمن العزة لأنه يستمد القوة والعزة من الـرب العزيـز القوي المتين قال سـبحانه ردا عـلى المنـافقين في قـولهم : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون] فيعلم أن من طلب العزة من غـير الله أذلـه الله ومـن طلبهـا منـه أعزه الله .

٨- من عرف الله وحقق توحيد الربوبية قطع الطمع عن النظر فـيما في أيدي المخلوقين وذلك علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقـن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطـى، ولا معطـي لمـا منـع ـ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى بالله عما بأيديهم .

٩- تحقيق توحيد الربوبية طريق لتحقيق الإيمان بالقضاء والقدر ، فإن من عرف أنه جزء من ملك الله يصرفه كيف يشاء وعلم أنه سبحانه بكل شيء عليم لا يقع في ملكه إلا ما قد علمه وقدره قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة أورث في نفسه الصبر عند المصائب والشكر عند المحامد .

١٠-يورث الأنس بالله واطمئنان القلب بذكره جل وعلا وذلك أن المؤمن حقا إذا علم أن له ربّاً خالقاً هو الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ـ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره.

١١-يورث الخوف من الله وحده فإن من أيقن بأن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله ـ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين وخوفهم، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله ـ عز وجل .

١٢-يورث قوة الرجاء بالله جل وعلا فإن من عرف أنه سبحانه له ملك كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم بيده خزائن السموات والأرض ، يداه سحاء الليل والنهار لا يغيضهما شيء ، مهما أنفق لم ينقص من ملكه شيء فإنه لن يرجو سواه ولن

يتوكل على غيره ولن يسأله غيره ولن يلتجأ إلا إليه .

١٣-وبالجملة فهو يورث أنواعا من العبودية لله وحده من عبودية الذل له وحده وإنزال الحاجات ببابه ، وعبودية التوكل والرجاء والإنابة والمحبة وغيرها كثير لأن من عرف الله حق المعرفة عرفه بأفعاله وصفاته وأسمائه أورث فيه حبه والتعبد له بكل اسم أو صفه .

١٤-قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ "وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر لا بالمطالعة وفهم العبارة" (١)

١٥-كما أن من ثمرات الإيمان بربوبية الله وتوحيده الثبات في المحن والشدائد والفتن ، قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم] ، فإن المؤمن بربه يستمد العون منه محققاً قوله تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } يعلم أن من كان الله له معين فلا غالب له ، يركن إليه معتصما بحبله المتين .

١ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ص ١/ ١٢١

الخاتمة

وبعد هذا فإني احمد الله العلي القدير على توفيقه وامتنانه على مـا تفـضل به علي من الكتابة في هذا الموضوع والذي تتلخص أهم نتائجه فيما يلي:

١. أن هذا التوحيد من أنواع التوحيد التي وردت في الشرع .

٢. أن المراد بالتوحيد في إطلاق الشارع هو توحيد الإلهية لا الربوبية.

٣. أن تقسيم أهل العلم للتوحيد ليس بدعاً من القول وإنـما مـستنبط من نصوص الكتاب والسنة .

٤. أن أنواع التوحيد متلازمة مترابطـة وإنـما وضـع التقـسيم للبيـان والتوضيح لا على أنها متباينة متضادة .

٥. أن توحيد الربوبية مشتق من كلمـة " رب " وهـي مـشتملة عـلى عدة معان هي : السيد المطاع والمربي القائم بالإصلاح ، والمالك ، والمدبر ، والمعبود ، وقد أختص سبحانه منها بـالكمال المطلـق الـذي لا يماثلـه فيهـا أحد.

٦. كما أنه تقرر توقف قبول الإيمان على إفراد الله بالربوبية المطلقة.

٧. تعدد أسماء توحيد الربوبية واتحاد معانيها.

٨. أهمية توحيد الربوبية تكمن في فقر العبـاد إلى الله وفي لازمـه وهـو إخلاص العبادة لله وحده.

٩. لا تطلق كلمة الرب معرفة بالألف واللام إلا على الله جـل وعـلا فقط أما إذا جردت جاز إطلاقها على غيره .

١٠. لا يجوز إطلاق الألفاظ التي يكون فيها إيهام بالمشاركة بين الخالق والمخلوق وعليه تحمل نصوص النهي عن بعض الألفاظ .

١١. تفضل سبحانه وتعالى على المؤمنين من عبادة بمزيد العناية والتوفيق والحفظ ونحوها من مستلزمات الربوبية عن غيرهم .

١٢. من أخص صفات الربوبية صفة الخلق والملك والتدبير.

١٣. لم يعارض المشركون أنبياءهم في وجوب الإيمان بهذا النوع من التوحيد ، لكن إقرارهم لا يعني تحقيقهم له وإنما آمنوا به أجمالا وإن أنكر بعضهم شيئا من مدلولاته .

١٤. أكد سبحانه على هذا النوع من التوحيد في كتابه لبيان عظمته واستحقاقه للعبادة وحده دون من سواه ووجوب ذلك على خلقه .

١٥. تنوعت الأساليب القرآنية في سياق هذا التوحيد العظيم لتأكيد وجوب عبادته وحده سبحانه .

١٦. تبين بطلان ما يعتقده بعضهم من الاكتفاء بشهود الربوبية دون تحقيق العبودية لله وحده .

١٧. كما تبين أن هذا التوحيد لا ينجو به صاحبه من عذاب الله ولا يكون معصوم الدم والمال حتى يأتي بلازمة من تحقيق العبودية لله وحده .

١٨. ظهر من خلال البحث ما للإيمان بهذا التوحيد من ثمرات لا يمكن أن يستغني عنها أي عبد .

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام أهل الذمة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري.

٢. أحكام أهل الذمة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ط/ رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام - الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧ تحقيق : يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري.

٣. الاستقامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود - الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

٤. بدائع الفوائد حمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٦ – ١٩٩٦ تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد

٥. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيد ط دار الفكر.

٦. التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط العبيكان .

٧. تفسير ابن سعدي (الموسوم بتيسير الكريم المنـان في خلاصـة تفـسير القرآن) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر الـسعدي طبعـة مركـز صـالح بـن صالح بعنيزة .

٨. تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم) المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ط دار الشعب .

٩. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلـف : محمـد بـن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ط دار الفكر.

١٠. تفسير القرطبي لمؤلف : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبـي أبو عبد الله ط دار الكتب المصرية .

١١. تلبـيس الجهميـة في تأسـيس بـدهم الكلاميـة لأبي العبـاس شـيخ الإسلام أحمد بن تيمية تصحيح وتعليق محمد عبد الـرحمن بـن قاسـم ط الحكومة السعودية ١٣٩١هـ

١٢. توضيح المقاصد وتـصحيح القواعـد في شرح قـصيدة الإمـام ابـن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ تحقيق : زهير الشاويش .

١٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيـد المؤلـف : سـليمان بـن عبد الله بن محمد بن عبـد الوهـاب النـاشر : مكتبـة الريـاض الحديثـة – الرياض

١٤. جامع الرسائل لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – مصر . تحقيق : محمد رشاد سالم .

١٥. الجامع الصحيح المختصر المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي .

١٦. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، الناشر دار الكتب المصرية .

١٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية الناشر: دار الفكر.

١٨. حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ الرياض.

١٩. درء تعارض العقل والنقل لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١ تحقيق : محمد رشاد سالم .

٢٠. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢١. الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : مكتبة المدني – جدة تحقيق : د. محمد جميل غازي.

٢٢.رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر المؤلف : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي الناشر : دار حراء - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : أسعد محمد المغربي.

٢٣.زاد المعاد في هد خير العباد لشمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق شعيب الاوناووط / ط دار الرسالة.

٢٤.زاد المهاجر إلى ربه أو (الرسالة التبوكية) المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ط / مكتبة المدني جده تحقيق د. محمد جميل غازي.

٢٥.السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر : مكتبة المعارف – الرياض.

٢٦.سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر : دار الفكر ـ بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ترقيم تعليق محمد فؤاد عبد الباقي والأحاديث مذيلة .

٢٧.سنن أبي داود / لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٢٨.سنن الترمذي الموسوم (بالجامع الصحيح سنن الترمذي) المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٢٩.سنن النسائي الموسوم (بالمجتبى من السنن) لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها بأحكام الألباني عليها.

٣٠.شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الرابعة ، ١٣٩١.

٣١.شرح النووي على مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

٣٢.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم :محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

٣٣.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار طبعة الشربتلي .

٣٤.صحيح الإمام البخاري الموسوم بـ (لجامع الصحيح المختصر) المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

٣٥.صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

٣٦.الصفات الإلهية في الكتاب السنة النبوية د/ محمد أمان الجامي ط المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ١٤٠٨هـ .

٣٧.طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار ابن القيم – الدمام الطبعة الثانية، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

٣٨.الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٦، تحقيق : حسنين محمد مخلوف .

٣٩.فتاوى مهمة لعموم الأمة ١/ ٤ المؤلف : عبد العزيز بن باز ، محمد بن صالح العثيمين الناشر : دار العاصمة – الرياض .

٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ .

٤١. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب تعليق محمد حامد الفقي الناشر المكتب الإسلامي بيروت

٤٢. القواعد الأربع للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ط الجامعة الإسلامية .

٤٣. القول المفيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط ابن الجوزي .

٤٤. كتاب العين بي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر : دار ومكتبة الهلال - تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي .

٤٥. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

٤٦. لوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللهالناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض .

٤٧. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢المؤلف: محمد بن عبد الوهاب الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب .

٤٨. مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، طبعة مكتبة المعارف .

٤٩. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥ تحقيق : محمود خاطر .

٥٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ تحقيق : محمد حامد الفقي .

٥١. المدخل لدراسةِ العقيدةِ الإسلاميةِ على مذهبِ أهل السنةِ والجماعةِ د ابراهيم بن محمد البريكان طبعة دار ابن عفان وابن الجوزي.

٥٢. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص.

٥٣. مسند الإمام أحمد مسند لإمام أحمد بن حنبل الشيباني طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

٥٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول حافظ بن أحمد حكمي الناشر : دار ابن القيم – الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠ – ١٩٩٠ تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

٥٥. معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت .

٥٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٧. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مكتبة الحلبي بمصر .

٥٨. الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ تحقيق : محمد سيد كيلاني.

٥٩. منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

فهرس الموضوعات

حَادِثَةُ الإفْكِ

دِرَاسَة عَقَدِيّة في ضَوْء الكِتَابِ والسُّنّة

إعداد:

د.عفاف بنت حسن محمد مختار

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز- جدة

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك لـه، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله.

الحمد لله الذي اختار لنا القرآن الكريم كتابـاً، ومحمـداً صـلى الله عليـه وسلم نبياً ورسولاً، ففيهما النور المستبين، والطريق المستقيم..

أما بعد ...

فإن من أجلّ المناهل التي يردها طالب العلـم هـي تلـك التـي تـصب مياهها عند واحة الدين الإسلامي ... وهي لعمـر الله واحـة الخـير التـي متى استظل بفيئها المؤمن سعد وأفلح ... لذا آثرت أن أكتب عـن الأمـور العقدية المقتبسة من حادثة الإفـك الـواردة في سـورة النـور وفي الحـديث الصحيح المروي عـن عائـشة رضي الله عنهـا [(١)]، فتناولـت الحادثـة مـن خلال عرضها في الكتاب والسنة .. ومن ثـم اسـتبانت لنـا أمـور عقديـة كثيرة وعظيمة يتخذها المرء نبراساً يضيء طريقه فيعبد الله عـلى بـصيرة ... وحسبنا من مغبة حميدة لهذا البحث أن نستيقن بعظمة القرآن والسنة فبهما تنال السعادة في الدنيا والآخرة

(١) البخاري، كتاب تفسير سورة النور، باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات) ٨/ ٣٤٣-٣٦٧ ومسلم كتاب التوبة، باب حديث الإفك ١٧/ ١٠٢ .

أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه، وأن ينفع بها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. إن هذا الموضوع (حادثة الإفك) متعلق بجوانب مهمة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهي تكريم الله سبحانه وتعالى له، وتكريم زوجته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

٢. إظهار مزايا مذهب أهل السنة والجماعة من خلال تلك الحادثة.

٣. إرادة الإسهام في بيان مذاهب أهل الأهواء.

٤. مكانة أركان الإيمان في الدين.

٥. إن حادثة الإفك اشتملت على وحدة موضوعية متماسكة مترابطة فيما يتعلق بأركان الإيمان.

خطة البحـــث :

يقع البحث في مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة، أما المقدمة ففيها مايأتي:

- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
- خطة البحث.

- منهج البحث.

خطوات البحث:

التمهيـــــد: وقد اشتمل على:

١. تعريف الإفك في اللغة والاصطلاح.

٢. أبرز القائلين بالإفك.

٣. خطورته على من تفوه به.

٤. الموقف منه.

٥. تعريف الركن في اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: اشتمال الحادثة على أركان الإيمان، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: إثبات توحيد الربوبية من خلال حادثة الإفك.

المبحث الرابع: توحيد الألوهية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: تعريف اليوم الآخر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر من خلال حادثة الإفك.

الفصل السادس:الإيمان بالقضاء والقدر وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر من خلال حادثة الإفك.

الخاتمـــة: تشتمل على أهم النتائج المستنبطة من حادثة الإفك

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج التالي:

١. نقل المعتقدات من مصادرها الأصلية، فمعتقد أهل السنة من كتب أهل السنة ومعتقد أهل الأهواء والبدع من كتبهم .

٢. محاولة عرض الموضوع بكلام أبعد ما يكون عن التعقيد الكلامي الجاري على قواعد االمنطقيين .

٣. التركيز على مذهب أهل السنة والجماعة وبيانه .

٤. دحض المزاعم المنسوبة زوراً لأهل السنة .

٥. الاعتماد في هذا البحث على الآيات في سورة النور من آية ١٠- ٢٢ والحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري كتاب

تفسير سورة النور - باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات " ٨/ ٣٤٣-٣٦٧، ومسلم في التوبة - باب حديث الإفك ١٧ / ١٠٢ .

٦. ربط الواقع المعاصر بفرق قد يظن أنها انقرضت، والصحيح أن تلك الفرق لم تنقرض بل ما من فرقة من الفرق إلا ولها وجود، ولها معتنقوها وأتباعهالم تتغير في آرائها وعقائدها الأصلية، بل إن وجد تغيير ففي بعض المظاهر أو الجزئيات أو المسميات [1] أما الأصول فواحدة .

٧. ذكر آراء المخالفين لأهل السنة والجماعة في الحاشية خشية الإطالة، لأن ذكرهم في المتن يحتاج إلى ترجمة لهم مما يؤدي إلى تطويل البحث .

(١) كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغلاة الصوفية وغيرهم، فالخوارج يمثلهم الآن الفكر الأباضي، فالأباضية ما هي إلا فرقة من فرق الخوارج، أما المعتزلة فنجد الآن من يشيد بمذهبهم كالدكتور محمد عمارة في كثير من كتبه مثل : نظرة جديدة إلى التراث، الإسلام والمستقبل، والدكتور زهدي حسن جار الله في كتابه (المعتزلة) فقد دافع عنهم دفاعاً حاراً، ونال من أهل السنة والجماعة، والدكتور علي بن مصطفى الغرابي، والدكتور عرفان عبد الحميد، والدكتور عبد الكريم عثمان، وغيرهم كثير، وما العصرانية والعقلانية إلا أفراخ للمعتزلة وأصولها . وأما الجهمية فما زال في هذه العصور من ينادي بأصولها كجلال العظم وتوفيق الحكيم فهما يدافعان عن إبليس ويزعمان أن الله تعالى ظلمه وأجبره على الحال التي هو فيها، وأما غلاة الصوفية فيمثلها الآن من يتحمس لكتب ابن عربي، وبالذات بعض الفرق الصوفية كالتيجانية والمريدية والرفاعية وغيرهم، بل نجد بعض الكتاب كالدكتور عبد الحليم محمود وأحمد الرفاعي يدافعان عن عقيدة وحدة الوجود كلما سنحت الفرصة لهما. انظر كتاب المحنة لفهمي جدعان / ٤٧، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي / ٦٠-٦١، دراسات في الفرق لعرفان عبد الحميد ١٢٥-١٢٨، ذيل المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ٢٦٩-٢٧٧، العقيدة الحقة للرفاعي ١٢٩-١٣٩ .

٨. عند اختلاف الطبعة أشير إلى ذلك في الحاشية .

٩. عزو الآيات القرانية إلى مواضعها .

١٠. إذا كان الحديث في أحد الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر ثم أورد كلام أهل العلم قديماً أوحديثاً عليه .

١١. ذكر المعلومة أكثر من مرة إذا اقتضت ضرورة البحث.

١٢. تذييل البحث بخاتمة مع ذكر أهم الأمور العقدية المستنبطة من حادثة الإفك بالإضافة إلى النتائج المستخرجة من البحث .

الآيات التي تحدثت عن حادثة الإفك في سورة النور: (١٠-٢٢)

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا
ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ
بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ
﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا
يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

حديث عائشة رضي الله عنها بشأن حادثة الإفك:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أُحملُ في هودجي وأُنزلُ فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقَفَلَ ودَنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلتُ إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت عليه وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطل السُّلَميّ ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين

عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وكان الذي تولّى الإفك عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم؟" ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأَمرنا أمرُ العرب الأول في التبرز قِبَل الغائط فكنا نتأذى بالكُنِفُ أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر ابن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مِسطح بن أثاثة فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعَثَرَتْ أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ قالت : أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قالتْ: قلتُ: وما قال؟ قالتْ: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضي، قالت: فلمّا رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله

صلى الله عليه وسلم ـ تعني سلّم ـ ثم قال: "كيف تيكم ؟" فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوايّ؟ قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبويّ فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت : يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئةً عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً. وأما عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة: فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟" قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمِصُه عليها سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أبي ابن سلول. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا

خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي". فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتثاور الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر. فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها. فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها. وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: " أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه. فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه". قالت: فلما قضى رسول

الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أُحِس منه قطرةً فقلت لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلتُ لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقونني بذلك. ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال ﴿ فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون﴾ قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي. ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ، من ثقل القول الذي ينزل عليه. قالت: فلما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُري عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها: "يا عائشة، أمّا الله سبحانه وتعالى فقد برأك ". فقالت أمي: قومي إليه قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه وتعالى،

وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ﴾ العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبوبكر: بلى والله إني أُحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه. وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال:" يازينب ماذا عَلمتِ أو رأيت؟" فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً. قالت: وهي التي كانت تُساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع. وطفقت أختها حمنة تُحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك)) [1].

---

(١) البخاري كتاب تفسير سورة النور، باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات..) ٨/ ٣٤٣ – ٣٦٧ و مسلم كتاب التوبة، باب حديث الإفك ١٧/ ١٠٢.

التمهيــــد :

١) تعريف الإفك في اللغة والاصطلاح:

الإفك في اللغة :المصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة ، قال تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٩] وقال تعالى:﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [سورة النجم: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح. ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[الذاريات: ٩] وقوله تعالى: ﴿لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:٢٢] فالإفك في اللغة يأتي بمعنى الصرف، والقلب، والكذب، والحرمان، والاختلاف والخداع، والضعف والمنع. (١)

الإفك في الاصطلاح: عُرف الإفك في الاصطلاح بتعريفات عدة منها:

١. كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.(٢)

٢. كل شيء في القرآن الكريم إفك فهو كذب.(٣)

---

(١) المفردات في غريب القرآن ١٩_٢٠، لسان العرب ١/١٦٦_١٦٧، القاموس المحيط١٢٠٣

(٢) المفردات في غريب القرآن ١٩_٢٠، الكليات١٥٣، الموسوعة الفقهية٥/ ٢٩٩_٣٠٠.

(٣)المفردات في غريب القرآن١٩_٢٠، الكليات١٥٣.

٣. يقول الفقهاء: الإفك أبلغ مايكون من الكذب والافتراء، أو هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك.[١].

٤. صرف الاعتقاد الحق إلى الباطل، أو من الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح.[٢]

٥. وقد أجمع المسلمون على أن المراد بالإفك ماوقع من الكذب والافتراء على عائشة رضي الله عنها [٣].

أبرز القائلين بالإفك:

المشهورفي الروايات الصحيحة أن الذين خاضوا في الإفك وتكلموا فيه هم مسطح بن أثاثة [٤]وحسان بن ثابت [٥]وحمنة بنت

(١) الموسوعة الفقهية٥/ ٢٩٩_٣٠٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن١٩_٢٠.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/ ٢٩٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٢/ ١٧٦-١٧٧، فتح القدير للشوكاني ٤/ ١٣.

(٤) مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي، كان اسمه عوفاً وأما مسطح فهو لقبه وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت وأسلم أبوها قديماً كان أبوبكر الصديق رضى الله عنه ينفق عليه لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة رضي الله عنها حلف ألا ينفق عليه فنزلت ﴿ولايأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى﴾ سورة النور:٢٢ فعاد أبو بكر رضى الله عنه عنه إلى الإنفاق عليه، جاء في الصحيحين أن مسطح قد جُلد في حادثة الإفك مات سنة٣٤هـ في خلافة عثمان، ويقال عاش إلى خلافة علي رضي الله عنهما وشهد معه صفين ومات في تلك السنة سنة ٣٧هـ .انظر الإصابة ٣/ ٤٠٨_٤٠٩.

(٥) حسان بن ثابت بن المنذر بن حزام الأنصاري،الخزرجي، ثم النجاري، أبو الوليد، أبو عبد الرحمن، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام

جحش [(١)] وعبد الله بن أبي بن سلول [(٢)] وكـان هـو الـذي تـصدى لـذلك وتقلد كبره فكان يقـول (فجـر بهـا ورب الكعبـة) (مابرئـت عائـشة مـن صفوان ولابرئ منها) (امرأة نبيكم باتت مع رجل) [(٣)(٤)] وقد اختلـف في مسألة الحد فقيل: إن النبي صلى الله **عليه وسـلم** جلـد في الإفـك رجلـين وامرأة وهم مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنـة بنـت جحـش رضى الله عنهم، وقيل: جلد عبد الله بـن أبي وحـسان بـن ثابـت رضى الله عنـه وحمنة. بنت جحش رضي الله عنها ولم يجلد مسطحاً رضى الله عنه، لأنـه لم

ستين سنة، ومات وله مائة وعشرون سنة رضى الله عنه . انظر الإصابة ٢/ ٦٢_٦٤، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: الدكتورسيد حنفي حسين/ ٢٨.

(١) حمنة بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية، أخت زينب بنت جحش زوج الرسـول صـلى الله عليه وسلم، هاجرت وبايعت رسول صلى الله عليه وسـلم، صـحابية شـهدت أحـداً لتـسقي العطشى، وتحمل الجرحى وتداويهم، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها مـصعب بـن عمير فقُتل عنها يوم أحد، فتزوجها بعده طلحة بن عبيد الله فولدت له محمـداً الـشجاذ وعمـران ولها ذكر في حديث الإفك.انظر الإصابة ٤/ ٢٧٥.

(٢) عبد الله بن أبيّ ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، المعروف بابن سلول المنافق المشهور، كان رئيساً مطاعاً، عزم أهل المدينة قبل أن يهاجر النبي صـلى الله عليه وسلم على أن يملكوه عليهم فانحل أمره ولاحصل دنيا ولا آخرة، ألبسه النبـي صـلى الله عليه وسلم قميصه عندما مات وصلى عليه واستغفر له إكراماً لولده فنزلت ﴿ولا تصل على أحـد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ التوبة: ٨٩ وقدكانت وفاته سنة تسع. انظر سير أعلام النـبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة ط١١،١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ١/ ٢٥٠-٢٧٠.

(٣) فتح الباري ٨/ ٣٧٣_٣٧٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢/ ١٧٨.

(٤) يتضح بذلك كذب من زعم أن الذي تولى كـبره هـو عـلي بـن أبي طالـب رضى الله عنـه أو حسان بن ثابت رضى الله عنه فقد ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالـت: إن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي.

يصرح بالقذف ولكن كان يسمع ويشيع من غير تصريح، وقيل لم يجلد أحداً منهم والراجح من الأقوال والمشهور من الأخبار(١) والمعروف عند العلماء أن الذين حدوا حسان ومسطح وحمنة رضى الله عنهم ولم يُسمع بحدٍ لعبد الله بن أُبي ويؤيد هذا قول عائشة رضي الله عنها(لما نزل عذري، قام الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم حسان ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش).(٢).

(فلم يُحد عبد الله بن أُبي لأن الله تعالى قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً، فلو حد في الدنيا لكان ذلك نقصاً من عذابه في الآخرة، وتخفيفاً عنه مع أن الله تعالى قد شهد ببراءة عائشة رضي الله عنها وبكذب كل من رماها، فقد حصلت فائدة الحد، إذ مقصوده إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف، كما قال تعالى﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] وإنما حد هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم إثم ماصدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة، ويحتمل أن يُقال إنما ترك حد ابن أُبي استئلافاً لقومه واحتراماً لابنه، واطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك،) (٣) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ١٧٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٧٨_١٨٨، فتح القدير ٤/ ١١_١٦، أضواء البيان ٦/ ١٥٩_١٦٦، روائع البيان للصابوني ٢/ ٥٩_١٢٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن١٢/ ١٨.

وقد كان ظهر مبادئها.[١]

٢) خطورته على من تفوه به:

أخبر الله تعالى بأن الذين يرمون المؤمنات العفيفات الطاهرات بالزنى، ويقذفونهن بالفاحشة، وهن الغافلات عن مثل هذا الافتراء والبهتان، هؤلاء الذين يتهمون الحرائر العفيفات الشريفات قد لعنهم الله بسبب هذا البهتان فطردهم من رحمته، وأوجب لهم العذاب الأليم، الجلد في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة[٢]،بسبب ما ارتكبوا من إثم وجريمة في حق أولئك المؤمنات، وليس هذا فحسب بل سوف تنطق عليهم جوارحهم وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم في ذلك اليوم الرهيب، بما كانوا يفعلونه من الإفك والبهتان، وستكون فضيحتهم

(١) كما جاء في الحديث الصحيح" قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أُبيّ ابن سلول فقال وهو على المنبر: من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق، تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت". أخرجه البخاري في كتاب تفسير سورة النور، باب ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات...﴾ ٨/ ٣٤٣ – ٣٦٧.

(٢).عذاب جهنم في الآخرة لمن مات كافراً أو منافقاً أو لم يتب توبة صادقة أما المؤمن القاذف إذا حُد الحد وتاب من الذنب وكانت توبته صادقة فيعفيه الله من عذاب الآخرة.

عظيمة عندما ينكشف أمرهم على رؤوس الأشهاد، وينالون جزاءهم العادل من أحكم الحاكمين، الذي لا تضيع عنده مثقال ذرة ويعلمون في ذلك اليوم أن الله عادل لا يظلم أحداً من خلقه، لأنه هو الحق المبين الذي يكشف لكل إنسان كتاب أعماله ويجازيه عليها الجزاء العادل [١].

الموقف منه:

يقول الله تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢] فالآية تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء الذي رُميت به أم المؤمنين رضي الله عنها فيوضح الله تعالى أن ذلك الكلام الذي رُميت به أم المؤمنين رضي الله عنها إن قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى، فالمؤمن الحق عندما يسمع مثل هذا الكلام والافتراء فلابد أن يعتقد في الآخرين الاعتقاد الحسن حتى لا يقع فيما وقع به من لاك في عائشة رضي الله عنها، فعلى المسلم أن يحسن الظن بالآخرين كما يحسن الظن بنفسه [٢].

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٧٥_ ١٨٨، فتح القدير ٤/ ١١_١٦، أضواء البيان ٦/ ١٥٩_١٦٦، روائع البيان ٢/ ٥٩_١٢٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٧٥_١٨٨، فتح القدير٤/ ١١_١٦، أضواء البيان ٦/ ١٥٩_١٦٦، روائع البيان ٢/ ٥٩_١٢٤.

٣) تعريف الركن في اللغة والاصطلاح:

الركن في اللغة:

الميل والسكون إلى الشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: ١١٣]، وعدم المفارقة للشيء، والركن الناحية القوية وما تقوى به من ملك وجند وغيره، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ [الذاريات: ٣٩]، والجمع أركان وركن الإنسان قوته وشدته، وركن الجبل والقصر جانبه، وركن الرجل قومه وعدّته ومادته. قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وهو الأمر العظيم، ويطلق الركن على الشرف والعزة والمنعة والعظمة والوقار والرزانة، والأركان تطلق على الجوارح، وأركان كل شيء جوانبه التي يستند عليها [١].

الركن في الاصطلاح:

ما يتوقف وجود الشيء على وجوده ولكنه جزء من حقيقة الشيء، فما جعله الشارع ركناً لشيء يكون جزءاً من ذلك الشيء، وينعدم وجوده شرعاً إذا انعدم الركن، فلا تحقق له بدونه فقراءة القرآن ركن في الصلاة والركوع ركن فيها تنعدم الصلاة بانعدام أحدهما ولا وجود لها بدونه [٢]

---

(١) لسان العرب ١/ ١١-١٢، المصباح المنير ١/ ٣٢٣، مختار الصحاح/ ٢٥٥، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالوهاب / ٧٣.

(٢) الموافقات للشاطبي ١/ ١٧٨ – ١٧٩.

الفصل الأول:

اشتمال الحادثة على أركان الإيمان، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: إثبات توحيد الربوبية من خلال حادثة الإفك.

المبحث الرابع: توحيد الألوهية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : إثبات توحيد الألوهية من خلال حادثة الإفك.

المبحث الخامس: توحيد الأسماء والصفات وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: إثبات توحيد الأسماء والصفات من خلال حادثة الإفك.

المبحث الأول:

تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح

الإيمان في اللغة:

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً، والإيمان في اللغة له استعمالان.[١]

١. تارة يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [سورة قريش: ٤] فالأمن ضد الخوف.

٢. تارة يتعدى بالباء أو اللام فيكون معناه التصديق[٢]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [سورة يوسف: ١٧] أي بمصدق.

٣. الإيمان في الاصطلاح:

عرَّف أهل السنة والجماعة الإيمـان بأنه اعتقاد وقول وعمل[٣]، وهو قول الصحابة والتابعين من بعدهم فقالوا الإيمان[٤].(تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان).[٥]

---

(١).الصحاح ٥/ ٢٠٧١، لسان العرب ١٣/ ١٢، المفردات / ٢٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١/ ٦٩-٧١.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٣٨٥.

(٤) من الذين قالوا بهذا القول الشافعي، مالك، أحمد، الثوري، الأوزاعي، الحسن البصري، سفيان بن عيينه، طاووس، مجاهد، ابن المبارك، الفضيل بن عياض. انظر السنة للإمام عبد الله١/ ٣١٠-٣٤٧، الإيمان لابن أبي شيبة / ٤٦، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/ ٨٨٦، شرح السنة للبغوي ١/ ٣٨-٣٩٠

(٥) اختلف الناس في مسمى الإيمان على أقوال :

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وأنه يزيد وينقص فيدخل تحت هذا الأصل الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى وبألوهيته وأسمائه وصفاته فيعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الله رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق، الرازق، المحيي، المميت وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن يُفرَدَ بالعبادة والتذلل، والخضوع، وجميع أنواع العبادات، وأن الله هو المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال، المنزه عن كل عيب ونقص.

فالإيمان بالله تعالى يشتمل على أربعة أمور [(١)]:

١. الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.
٢. الإيمان بربوبيته.
٣. الإيمان بألوهيته.
٤. الإيمان بأسمائه وصفاته.

---

١) إنه مجرد معرفة القلب وهو قول الجهمية. ٢) إنه قول اللسان وهو قول الكرامية. ٣) إنه التصديق وهو قول الأشاعرة والماتريدية. ٤) إنه التصديق والإقرار وهو قول أبي حنيفة رحمه الله ومن تبعه من مرجئة الفقهاء. ٥) إنه العمل والنطق والاعتقاد وهو قول الخوارج والمعتزلة، وخالفوا أهل السنة بجعلهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص فإذا ذهب بعضه ذهب كله انظر مقالات الإسلاميين١/ ٢١٣، التبصير في الدين/ ١٠٧-١٠٨، الملل والنحل ١/ ١٠٨-١١٣، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ٨٧-٩٤، مشارق أنوار العقول للسالمي ٢/ ١٩٧، المسائل والرسائل للإمام أحمد ١/ ٨٠.

(١) شرح العقيدة الطحاوية / ٣٣٥، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية / ١٥، الأجوبة الأصولية / ١٦.

المبحث الثاني

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى

الإيمان بوجود الله تعالى:

إن منهج أهل السنة والجماعة يرحمهم الله تعالى الإعراض عن مبحث الوجود والاستدلال عليه لأنه أمر مسلّم به مركوز في فطر البشر لا يكاد أحد ينازع فيه إلا شرذمة قليلة من البشر كالدهرية (١) في القديم والشيوعية ومن سايرهما من ملاحدة العصر. (٢)

ومع أن الإقرار بوجود الله تعالى فطريٌ ضروري إلا أنه يمكن إقامة الأدلة عليه، وهي كثيرة ومتنوعة ، ومن أنواع الأدلة على وجود الله تعالى:

---

(١) الدهرية: نسبة إلى الدهر قد عطلوا المخلوقات عن خالقها وقالوا ما أخبر به الله عنهم ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الجاثية:٢٤، فهم ينكرون الربوبية، ويجعلون الأمر والنهي والرسالة مستحيلاً من الله تعالى، ويقولون: هذا مستحيل في العقول، ويقولون: بقدم العالم وينكرون الثواب والعقاب، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق وينسبون الأمر إلى الدهر وينكرون المعاد والجزاء والحساب وهم فرقتان، فرقة قالت: إن الخالق لما خلق الأفلاك متحركة لم يقدر على ضبطها وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول. انظر الفصل في الملل والنحل١/ ٢٤٧، الملل والنحل٢/ ٦١، البرهان/ ٨٨، إغاثة اللهفان ٢/ ٦١٢.

(٢)شرح الفقه الأكبر للقاري/ ١٧.

أولاً: دليل الفطرة:

إن دليل الفطرة راسخ في نفوس البشر إلا ما غُير منها مصداقاً لقوله تعالى ﴿**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**﴾ سورة إبراهيم: ١٠ وقوله ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليه**﴾ [سورة الروم:٣٠] فوجود الحق ثابت في فطر الخلق كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى ويوضحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ((**كل مولود يولد على الفطرة**)) [١] على فطرة الإسلام، وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد، فدليل الفطرة أصل لكل الأدلة الأخرى الدالة على الإقرار بوجود الرب سبحانه وتعالى، فهي مؤيدة له ومثبتة للإقرار، ولتقرير أصل هذا الدليل إليك بعض الأدلة الدالة على ذلك:

أ- لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه عند الشدة والحاجة:

إن بني آدم جميعاً يشعرون بحاجتهم وفقرهم، وهذا الشعور أمر ضروري فطري، إذ الفقر وصف ذاتي لهم [٢] إذا ألمت بالإنسان - حتى المشرك - مصيبة فزع إلى خالقه سبحانه والتجأ إليه وحده، وشعور هذا الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه تابع لشعوره بوجوده وإقراره، يقول الله

(١) البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه ٣/ ٢١٩، ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٧.
(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل٨/ ٥٣٢ـ ٥٣٣.

تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٢] فرجوع الإنسان وإنابته إلى ربه عند الشدائد دليل على أنه بفطرته يقر بخالقه وربه سبحانه وتعالى.

ب- ورود التكليف بتوحيد العبادة أولاً:

إن أول واجب عند أهل السنة والجماعة هو الشهادتان [١] وهي عبادة الله تعالى وحده، ومما يؤكد تلك الحقيقة هو أن الله تعالى نص على محل النزاع بين الرسل وأقوامهم بقوله ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾[غافر:١٢]، وعلى هذا يكون تقرير هذه الحجة بأنه لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وربوبيته فطرياً لدعاهم إليه أولاً، إذاً الأمر بتوحيده في عبادته فرع الإقرار به وبربوبيته فيكون بعده [٢]، فلو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لساغ لمعارضي الرسل عند دعوتهم لهم بقول الله تعالى ﴿فاعبدون﴾ أن يقولوا: نحن لم نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا، فلما لم يحدث ذلك دل على أن المعرفة كانت مستقرة في فطرهم.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل٨/ ١١، شرح العقيدة الطحاوية/ ٧٥.
(٢) درء تعارض العقل والنقل٣/ ١٣٠، ٨/ ٤٩١.

جـ - إلزام المشركين بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية:

قد تقرر في القرآن الكريم أن الخالق هو الذي يستحق أن يُعبد، وأن المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق أن يعبد دون ماسواه، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] فالله تعالى ينهاهم أن يشركوا به

شيئاً وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له نداً أو عدلاً في الطاعة فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك أفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني [١].

إن المشركين لو لم يكونوا مقرين بربوبية الله تعالى لما قررهم به ولهذا كانت تقول الرسل لقومها ﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ إبراهيم:١٠ يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار) [٢].

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي/ ١٩٣.
(٢) درء تعارض العقل والنقل٨/ ٤٤١.

د- التصريح بأن الفطرة مقتضية للإقرار بالرب وتوحيده وحبه في الأدلة النقلية:

يقول الرسول **صلى الله عليه وسلم** (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (١) فالمراد بالحديث أن فطرته مقتضية وموجبة لدين الإسلام ولمعرفة الخالق والإقرار به ومحبته وقد جاءت الروايات الصحيحة التي فسرت الفطرة على أنها الملة (٢)، وقد أكد الرسول **صلى الله عليه وسلم** بالحديث نفسه فلم يذكر عند تغيير الفطرة بمؤثر خارجي فلم يقل (أو يمسلمانه) مما يدل على أن المراد بالفطرة معرفة الله والإقرار به بمعنى أن ذلك هو مقتضى فطرتهم، وأن حصولها لا يتوقف على وجود شرط وإنما على انتفاء الموانع (٣)

ثانياً: الأدلة العقلية:

من الأدلة العقلية التي تثبت وجود الرب سبحانه وتعالى:

١. من المعلوم أن النفوس إذا حصل لها معلِّم ومحضِّض حصل لها من العلم والإرادة بحسب ذلك، ومن المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومعلوم أن مجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم

---

(١).البخاري كتاب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين٣/ ١٩٢_١٩٣، ومسلم كتاب القدر، باب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة١٦/ ٢٠٧_٢١٠.

(٢).صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٨، درء تعارض العقل والنقل٨/ ٣٨٣، جامع البيان للطبري ١١/ ٢١_٤٠.

(٣).انظر درء تعارض العقل ٨/ ٤٥٤_ ٤٦٠

والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علَّم البهائم والجمادات وحضَّضها، لم يحصل لها ما يحصل لبني آدم والسبب في الموضعين واحد فعُلم أن ذلك لاختلاف القوابل، والقابل هو مقتضى الفطرة فدل ذلك على أن في النفس قوة ترجح الدين الحق على غيره [(١)].

٢. من الأدلة العقلية قوله تعالى ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ [الطور: ٣٥] ففي هذا المقام إثبات وجود الرب وإثبات توحيد الألوهية فيسألهم الرب أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ والإجابة لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجه الله سبحانه سؤالاً آخر أهم خلقوا السماوات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك، ولو كانوا غير مقرين بوجود الرب لأجابوا الله تعالى، ولكنهم لم يستطيعوا الرد لأنهم مفطورون على وجود الرب والإيمان به [(٢)] والقرآن الكريم يفيض بمثل هذه الأدلة العقلية التي تثبت وجود الرب وأن الإنسان مفطور على الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

---

(١) درء تعارض العقل٨/ ٤٥٦-٤٦٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/ ٢٥٧.

المبحث الثالث

توحيد الربوبية ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح

التوحيد في اللغة: من وحَّد الشيء جعله واحداً ووحّد الله تعالى أقر وآمن بأنه واحد. فمعنى وحَّدت الله: نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له، ليست بجعل جاعل، والتشديد في الفعل للمبالغة (١).

التوحيد في الاصطلاح: (٢)هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات وهو تعريف أهل السنة والجماعة.

فلذا فإن كل من عرف التوحيد بتعريفات مخالفة لتعريف أهل السنة والجماعة فهو تعريف مردود لكونه يخالف القرآن والسنة (٣).

---

(١).انظر القاموس المحيط / ٤١٤، المعجم الوسيط ٢/ ١٠١٦، معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠

(٢).انظر عقيدة أهل السنة والجماعة على منهج الكتاب والسنة/ ٧٥، كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب/ ٨١

(٣). اختلف الناس في موقفهم من التوحيد على عدة اعتقادات :

التوحيد عند الخوارج: قد دخله الخلل حيث شابهوا الجهمية والمعتزلة في نفي الصفات

التوحيد عند الشيعة: قد أخذوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة فصرفوا حق الله الخالص من العبادة لغيره.

التوحيد عند المعتزلة والجهمية: نفي صفات الله تعالى وتعطيلها.

التوحيد عند الكرامية: يكون العبد مؤمناً.ولو لم يقم بأي عمل من الأعمال لأن الإيمان عندهم هو النطق باللسان.

التوحيد عند الأشاعرة: الاكتفاء بتوحيد الربوبية وهو المعرفة مع النظر والقصد إلى النظر.

الرب في اللغة: الرب يطلق في اللغة على السيد والمالك والمدبر والمربي والقيم والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى [(١)].

الربوبية في الاصطلاح: هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السماوات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع بإرسال الرسل وإنزال الكتب [(٢)].

المطلب الثاني : إثبات توحيد الربوبية من خلال حادثة الإفك

١. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النور: ١١] . إن الآية توضح لنا أن الحادثة التي حصلت لزوجة الرسول **صلى الله عليه وسلم** وإن كانت في صورة البلاء

التوحيد عند الماتريدية: جحد حقائق أسماء الله تعالى وصفاته، لأن الواحد عندهم هو ما ليس بجسم، إذ أن الجسم أقله أن يكون مركباً من جوهرين وذلك ينافي الوحدة.

التوحيد عند القائلين بوحدة الوجود: إنه شيء واحد فالمؤمن والكافر والموحد والمشرك، والبر والفاجر، والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان جميع هذه الأمور لا فرق بينها بل الجميع شيء واحد وهذا ما وضحه ابن القيم يرحمه الله في كتبه. انظر الكافي للكليني ١/ ٢٦٠-٢٦١، شرح الأصول الخمسة / ١٢٨، الإرشاد للجويني/ ٢٥-٤٠، لمع الأدلة ١/ ٧٦، تحفة المريد / ٨٨، التوحيد للماتريدي / ٣٣، ١١٩-١٢١، الرد على الجهمية لابن منده / ٩، الصواعق المرسلة ١/ ١٩٩، ٣/ ٩٣٠-٩٣١، منها ج السنة ٣/ ٤٦٢، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢/ ٢٩٧.

(١)لسان العرب ١/ ٣٩٩، القاموس المحيط / ١١١

(٢).الفتاوى لشيخ الإسلام ١٠/ ٣٣١، مدارج السالكين ١/ ٣٤، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية- للدويش ١/ ٥٥.

والامتحان إلا أن فيها خيراً كثيراً، فقد نالت رضي الله عنها شرفا ومكانة سامية على صبرها وحسن توكلها على الله فأنزل سبحانه وتعالى في براءتها قرآناً يتعبد به الناس على مر الدهور، فالآية توضح لنا أن القضاء والقدر بيده سبحانه وتعالى وإن كانت فئة من الناس قد خاضوا فيها فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي قدر هذا الأمر وهو فِعلٌ من أفعاله تعالى، وكذلك إنزال الآيات في شأنها فعل من أفعاله سبحانه وتعالى فهو يتكلم وقت ما يشاء وكيف يشاء، فأنزل هذه الآيات في شأنها وهذا فعل من أفعاله، فخلقه للعبد ولفعله، وملكه الذي يتصرف فيه كما يشاء وتدبيره للأمور حسب ما يراه تعالى كل ذلك يدخل تحت ربوبيته الشاملة.

٢. يقول الله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٤].

إن الآية توضح أن الله تعالى قبل التوبة والإنابة إليه في الدنيا، وعفا عنهم لإيمانهم بالنسبة إلى الدار الآخرة، وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة، أما من خاض من المنافقين فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان شيء.

وبذلك يتضح المذهب الحق عند أهل السنة والجماعة من أن مرتكب الكبيرة إذا تاب وأناب غفر الله عز وجل له وإذا لم يتب فإنه تحت مشيئة

الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وإن عذبه فلا يخلده في النار بخلاف أقوال أهل الضلال في ذلك (١).

٣. يقول الله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور ١٧-١٨].

توضح الآيتان أن الله عز وجل نهانا متوعداً بقوله﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾وهذا نهي من منهيات الله عز وجل فتدخل تحت القضاء الشرعي، والقضاء الشرعي داخل تحت توحيد الربوبية، ثم بين لنا سبحانه وتعالى بأنه يوضح لنا الأحكام الشرعية والأحكام القدرية وهذا داخل في توحيد الربوبية.

---

(١).إن الفِرَقَ المخالفة للسلف ذهبوا إلى أقوال عدة في تلك المسألة:

١. إن سائر فرق الخوارج متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب حتى الإباضية الآن تقول بهذا القول، فلذا يخلدون مرتكب الكبيرة في النار.

٢. المعتزلة تقول إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار.

٣. الأشاعرة والماتريدية يقولون إن مرتكب الكبيرة لا يدخل النار.

٤. الشيعة تقول إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار، وقد قال بعضهم كالإمامية إن الذنوب لا تحبط الأعمال.

٥. الجهمية تقول إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في الجنة. انظر أصول الدين / ٢٤٩، الفقه الأكبر مع شرحه للقاري/ ٣٠٤، المقالات ١/ ٢٠٤، متشابه القرآن ١/ ١٣٢-١٣٣، اعتقادات فرق المسلمين / ٤٩، شرح الأصول الخمسة / ٦٣٢، مشارق الأنوار ٢/ ١٣٨، دراسة في تاريخ الأباضية / ٨-١٣، منهاج السنة ٣/ ٤٦٢-٤٦٣، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق الدكتور العقل ٢٠٨/١.

فالآيات وضحت لنا أفعالاً لله تعالى كالقضاء الكوني والقضاء الشرعي [١] وإنزال القرآن الكريم وتدبيره وأمر الخلق وتفضله وتزكيته ومغفرته وغير ذلك من الأمور وكلها تدخل في توحيد الربوبية له سبحانه وتعالى، حيث إن الله سبحانه متفرد بالخلق متفرد بالحكم، فهو سبحانه الذي يحكم في خلقه ما يشاء فيتضمن الحكم نفعهم وضرهم وتدبير أمورهم فالله عز وجل هو النافع الضار وهو المدبر للأمر والقاضي به، فدل ذلك على دخول الإيمان بالقضاء والقدر في توحيد الربوبية. [٢].

---

(١).القضاء الشرعي والقضاء الكوني: إن إرادة الله تعالى نوعان: أحدهما: نوع بمعنى المشيئة العامة وهذه هي الإرادة الكونية القدرية، فهذه الإرادة كالمشيئة شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، وأدلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ الأنعام ١٢٥، فهذه الإرادة لا تستلزم المحبة وليست بمعناها والثانية: نوع بمعنى المحبة والرضا كقوله تعالى[يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] البقرة ١٨٥ وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية، وهي تستلزم المحبة والرضا والأمر. انظر الفتاوى ٨/ ١٨٨-١٩٠، منهاج السنة ط مكتبة الرياض الحديثة ٣/ ٩٠-١٠٢.

(٢).فتاوى ابن تيمية ٨/ ٥٨، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين / ١٥.

المبحث الرابع

توحيد الألوهية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح

الألوهية في اللغة: الإله في اللغة المعبود، المطاع، المعظم، الملجأ، فالإله في اللغة يطلق على الله عز وجل وعلى ما يعبد من دون الله، أما اسم الله فلا يطلق إلا على الله عز وجل [١].

توحيد الألوهية في الاصطلاح: هو توحيد الله بأفعال العباد، وذلك بأن تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له [٢]، فالألوهية هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً.

المطلب الثاني: إثبات توحيد الألوهية من خلال حادثة الإفك

١. قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور ١٣] ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور ١٥]. فالله هو لفظ الجلالة بل ذهب بعض علماء أهل السنة والجماعة إلى أنه الاسم الأعظم [٣] لأن به

---

(١) معجم مقاييس اللغة / ٨٥-٨٦، لسان العرب / ١/ ١٨٨-١٩١.

(٢) التسعينية لشيخ الإسلام / ٢٨، الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب / ١٧٤، القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي/ ١٤

(٣) لقد تعددت الأقوال في تحديد اسم الله الأعظم فانقسم العلماء في شأنه إلى ثلاثة أقسام:

١- فريق أنكره وبنوا إنكارهم على أنه يلزم من إثباته أن يكون بعض أسماء الله تعالى أفضل من بعض ومن هؤلاء الطبري والأشعري وابن حبان والباقلاني والجنيد.

٢- فريق قال: استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه.

معرفة ذات الرب عزوجل ولا يسمى به أحد من خلقه، أو يدعى بـه إلـه من دونه ولذلك رجح الإمام ابن القيم يرحمه الله أن لفظ الجلالـة مـشتق، ورد بحجج قوية على من زعم أنه غير مشتق، ومعنى كونه مشتقاً أنـه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية، كسائر أسماء الله الحسنى، كالعليم والقدير والغفور، فإنها مشتقة من مصادرها [(١)].فالله هو الإله الحق الـذي تـصرف له العبادة وحده ولذلك فإن معنى لاإله إلا الله لامعبود بحق إلا الله.

٢. ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور١٦]. فالآية توضـح التنزيـه والتقـديس والثنـاء عـلى الله تعالى بقوله: [سبحانك]، والذكر عبادة لا تـصرف إلا لله تعـالى ولـذلك كان من أسماء توحيد الألوهية توحيد العبادة وتوحيد الطاعة.

٣. قــال تعــالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ

فريق أثبتوا الاسم الأعظم معيناً، إلا أنهم لم يتفقوا في تعيينه فقالوا بعدة أقوال منها : الاسم الأعظم هو لفظ (هو) وهو قول أهل الكشف ولا يقبل به أبداً، ومنها أنه لفظ الله، أو الله الرحمن الرحيم، أو الرحمن الرحيم الحي القيوم، أو الحي القيوم أو الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم، أو بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام أو ذو الجلال والإكرام، أو الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أو رب رب، أو دعوة ذي النون، أو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، أو كلمة التوحيد وقد وصلت أقوالهم إلى عشرين قولاً. انظر درء التعارض ٥/ ٣٤٩-٣٥٧، الفتاوى ١٠/ ٥٥٣-٥٦٧، ١٨/ ٣١١، التوحيد لابن منده ٢/ ٢١، تفسير القرطبي ١/ ١٠٢ مدارج السالكين ١/ ٥٥-٥٦، الصواعق المرسلة ٣/ ٧٥٠-٧٥١.

(١) بدائع الفوائد ١/ ٢٦، تفسير القرطبي ١/ ١٠٢-١٠٣، تفسير ابن كثير ١/ ٢٠-٢١.

لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢]. فقد وضحت الآية لنا بعض أنواع العبادات التي تصرف لله وحده كالنفقة على الأقارب والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وكصلة الرحم والعفو والصفح وكلها عبادات توجه لله تعالى وهذا هو توحيد الألوهية، بل إن الآية بمنطوقها وضحت أن الجهاد يكون لله وفي سبيل الله فدل ذلك على أن العمل لا يكون مقبولاً إلا بإخلاصه لله تعالى بالإضافة إلى المتابعة.

المبحث الخامس

توحيد الأسماء والصفات وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات في اللغة والاصطلاح

الاسم في اللغة (١): السمة، الرفعة، السمو، اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، ما دل على معنى في نفسه، فالاسم في اللغة ما أنبأ عن المسمى، فأسماء الأشياء هي من الألفاظ الدالة عليها وقد أجمع البصريون على أن الاسم المراد به العلو والارتفاع (٢).

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى / ٢٥٥، لسان العرب ١٤/ ٤٠١، تهذيب اللغة ١٣/ ١١٧.

(٢).لقد اختلف الناس في مسألة الاسم والمراد به إلى عدة أقوال:

١. إن الاسم هو المسمى وهو رأي كثير من المنتسبين إلى السنة كاللالكائي والبغوي وغيرهما، وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري كابن فورك وغيره.

٢. إن الأسماء ثلاثة أقسام: تارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم والقدير وهذا قول الأشعري.

٣. إن الاسم للمسمى وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى أهل السنة كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

٤. الإمساك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً، إذ كان كل من الإطلاقين أي الاسم غير المسمى، أو الاسم هو المسمى بدعة وهذا رأي بعض أهل السنة.

٥. الجهمية التي تقول إن الاسم غير الذات. انظر المقالات ١/ ٢٠٣، شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٢٠٤، مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٦، معالم التنزيل للبغوي ١/ ٥٠، الحجة في بيان المحجة ٢/ ١٦٢، الرد على من أنكر الحرف والصوت/ ١٧٩ .

الاسم في الاصطلاح: إن أسماء الله الحسنى هي: كلماته الدالة على ذاته المتضمنة إثبات صفات الكمال له بلا مماثلة وتنزيهه عن صفات النقص والعيب [١].

يتضح من التعريف أن الاسم للمسمى وهذا مذهب أهل السنة والجماعة [٢] الموافق لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠] ﴿أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً مَن أحصاها دخل الجنة**)) [٣] .

الصفة في اللغة: الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته ونعته كالسواد والبياض والعلم والجهل فالمراد من الصفة الإرادة اللازمة للشيء، والمراد بالنعت: وصفك الشيء بما فيه من حسن [٤].

---

(١).الفتاوى ٦/ ٣٧٩، بدائع الفوائد ١/ ١٥٩-١٧٠، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للأفغاني ٢/ ٤٠٠.

(٢) الفتاوى ٦/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) البخاري كتاب التوحيد، باب إن لله مئة اسم إلا واحد ٦/ ٢٦٩١، مسلم كتاب الدعوات والذكر، باب في أسماء الله ٤/ ٢٠٩٢.

(٤) لسان العرب ٩/ ٣٥٦-٣٥٧، المصباح المنير / ٢٥٤، القاموس المحيط ١/ ٧٦٦٦، المعجم الوسيط / ١٠٣٦-١٠٣٧، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٤٤٨.

- **تعريف توحيد الأسماء والصفات في الاصطلاح:**

هو الاعتقاد الجازم بإفراد الله تعالى بأسماء حسنى [(١)] وصفات علا يجب إثباتها والإيمان بها وفق ما أثبته الله سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه المجيد، وأثبته له رسوله **صلى الله عليه وسلم** على ما يليق بجلاله من غير تحريف [(٢)] ولا تعطيل [(٣)].

(١).لوامع الأنوار البهية ١/ ١٢٩، الرسالة التدمرية / ٦-٧.

(٢) التحريف: في اللغة التغيير والتبديل والطرف، اصطلاحاً: تغيير الفاظ الأسماء الحسنى والصفات العليا أو معانيها إلى معان أخرى لا يدلان عليها، وهو ينقسم إلى قسمين:
القسم الأول: تحريف اللفظ بزيادة أو نقص، أو تغيير شكل، وذلك كقول الجهمية ومن تبعهم في استوى استولى بزيادة اللام، وكقول اليهود حنطة لما قيل لهم:﴿قولواحطة ﴾، وكقول بعض المبتدعة بنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: [وكلم اللهُ موسى تكليماً] النساء: ١٦٤.
القسم الثاني: تحريف المعنى وهو إبقاء اللفظ على حاله وتغيير معناه وذلك كتفسير المبتدعة الغضب بإرادة الانتقام، والرحمة بإرادة الإنعام، واليد بالنعمة، ومن فرق التحريف الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية. انظر المفردات / ١١٤، المقالات ١/ ٣٥٠-٣٥١، ٢/ ٢٢٥، درء التعارض ط دار الكنوز ٢/ ٧٧-٨٥، الفتاوى ١٦/ ٤٧١، منهاج السنة ط جامعة الإمام ٢/ ١٠٨، التوحيد للماتريدي، دار الجامعات المصرية ٦٥-٦٩، تفسير النسفي ٤/ ٢٢٢-٤٣٩.

(٣) التعطيل: في اللغة الترك والخلو والفراغ ومنه قولهم جيد معطلة: أي خالية من الحلي، ومنه قوله تعالى: [وبئر معطلة] الحج:٤٥ أي هجرها أهلها، واصطلاحاً نفي دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد بها، وللتعطيل أنواع:
١. تعطيل الله عن كماله المقدس وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته أو تعطيل شيء من ذلك كما فعلت الجهمية والمعتزلة.
٢. تعطيل الله بترك معاملته وذلك بترك عبادته أو بعضها أو عبادة غيره معه.
٣. تعطيل المخلوق عن خالقه وذلك مثل قول القائلين: إن الطبيعة التي أوجدت الأشياء وأنها تتصرف بطبيعتها، ومن فرق التعطيل الفلاسفة والباطنية، والجهمية، والمعتزلة، والكلابية والأشاعرة، والماتريدية. انظر المفردات / ١١٤، التوقيف على مهمات التعاريف / ٥١٧، الرد على

ولا تكييف [(١)] ولا تمثيل [(٢)]، ونفي ما نفى الله عن نفسه جل وعلا أو نفاه عنه رسوله **صلى الله عليه وسلم** من كل العيوب والنقائص وكل ما ينافي كماله وجلاله [(٣)].

١. **الفرق بين الاسم والصفة:** أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به مثل القادر، العليم الحكيم، فإن هذه الأسماء

الجهمية / ١٠٤-١٠٥، درء التعارض ط دار الكتب ١٩٧١ م ١/ ٤٠-٤١، الأصول الخمسة / ١٢٩، خبيئة الأكوان، لخان / ١٥ .

(١) التكييف: تفعيل من الفعل كيف يكيف تكييفاً فهو في اللغة حكاية الكيفية، والكيفية هي كنه الشيء وحقيقته، واصطلاحاً هو حكاية كنه وحقيقة ما لا يعلمه إلا الله من المعاني، وذلك كأن يحكي حقيقة الذات الإلهية أو حقيقة صفاتها أو حقيقة ما هي، وهذا لا يمكن للبشر لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه. انظر المفردات / ٤٤٤-٤٤٥، قطف الثمر في بيان عقيدة الأثر / ٣١، شرح العقيدة الواسطية / ١٤ .

(٢) التمثيل: تفعيل من المثل وهو الند والنظير، واصطلاحاً: هو مساواة غير الله بالله ذاتاً وصفاتاً أو العكس، وهو ثلاثة أقسام:

١. تشبيه المخلوق بالخالق كما شبهت النصارى المسيح بن مريم بالله تعالى، وكما شبهت اليهود عزيراً بالله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢. تشبيه الخالق بالمخلوق كما فعلت المشبهة الذين يقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق ونحو ذلك من التشبيه الباطل.

٣. تشبيه الخالق بالمعدومات والمستحيلات والناقصات أو الجمادات، وهذا الذي وقع من الجهمية والمعتزلة، ومن أشهر فرق التمثيل البيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية والحلولية والمقنعية والزرارية، والمعتزلة، والروافض وغيرهم. انظر التوقيف على مهمات التعاريف / ٦٣٦،المقالات ١/ ٦٦-٦٧-٨٧، الفرق بين الفرق / ٨٦-٨٧، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ٧١-٧٣، البرهان / ٧٥-٧٧، ذكر مذاهب الفرق / ٨٦-٨٧، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/ ٤٦٣، الأجوبة الأصولية / ٣٢.

(٣) لوامع الأنوارالبهية / ١٢٩، الرسالة التدمرية / ٦-٧، اجتماع الجيوش الإسلامية / ٩٣-٩٥، مدارج السالكين ١/ ٤٨-٤٩.

دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من القدرة والعلم والحكمة، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالقدرة والعلم والحكمة، فالاسم يدل على أمرين، والصفة تدل على أمر واحد فالاسم متضمن للاسم وللصفة، والصفة مستلزمة للاسم [١].

المطلب الثاني: إثبات توحيد الأسماء والصفات من خلال حادثة الإفك

١ . يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[النور: ١٤] .

إن لفظ الجلالة (الله) من أفضل أسماء الله الحسنى حيث إن الأسماء تعود إليه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠].فالله المراد به الألوهية، والألوهية صفة لله تعالى تعني استحقاقه جل وعلا للعبادة لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا والمحامد العظيمة، لذلك يقول ابن عباس [٢] رضي الله عنهما (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين) [٣].

---

(١) الفتاوى ٩/ ٣٠١، فتاوى اللجنة الدائمة للدويش ٣/ ١١٦.

(٢) ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وبنو هاشم في الشعب، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم والحكمة وتأويل القرآن مع البركة والصلاح، وكان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره، وكان عمر رضى الله عنه يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر رضى الله عنه وفقهه، مات بالطائف سنة ٨٦ هـ وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٣٥٦-٣٦٠، الإصابة ٢/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣).أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٥٤.

كما ورد لفظ الجلالة في الآية جاءت أيضاً صفة الرحمة لله تعالى، وهي صفة من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، والنصوص الثابتة في صفة الرحمة لا تكاد تحصى ومن أسماء الله الحسنى الرحمن الرحيم، وكرر الله تعالى التمدح بالرحمة مراراً أكثر من خمسمائة مرة في كتابه الكريم، منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وستين مرة، وباسمه الرحيم أكثر من مئتي مرة وجمعهما للتأكيد مئة وست عشرة مرة [١].

فلذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الرحمة [٢] لله تعالى حقيقة، على ما يليق بجلاله وعظمته، وأما كونها في اللغة رقة وانعطافاً فهذا إنما يلزم في المخلوقين، وأما الرب جل وعلا فلا يلزم مثل هذا في حقه [٣].

٢. يقول الله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النور: ١٨] ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[النور: ١٩-٢٠] ، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) إيثار الحق على الخلق، لليماني ط دار الكتب العلمية / ١٢٥.

(٢) التعليق على فتح الباري للدويش / ١٦.

(٣) بذلك يتضح خطأ من حرف صفة الرحمة إلى معنى مخالف كالإحسان، أو الإنعام على العباد، أو أنها من باب المجاز، أو الرحمة التي خلقها الله لعباده، أو إيصال الثواب، أو إرادة إثابة الطائعين فكل هذه المعاني تحريف لصفة الرحمة الثابتة لله سبحانه وتعالى. انظر المقالات ١/ ٣٢٣، التبصير في الدين / ٤٠-١١١، الرد على الجهمية / ١٠٤-١٠٥، الفتاوى ٦/ ٣٥/ ١٣/ ١٦٥.

[النــــور: ٢١] ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النــــور: ٢٢].

إن هذه الآيات قد أثبتت عدة أسماء لله تعالى وهي العليم، الحكيم، الرؤوف، الرحيم، السميع، العليم الغفور، وأثبتت له عدة صفات العلم، الحكمة (١)، السمع، المغفرة، الرحمة والمشيئة فلا بد أن نثبت لله هذه الأسماء والصفات إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، فعلم الله تعالى من الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه فهو قد أحاط بكل شيء علماً جملة (٢) وتفصيلاً (٣)، والله تعالى له الحكم في الدنيا والآخرة وهو سبحانه إذا أحكم شيئاً لا يتطرق إليه الفساد، فقد أحكم هذا الخلق وأوجده وهو

---

(١).إن كل ما خلقه الله تعالى فيه حكمة، والحكمة تتضمن شيئين أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها، والثاني: حكمة تعود إلى عباده وهي نعمة عليهم يفرحون بها، ويتلذذون بها، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات. فهو سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا بغير معنى ومصلحة وحكمة، ولذا فإن من نفى الحكمة وأنكر التعليل من الأشاعرة والجهمية قد جانب الحق والصواب، وكذلك من قال: إنه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه من المعتزلة فهو من أهل الضلال. انظر الإرشاد للجويني / ٢٦٨-٢٦٩، نهاية الإقدام / ٢٩٧، محصل أفكار المتقدمين للرازي / ٢٠٥، الفصل دار المعرفة ٣/ ١٧٤، الإحكام لابن حزم ٨/ ١١١٠-١١١١، الفتاوى ٨/ ٣٥-٣٦، شفاء العليل لابن القيم / ٤٠٠-٤٣٤ ط التراث.

(٢) الحق الواضح المبين/ ٣٤-٣٦، شرح النونية للهراس ٢/ ٧٢

(٣).يتضح بذلك كذب الشيعة الذين يقولون: بالبداءة على الله تعالى والمراد بها: أن الله لا يعلم بالشيء ثم يعلمه بعد ذلك. وكذب القدرية الأوائل الذين يقولون: إن الله لا يعلم بالشيء إلا بعد وقوعه. انظر الأصول من الكافي ١/ ٣٢٧، الأنوار النعمانية ٢/ ٢٤٠-٢٤١، رسائل الشيعة للعاملي ٢٠/ ٣٩،٣٢٣، تأويل مختلف الحديث / ٤، تاريخ الجهمية والمعتزلة، للقاسمي / ٥٤

سبحانه الحكيم العليم، ورأفة الله[(١)] من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل تدل على اتصاف الرب بالبر والجود والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته وخصص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر [(٢)] والحظ الأكمل، فالرأفة وإن كانت تعني في اللغة العربية رقة وانعطافاً وميولاً فلا يلزم مثل هذا في حق الخالق سبحانه وتعالى ومن أسمائه السميع العليم ولذا نجد كثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمع سرها وعلنها، لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات.

أما مغفرته فصفة من صفاته الفعلية التي اتصف الله بها فهو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً فكل واحد مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه.

---

(١) بذلك يتضح خطأ من حرف صفة الرأفة لله عز وجل فقال: إن المراد بها إرادة الإحسان أو الإنعام من الأشاعرة والماتريدية. انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ط دار اللواء / ٤٤-٤٥، الفتاوى ٥/ ٢١-٢٢.

(٢) تفسير السعدي ٥/ ٦٢١.

فمن كمال عفو الله سبحانه وتعالى أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب ورجع غفر له جميع [١] جرمه صغيره وكبيره، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله والتوبة تَجُبُّ ما قبلها [٢] كما قال الله تعالى في الحديث القدسي : ((**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**)) [٣].

والمشيئة من الصفات التي اتصف بها الله سبحانه وتعالى فكل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل ما وُجد وخلق فهو قد أراده الله وقدره بمشيئته، وهو المذهب الحق [٤].

---

(١) يتضح بذلك خطأ الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخلدونه في الآخرة في النار فلذلك ينفون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر فيزعمون أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً. انظر شرح الطحاوية / ١٩٩ تحقيق الأرنؤوط، الروضة الندية / ٥٣٠ الكواشف الجلية / ٥٧٩.

(٢) شرح القصيدة النونية ٢/ ٨٧، الحق الواضح المبين / ٥٦.

(٣) الترمذي في الدعوات، باب غفران الذنوب مهما عظمت ٤/ ١٢٣ وقال حديث حسن، والألباني في صحيح الجامع ٥/ ٥٤٨ وقال حديث صحيح .

(٤) يتضح خطأ المعتزلة القدرية الذين قالوا: إن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر فلذلك فإن المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، والأشاعرة والجهمية والصوفية الذين يقولون: إن الله خالق كل شيء فجعلوا المشيئة والإرادة والمحبة والرضا بمعنى واحد فالمعاصي والكفر كلها محبوبة لله تعالى لأنه شاءها وخلقها، والصحيح أن الإرادة نوعان: أحدهما: نوع بمعنى المشيئة العامة وهذه الإرادة الكونية القدرية وهي شاملة لكل ما يقع في هذا الكون وأدلة هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى: [فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون] الأنعام: ١٢٥، فهذه الإرادة لا تستلزم

فالآيات أوردت بعض الأسماء الحسنى لله تعالى وبعض الصفات الذاتية والفعلية [١] لله تعالى.

كما جاءت صفة الكلام لله من خلال السنة النبوية كما قالت عائشة [٢] رضي الله عنها في الحديث الصحيح : ((**وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئني ببراء تي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى**))[٣] فدل

المحبة وليست بمعناها، والثانية: نوع بمعنى المحبة والرضى كقوله تعالى [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] البقرة: ١٨٥ . وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية وهي تستلزم المحبة والرضا والأمر. انظر التنوير في إسقاط التدبير، للسكندري / ٤٧، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة / ٣٦-٤١، شرح حكم ابن عطاء، لزروق / ٣٥-٣٦، الفتاوى ٨/ ١٨٨-١٩٧، ٤٤٠-٤٧٦، ١٧/ ١٠١، منهاج السنة ط مكتبة الرياض الحديثة ١/ ٣٦٠، التسعينية / ٢٧٠.

(١) قسّم أهل السنة والجماعة الصفات الثبوتية إلى قسمين: الذاتية هي التي لم يزل الله متصفاً بها ولا يزال كالعلم والعلو والوجه واليدين، ولا تتعلق بالمشيئة والإرادة، الفعلية وهي الأمور التي يتصف بها الرب سبحانه وتعالى فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته ومنها المحبة والرضا والاستواء والمجيء وقد تكون الصفة ذاتية فعلية كصفة الكلام، فباعتبار أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً فهو صفة ذاتية له، وباعتبار آحاد الكلام وأنه متى شاء أن يتكلم تكلم فهو فعل. انظر التدمرية / ٦٥-٦٦، الفتاوى ٦/ ٢١٧، شرح العقيدة الطحاوية / ١٨٠، القواعد المثلى / ٢٥.

(٢) عائشة رضي الله عنها: أم عبد الله حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضى الله عنه، كانت من أكبر فقهاء الصحابة حيث كانوا يرجعون إليها، بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم في شوال بعد وقعة بدر، ونزلت الآيات في تبرئتها مما رماها به أهل الإفك، حدث عنها جماعة من الصحابة والتابعين توفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ هـ. انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧-٢٩، السير ٢/ ١٣٥، الأعلام ٣/ ٢٤٠.

(٣) سبق تخريجه.

الحديث بمنطوقه على إثبات صفة الكلام لله تعالى وهو صفة ذاتية فعلية[١] وأن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيفما شاء بكلام [٢] يقوم به، وهو يتكلم بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام قديم [٣]، وإن لم يكن الصوت [٤] المعين قديماً، فالقرآن الكريم جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلاماً لغيره ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن الكريم اسماً لمجرد المعنى ولا لمجرد الحرف وإن الله يتكلم بصوت كما جاء في الأحاديث الصحاح [٥] كقول الرسول ﷺ : ((إذا

---

(١) بذلك يتضح خطأ الأشاعرة والماتريدية والكلابية والسالمية والملاحدة والباطنية والشيعة والصوفية الذين قالوا إن الكلام صفة قائمة بذاته. انظر الفتاوى ٦/ ٣١٦، ٩/ ٢٨٣-٢٨٥، شرح الأصفهانية، تحقيق العودة / ٣٤١، النبوات ط دار الكتب العلمية / ٢٠٢، مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٨٦ -٢٩٣.

(٢) بذلك يتضح خطأ الجهمية والمعتزلة والإمامية والفلاسفة والصوفية الذين يقولون إن كلام الله ليس صفة قائمة به، وقول الجهمية والمعتزلة بخلق القرآن، انظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/ ٢٧٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٣٠-٣١، الفتاوى ١/ ١٨٨-١٨٩.

(٣) يتضح بذلك خطأ الكرامية والهشامية الذين قالوا إن كلام الله قائم به، لكنه حادث بذات الله، تكلم بعد أن لم يكن متكلماً. انظر المقالات ١/ ٢٢٣، الفرق بين الفرق / ١٦١-١٦٣، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ ٨٧-٨٩، التبصير في الدين/ ١١١-١١٧ البرهان، ٣٥-٣٦/ ٨٢، الفتاوى ٦/ ٣١٦، ٩/ ٢٨٣-٢٨٥.

(٤) بذلك يتضح خطأ من قال: إن الله لا يتكلم بصوت مسموع كالفلاسفة والصوفية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلابية والسالمية. انظر الجواب الصحيح ٢/ ١٦٢-١٦٣، ٣/ ٩٤-١٠٣، درء التعارض ٢/ ٢٥٥، شرح الأصفهانية، تحقيق العودة/ ٣٤١، منهاج السنة ط دار العروبة ٢/ ٢٧٨-٢٨٦.

(٥). الإيمان لابن تيمية ط المكتب الإسلامي/ ١٦٢، الاستقامة ١/ ٢١١.

تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق من ربكم، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق)) [١].

وكذلك قول عائشة رضي الله عنها أثبت صفة العلو لله تعالى علواً يليق بجلاله وعظمته فالله يتصف بعلو الذات [٢] وعلو القدر والقهر، فلذا فإن أهل السنة والجماعة يثبتون لله الجهة [٣] وهي جهة العلو ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولا تكييف والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصر.

---

(١) البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى [ولا تنفع الشفاعة عنده] ١٣ / ١٨٧ .

(٢) يتضح بذلك خطأ من حرف صفة العلو لأن إثبات علو الذات عندهم يؤدي إلى الحلول في السماء وإلى الظرفية وإلى اتصاف الله عز وجل بالجسم وأقوالهم منافية للحق الذي جاء في الكتاب والسنة. انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٣٧٧-٣٩٤، معارج القبول للحكمي ط دار ابن القيم ١/ ١٤٤-٢٠٤.

(٣) إن أهل السنة والجماعة يقفون من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً مثل الجهة، والتحيز والمكان والجسم، والحركة موقفاً ثابتاً فإنهم يمتنعون من إطلاقها في الإثبات أو النفي، ولا يوافقون أحداً على إثبات لفظ منها أو نفيه حتى يعرفوا مراده فإن أراد حقاً قُبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ القرآن والسنة دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، وإن أراد باطلاً رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يُرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسَّر المعنى. انظر التدمرية / ٦٦، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦١.

فحادثة الإفك التي جاء ذكرها في سورة النور وفي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها تناولت أقسام التوحيد الثلاثة [(١)] الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فإن ذلك لا يدل إلا على جلاء عظمة القرآن الكريم والسنة النبوية فألفاظ قليلة توضح عقيدة كاملة.

(١).لقد قسَّم علماء أهل السنة والجماعة التوحيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار متعلقه وذلك أن توحيد الله تعالى إما متعلق بأسمائه وصفاته، فهو توحيد الأسماء والصفات، وإما يتعلق بأفعاله فهو توحيد الربوبية، وإما يتعلق بعبادته فهو توحيد الألوهية. وقسم بعض علماء أهل السنة والجماعة التوحيد باعتبار ما يجب على الموحَّد فيه إلى نوعين: أحدهما توحيد في المعرفة والإثبات، وهو يشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والآخر توحيد في الإرادة والقصد وهو توحيد الألوهية لأن الواجب على الموحّد فيه أن يوجه إرادته وقصده وطلبه إلى الله تعالى وحده لا شريك له، ويسمى هذا التوحيد بالتوحيد الإرادي الطلبي. انظر مدارج السالكين ١/ ٤٨، ٢/ ٤١٧، شرح الطحاوية ١/ ٤٢، أضواء البيان ط عالم الكتب ٣/ ٤٠٩-٤١، تيسير العزيز الحميد/ ٣٣١، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للعباد.

الفصل الثاني:

الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

تعريف الملائكة في اللغة والاصطلاح.

الملائكة في اللغة: الملائكة جمع ملك بفتح اللام فقيل: مخفف من مالك، وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة وهذا قول جمهور أهل اللغة، وأصله لاك، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون وهو الأخذ بقوة وحينئذ لا مدخل للميم فيه[1].

٢. الملائكة في الاصطلاح:

١. الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، مسكنها السماوات[2].

٢. إنهم خلق من خلق الله مربوبون مسخرون، عباد مكرمون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة لا يأكلون ولا يشربون ولا يملون ولا

---

(١) معجم مقاييس اللغة/ ٩٩٦،٨٨.

(٢) فتح الباري ٦/ ٣٠٦.

يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى. [(١)].

ولا يصح الإيمان بالملائكة إلا بالتصديق بوجودهم [(٢)] وإنزالهم منازلهم [(٣)] والاعتراف بأن منهم رسلاً لله.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٣٠٢، شعب الإيمان للبيهقي ١/ ٤٠٥-٤٠٦، أعلام السنة المنشورة / ٧٧.

(٢) يتضح بذلك خطأ الدهرية والفلاسفة والملاحدة الذين ينفون وجود الملائكة ويزعمون أنها غير موجودة ومن العقلانيين الذين يقولون إن الملائكة قوى طبيعية موجودة في المخلوقات ومن هؤلاء محمد عبده في كتبه. انظر تفسير المراغي ١/ ٨٦-٨٧، رسالة التوحيد لمحمد عبده/ ١١٢-١١٣، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١/ ١٦.

(٣) يتضح بذلك خطأ من غلا فيهم حتى عبدهم من دون الله، ومن جفاهم كمشركي العرب الذين قالوا إن الملائكة إناث واليهود وعداوتهم لجبريل عليه السلام، وفرقة الغرابية من الشيعة الذين يلعنون جبريل عليه السلام لأنه بزعمهم خان الأمانة وأعطاها محمداً صلى الله عليه وسلم، وهو مرسل بها إلى علي رضى الله عنه، والذين يطلقون على الممرضات بعقائدهم المخالفة للإسلام لفظ ملائكة الرحمة. انظر مشكاة الأنوار، للغزالي / ٣١، النبوات ط دار الفكر/ ١٦٨ – ١٦٩، الرد على المنطقيين/ ٤٧١ –٤٩٠، إغاثة اللهفان ١/ ٢٦١، مختصر التحفة الاثني عشرية / ١٤، المجموعة الكاملة لأعمال الشاعر حسن فقي ٥/ ٣١٥-٣١٦، شطحات مصطفى محمود، للجبري ١٣١- ١٣٤

المبحث الثاني:

الإيمان بالملائكة من خلال حادثة الإفك

قال الرسول **صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ....إلى أن قالت رضي الله عنها : ((**ولكن والله ما كنت أظن إن الله منزل في شأني وحياً يُتلى ......ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل إليه**)) [1] فالحديث بمنطوقه يوضح أن الله عز وجل أنزل قرآناً يُتلى في حق عائشة رضي الله عنها والموَكل عن الوحي هو جبريل عليه السلام وهو من أفضل الملائكة وأعظمهم حيث يقوم بالسفارة وهي النزول بالوحي على الأنبياء قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦] . فجبريل موَكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح العام قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾[الشعراء: ١٩٣] ، فالملائكة لهم أعمال عديدة منها: السفارة وحفظ أعمال العباد، والتعاقب في الناس بالليل والنهار وإنزال المطر والنفخ في الصور، وقبض الأرواح وكتابة أعمال العباد وحفظ العباد من بين أيديهم ومن خلفهم وتنعيم أهل الجنة وتعذيب أهل النار وحمل العرش وغير ذلك.

---

(١) سبق تخريجه .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون إيماناً جازماً بالملائكة وبوجودهم وأنهم من مخلوقات الله تعالى[١] ليسوا بنات الله ولا أولاده، ولا هم شركاء معه[٢] في ملكه، موصوفون بالقوة، لهم وظائف عديدة [٣] وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، وأنهم يموتون كما يموت بنو آدم، ويؤمنون بمن سمى الله منهم في كتابه، ويؤمنون بأن لله ملائكة سواهم لا يعرف أسماءهم وعددهم إلا الذي خلقهم، فهذا قول السلف في هذه

(١) بذلك يتضح خطأ الفلاسفة والعقلانيين الذين يقولون: إن الملائكة قوى معنوية لا أجسام فيجعلون الملائكة قوى النفس الصالحة والشياطين قوى النفس الخبيثة أو أنها الكواكب أو الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها. انظر الفتاوى ٤/٣٤٦، التوراة لمصطفى محمود/ ٦٠-٦١، شطحات مصطفى محمود/ ١٣١-١٣٤، الإسماعيلية تاريخ وعقائد،إحسان إلهي ظهير، الفكر الغربي عمر فروخ/ ٣٧٧-٤٠٠.

(٢) يتضح بذلك خطأ الغزالي الذي يقول: إن المراد من نفوس الملائكة اللوح المحفوظ، وهذا ما أكده شيخ الإسلام يرحمه الله عنه بأن الغزالي يُطلق في الإحياء وغيرها من الكتب كالمضنون بها على غير أهلها ألفاظ الملك والملكوت والجبروت ومقصوده الجسم والعقل الذي أثبته الفلاسفة، ويذكر اللوح المحفوظ ومراده النفس الفلكية، وهو إنما أخذها من الفلاسفة كابن سينا وغيره. انظر مشكاة الأنوار للغزالي، مكتبة الجندي / ٣١، النبوات ط دار الفكر/ ١٦٨-١٦٩

(٣) يتضح بذلك خطأ الفلاسفة والعقلانيين الذين يزعمون أن الملائكة ما يتصوره النبي في نفسه أشكالاً نورانية وهي العقول عندهم، وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق العالم ولا تحته، ولا هي أشخاص تتحرك، ولا تصعد ولا تنزل ولا تدبر شيئاً ولا تتكلم، وهذا ما يتفوه به بعض المستشرقين في الوقت الحاضر. انظر إغاثة اللهفان ط دار الحديث ٢/٦١٨، الفكر الغربي، فروخ/ ٣٧٧-٤٠٠.

المسألة لا اختلاف لهم فيها وقد اختلفوا في مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء أو الأنبياء على الملائكة، فجمهور أهل السنة فضَّلوا الأنبياء على الملائكة وبعض الفرق [(١)] فضلوا الملائكة على الأنبياء وقد حسم شيخ الإسلام [(٢)] يرحمه الله هذا الخلاف بقوله : ((وهو أن الأنبياء وصالحي البشر أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا دار القرار، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، فلا يظهر فضلهم وهم في ابتداء أحوالهم وإنما يظهر فضلهم عند كمال أحوالهم بخلاف الملك الذي تشابه أول أمره وآخره)) [(٣)]

فمذهب أهل السنة والجماعة مذهب ثابت لا يتحول ولا يتغير بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين ضلوا في هذا الباب. [(٤)].

(١)المعتزلة وبعض الأشاعرة قالوا بتفضيل الملائكة على الأنبياء. انظر لوامع الأنوار ط المدني ٢/ ٤، شرح الفقه الأكبر للقاري ط دار الكتب العلمية/ ١٧، العقيدة الطحاوية/ ٣٣٨.

(٢).شيخ الإسلام: هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام، بحر العلوم النقلية والعقلية، من الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان وهو أحد الأئمة الكبار المجددين في الإسلام، أحيى الله تعالى به منهج أهل السنة والجماعة، وقد امتحن وأوذي وتوفي محبوساً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦– ١٤٩٧، البداية والنهاية ٤/ ١٤١ ـ ١٤٥، فوت الوفيات ١/ ٣٤ المنهل الصافي ١/ ٣٣٦، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٣).الفتاوى ١١/ ٩٥.

(٤) إن الفرق الأولى قد ضلت في هذا الركن فالخوارج والأباضية الآن قالوا بخلق القرآن وبنفي الرؤية والنزول لله تعالى فعطلوا الملائكة عن بعض أعمالهم كإنزال الوحي وتعطيل حملة العرش عن حمل العرش عند النزول، والرافضة تقول: إن جبريل غلط بالوحي على محمد **صلى الله عليه وسلم**، والمعتزلةُ أنكرت عذاب القبر ونعيمه وقالوا بخلق القرآن ونفي الرؤية وتخليد مرتكب

الفصل الثالث:

الإيمان بالكتب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الكتب في اللغة والاصطلاح

- الكتب في اللغة:

الكتاب مصدر كتب يكتب كتاباً وكتابة وكتباً، ومدار المادة على الجمع ومنه الكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف، وسمي الكتاب كتاباً لجمعه ما وضع له، ويعبر بالكتاب عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم [(١)].

الكبيرة في النار فعطلوا جبريل عليه السلام عن أفضل أعماله وعطلوا حملة العرش عن بعض أعمالهم، وجعلوا الزبانية يعذبون المؤمن الذي لا يستحق العذاب كالكافر وفي هذا مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى، والمرجئة تقول بالإلهام والأخذ مباشرة من الملائكة فلازم قولهم وصف الملائكة بالمعاصي. فالمعروف أن الملائكة لا يقومون بأمر من الأمور إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، ويزعمون أنه ليس لله كلام مسموع فيكون على حد زعمهم أن جبريل ادعى كذباً أن ما في المصحف هو كلام الله تعالى، والجهمية تعطل الله سبحانه وتعالى عن صفات الكمال ونعوت الجلال فلا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا كلام فيؤدي قولهم إلى وصف الله بالعدم وبالتالي لا ملائكة ولا كتب ولا رسل. انظر الملل والنحل ٤/ ١٨٣، التنبيه والرد / ٣٤، التبصير في الدين / ١٤٨، البرهان ٧٣-٧٤ منهاج السنة ط جامعة الإمام١٠/ ١٧، الفتاوى ١٢/ ١٦٥، رسائل في العقيدة للعثيمين / ٢٣.

(١) المفردات / ٤٢٣-٤٢٥، التوقيف على مهمات التعاريف / ٥٩٩-٦٦٠، الكليات / ٥٩٩-٦٦٠.

- **الكتب في الاصطلاح :**

١. الكتب المراد بها الكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى على الرسل والأنبياء قال تعالى: ﴿**وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ**﴾[آل عمران: ١١٩] [(١)].

٢. يعبر بالكتاب عن الحجة الثابتة من جهة الله تعالى: ﴿**وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩] ، أي في اللوح المحفوظ.

٣. الكتاب عند الفقهاء: ما يتضمن الشرائع والأحكام، ولذلك جاء الكتاب والحكم متعاطفين في عامة القرآن، فالكتاب ما يكتب فيه وقد غلب في العرف العام على جمع من الكلمات المنفردة بالتدوين [(٢)].

---

(١) المفردات / ٤٢٥ وهو المراد من التعريف في الاصطلاح.

(٢) المفردات / ٤٢٣-٤٢٥، التوقيف على مهمات التعاريف / ٥٩٩-٦٦٠، فتح المجيد ١/ ١٥، إعلام السنة المنشورة / ٧٩-٨٠.

المبحث الثاني:

الإيمان بالكتب من خلال حادثة الإفك

١ .إن الآيات التي تحدثت عن حادثة الإفك [(١)] هي من كلام الله تعالى والقرآن الكريم هو أفضل الكتب التي أنزلها الله عز وجل فهو المهيمن والمؤمن والشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة يقول شيخ الإسلام يرحمه الله عن القرآن الكريم : ((وبيَّن ما حُرف منها وما بُدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبيَّن أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب [(٢)] ما حُرف منها وهو حاكم بإقرار ما أقره ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات)) [(٣)].

(١) في سورة النور من الآية ١٠-٢٢.

(٢) إن الكتب السماوية السابقة قد بدُل معظمها وهو الرأي الراجح عند أهل السنة والجماعة حيث إن الآيات والأخبار وضحت أنه بقي منها أشياء لم تبدل ومن ذلك قول الله تعالى: [الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل] الأعراف: ١٥٧ ومن ذلك قصة رجم اليهوديين وفيها آية الرجم: [قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين] آل عمران: ٩٣ وبذلك يتضح خطأ من قال إنها بدلت كلها. انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / ٩٦، المواقف في علم الكلام / ٤٢٨، التبصير في الدين / ١٠٨

(٣) الفتاوى ٧/ ٤٣-٤٤، ١٢/ ٣٩-٤٠، ٢٣٠-٢٣٦.

٢.قول عائشة رضي الله عنها في الحديث (**والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ .... فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه**) [١].

فالحديث أثبت إنزال الآيات العشر في حق عائشة رضي الله عنها والقرآن كتاب من كتب الله المنزلة من عنده سبحانه وتعالى بل هو أفضلها. ولذلك كان مذهب أهل السنة والجماعة في الركن الثالث: أنهم يؤمنون ويصدقون بالكتب وأنها كلام الله تكلم بها على الحقيقة، فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلَّغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء] الشورى : ٥١ وأنزلها على من اصطفى من أنبيائه ورسله لإبلاغ العباد رسالة رب العباد، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن هذه الكتب جميعها هدى ونور وشفاء لما في الصدور، مع الإيمان بما سمى الله سبحانه وتعالى من كتبه كالقرآن الكريم[٢] الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين، والتوراة التي أنزلها

(١) سبق تخريجه.

(٢) بذلك يتضح خطأ من قال بخلاف ذلك كالخوارج والمعتزلة والجهمية الذين قالوا بخلق القرآن، والأباضية الآن من أهل المغرب الذين يقولون بخلق القرآن والشيعة الذين يقولون بتحريف القرآن ونقصانه، والكلابية من المرجئة الذين يقولون: لم يزل الله متكلماً وكلامه صفة

على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أتاه داود عليه السلام والصحف التي أنزلها [١] على إبراهيم وموسى عليهما السلام، فهم يؤمنون بهذه الكتب التي سماها الله سبحانه وتعالى ويؤمنون بما لم يسم إجمالاً وأنها حق يصدق بعضها بعضاً، وأن القرآن الكريم أفضلها وأعظمها وهو شاهد على الكتب السابقة وناسخ لها كما قال تعالى﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة:٤٨].

قائمة به وهو الكلام النفسي، وهو قديم بقدمه تعالى، غير متعلق بمشيئته وليس هو بحرف ولا يكون صوتاً، ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير ولا يتفاضل وهو معنى واحد، والأشاعرة والماتريدية الذين وافقوا الكلابية، إلا أنهم خالفوهم في أن كلام الله في الأزل أمر ونهي وخبر واستخبار والله تعالى لم يزل آمراً ناهياً مخبراً، وغلاة الصوفية والزنادقة والفلاسفة الذين يقولون: كلام الله لا وجود له خارج نفس الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وإنما ما يفيض على النفوس من المعاني، أو مايفيض من العقل الفعال أو غيره، والمستشرقين الذين يزعمون أن القرآن ليس من كلام الله تعالى وإنما هو ما جاءت به عبقرية محمد **صلى الله عليه وسلم**، أو من الكتب قبله، أو من القوانين الرومانية وقد نهج نهجهم تلميذهم طه حسين. انظر الصواعق المرسلة ١/ ٢٣٠، أصول الكافي ١/ ١٨٨، الكشف والبيان لأبي عبد الله محمد سعيد الآمدي القلهاني، ١/ ٨٩، حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، للمقدسي،١٧_٢٠، الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال لابن تيمية، حديث النزول لابن تيمية/ ١٧٣، إغاثة اللهفان، ط دار الحديث ٢/ ٦١٨_٦١٩، شرح العقيدة الطحاوية، ط المكتب الإسلامي/ ١٦٨_١٦٩.

(١) يتضح كذب وافتراء الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والأباضية حيث إن بعضهم نفى الأسماء والصفات وبعضهم نفى الصفات وجعل الأسماء مقارنة للنفي. انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٤، التنبيه والرد/ ٩٦، الرسالة التدمرية/ ١٨.

الفصل الرابع:

الإيمان بالرسل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

تعريف النبي والرسول في اللغة والاصطلاح

- **النبي في اللغة:**

مشتق من النبأ فهو يُنبِئ عن الله عز وجل أي مخبر وقيل النبأ الطريق، سمي بذلك لأنه الطريق إلى الله تعالى، وقيل مشتق من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض، لرفعة شأن النبي [(١)].

- **الرسول في اللغة:**

مشتق من رسل، وأصل الرسل الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رسلة أي سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً ومنه الرسول المنبعث[(٢)].

---

(١) الصحاح ١/ ٧٤، معجم مقاييس اللغة ١/ ٧٤ – ٥/ ٢٨٥، لسان العرب ١/ ١٦٢، المفردات / ٤١٢.

(٢) الصحاح ٤/ ١٢٠٨، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٩٢، المفردات / ١٩٥.

- تعريف النبي والرسول في الاصطلاح:

كل منهما أوحي إليه بخبر من السماء أمر بتبليغه للناس إلا أن النبي أوحي إليه بشريعة من قبله بخلاف الرسول فإنه يوحى إليه بشريعة جديدة ليبلغها إلى قوم كفار، كنوح عليه السلام، وهذا أحسن ما قيل في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : ((النبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه من الله رسالة فهو نبي وليس رسول، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥١]فقوله [من رسول ولا نبي] فذكر إرسالاً يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره الله بتبليغ رسالته إلى من خالف كنوح))[١] [٢].

---

(١) النبوات ط دار الكتب العلمية / ٢٥٥-٢٥٧.- شرح الفقه الأكبر للقاري ط دار الكتب العلمية / ٢٠، الإرشاد مكتبة الخانجي / ٣٥٥،

(٢) دلت النصوص على أن آدم عليه السلام هو أول الأنبياء، وأن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل كما قال تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين] البقرة: ٢١٣ وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري (فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل) انظر جامع البيان ٢/ ٣٤٧، فتح الباري ٦/ ٣٧١.

ولا يشترط في الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف عليه السلام كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم عليه السلام. بذلك يتضح خطأ من عرَّف الرسالة بأنها تزيد على النبوة بتبليغ الأحكام للمكلفين بخلاف النبوة المجردة فإنها اطلاع على بعض المغيبات، وقد يقرر بعض الأنبياء شريعة من قبله، ولكن لا يأتي بحكم جديد مخالف لما قبله، ومع كون هذا التعريف ذكره كثير من أهل العلم في كتبهم [١] إلا أنه تعريف غير صحيح لأنه مخالف للقرآن الكريم [٢].

(١) أي أن النبي هو من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، والرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ط دار الفكر / ١٢١.

المبحث الثاني

الإيمان بالرسل من خلال حادثة الإفك

١ . إن القرآن الكريم بأكمله قد نزل على محمد **صلى الله عليه وسلم** وهو أفضل الرسل وخاتمهم والآيات التي في سورة النور قد أنزلت إليه عن طريق جبريل فدل ذلك على إثبات الرسالة له.

٢ . في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها ورد لفظ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عدة مرات منها على سبيل المثال (وكان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** معه ... فخرجت مع رسول **صلى الله عليه وسلم** .... حتى إذا فرغ رسول الله **صلى الله عليه وسلم**)[1]

فالحديث يثبت النبوة والرسالة لمحمد **صلى الله عليه وسلم** حيث إن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فمحمد **صلى الله عليه وسلم** هو خاتم الأنبياء وأفضلهم وأن رسالته نسخت باقي الرسالات السابقة.

فلذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بالرسل الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة والإيمان بمن لم يذكر مع الإيمان بأنهم بلغوا

---

(١) سبق تخريجه.

الرسالة [١] وأدوا الأمانة ونصحوا [٢] الأمة وأن الله عصمهم ونزَّههم عن الكذب والخيانة وكتمان الوحي والتقصير، وأما الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم تصديقه [٣] فيما أخبر [٤] وطاعته فيما أمر

(١) بذلك يتضح بطلان قول الفلاسفة وأهل التخييل والتأويل والتجهيل الذين يزعمون أن الرسل لم يبلغوا البلاغ المبين، ولم يفصحوا فيما جاءوا به مما يتعلق بالله تعالى وبأسمائه وصفاته العلى. انظر الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ط المدني ٤٦-٤٠.

(٢) يتضح افتراء وزعم أهل الأهواء الذين يزعمون أن مصدر أهوائهم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فالرافضة يدَّعون أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** هو الذي وضع بذرة التشيع وتعاهدها بيده الكريمة حتى نمت وترعرعت، والصوفية يدَّعون أن طريقتهم هي طريقة رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، والأباضية يزعمون أن ما هم عليه هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والقبورية والاتحادية والحلولية وغيرهم ينسبون ما عليه من الباطل إليه **صلى الله عليه وسلم**. انظر أصل الشيعة وأصولها، آل كاشف الغطاء / ١٠٩، التشيع والإسلام لباقر الصدر / ١٤-١٥، أبجدية التصوف الإسلامي لمحمد زكي / ١٠٠، الحكومة الإسلامية / ٥٢-٥٣

(٣) يتضح خطأ أهل الأهواء من موقفهم تجاه السنة من القرآنيين الذين يردون السنة النبوية، والخوارج الذين ردوا كثيراً من السنة كرد الحدود من الرجم والسرقة بل بلغ التجرؤ بفرقة منهم وهي اليزيدية أنها قالت إن شريعة الإسلام ينسخها نبي من العجم والمعتزلة الذين يردون أحاديث الآحاد والمرجئة كذلك. انظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/ ٣٠، ذكر مذاهب الفرق / ٤١-٤٢ الفرق بين الفرق / ٢١٠-٢١١، البرهان / ٢٩١، التنبيه والرد / ٢٩، الصواعق المرسلة ١/ ٢٣١، الفتاوى ٤/ ٣١٩، النبوات ط دار الكتب العلمية / ٢٥٥-٢٥٦ الصفدية / ٢-٣١١.

(٤) يتضح بذلك ضلال من أنكر الآيات الكونية التي جاءت في القرآن الكريم كآيات الأنبياء كناقة صالح، وعصا موسى وفلق البحر له ومائدة عيسى، وانشقاق القمر وخروج الماء من بين أصابع الرسول **صلى الله عليه وسلم** من الفلاسفة وأصحاب المدرسة العقلية، بل بلغ الغلو ببعض أصحاب هذه المدرسة أن كفر بجميع آيات الأنبياء، أما فرقة القرآنيين فإنها تنكر جميع آيات الأنبياء ما عدا آية الرسول محمد **صلى الله عليه وسلم** وهي القرآن. انظر المدرسة العقلية الحديثة، المدينة في الإسلام لمحمد وجدي، منهج المدرسة العقلية في التفسير، للرومي / ٥٥٦-٥٥٧، القرآنيون وشبههم حول السنة، لبخش / ٣٠٧-٣٠٨، ٣١٣-٣١٤.

واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع حتى يكون المسلم مطبقاً لشهادة أن محمداً رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فالرسل عندهم بشر كباقي الخلق ولكن الله اصطفاهم بالنبوة [١] والرسالة كما قال الله تعالى على لسان نبيه محمد **صلى الله عليه وسلم** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [٢] [الكهف: ١١٠] ، وأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر وأما الصغائر [٣]

(١) يتضح كذب بعض الزنادقة من الفلاسفة والصوفية والعقلانيين الذين يزعمون أن النبوة يمكن اكتسابها بأنواع الرياضيات النفسية وكذلك المعتزلة الذين يقولون: إن إرسال الرسل واجب على الله تعالى، يقول ابن القيم يرحمه الله (وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص من استكملها فهو نبي. أحدهما قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة، الثانية: قوة التخيل والتخييل بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانية تخاطبه ويسمع الخطاب منها ويخيلها إلى غيره، الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولي العالم وهذا يكون عندهم بتجرد النفس من العلائق واتصالها بالمفارقات، من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب، ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء) . انظر لوامع الأنوار ٢/ ٢٥٨-٢٦٨، إغاثة اللهفان ط دار الحديث ٢/ ٢١٩

(٢) بعض الفرق الضالة كالشيعة والمرجئة والصوفية يزعمون محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتجدهم في بعض الدول الإسلامية يتوضؤن وضوءً سابغاً ويصلون بخشوع واستحضار ثم يتوجهون إلى الأنبياء على حد زعمهم ويسلمون عليهم ثم يتفوهون بعبارات لا يستطيع العاقل أن يتفوه بها مثال: ياصاحب الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي وغير ذلك من العبارات المخرجة من الدين، ويتفوهون بها في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأمام قبره زاعمين محبته وتكريمه.انظر قاعدة جليلة في التوسل-لابن تيمية ط الكتاب العربي / ١٧٢-١٧٣، الصواعق الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، لابن سحمان / ٧٤، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، الألباني، إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله، للشيخ ابن باز / ٢٥-٤٤.

(٣) يتضح خطأ الرافضة الذين يقولون بعصمة الأنبياء قبل البعثة وبعدها من جميع الأخطاء كبيرها وصغيرها حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل، والمعتزلة الذين يقولون بعصمة الأنبياء مطلقاً لأن من اعتقاداتهم التكفير بالذنوب. انظر المقالات ١/ ٢٠٤، أصول

فيجوز وقوعها منهم [(١)]، ولكنهم لا يقرون عليها ويسارعون بالتوبة منها والإنابة إلى الله تعالى، ولذلك لم يذكر الله تعالى عن نبي شيئاً من ذلك إلا مقروناً بتوبته منه وتوبته تعالى عليه، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله : ((وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين على الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال)) [(٢)]. فمذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الوسط فلا جفاء [(٣)] ولا غلو ولذلك سلَّموا وسلِموا.

الدين ط دار الكتب/ ٢٤٩، متشابه القرآن ط دار النصر ١/ ١٣٢-١٣٣، مقدمة التوحيد لأبي حفص / ٥٠، شرح الأصول الخمسة/ ٦٣، الفتاوى ١٠/ ١٥،٢٩٣/ ٣٤٨.

(١) يتضح بذلك زعم الرافضة الذين يجعلون أئمتهم معصومين، بل بلغ بهم الغلو إلى أن جعلوا الأئمة كالإله، يعلمون الغيب وبيدهم النفع والضر فيتصفون بالصفات التي يتصف بها الإله لأنه على حسب زعمهم أن روح الإله تحل فيهم، والصوفية الذين بالغوا في تقديس شيوخهم حتى ادعوا فيهم العِصمة. انظر لطائف المنن والأخلاق للشعراني وما فيه من الطامات بتفضيل الأولياء على الرسل، أصول الكافي ١/ ٤٢٧، الحكومة الإسلامية ٥٢/ ٥٣.

(٢) الفتاوى ١٠/ ٢٩٣، ١٥/ ١٤٨.

(٣) من أكبر مظاهر الجفاء في الوقت الحاضر ما نجده من الحداثيين الذين يسطرون في كتبهم وجرائدهم ما يشيب منه الشباب ويجعل الحليم حيراناً، ومن هؤلاء المستهزئين سلمان رشدي الذي ألف كتاب آيات شيطانية وهو بريطاني الجنسية من أصل هندي، وقد مكنته بريطانيا من نشر كتابه ودفعت له مكافأة مالية كبيرة جداً، كما فرضت أوروبا وأمريكا حماية أمنية على الكتاب حتى ينتشر في ربوع العالم، وقد نال الكاتب من شخصية الأنبياء وبالذات محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام. انظر بين الأصالة والحداثة لأحمد فرج عقيلات / ١٥، الحداثة في ميزان الإسلام للقرني / ١٠٦، شعراء السعودية المعاصرون د : أحمد كمال زكي / ١٤٤.

الفصل الخامس:

الإيمان باليوم الآخر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

تعريف اليوم الآخر في اللغة والاصطلاح

- **اليوم في اللغة**: اليوم يُعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يُعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت [١].

- **الآخر في اللغة**: يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد.[٢]

- **اليوم الآخر في الاصطلاح**: المراد باليوم الآخر فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها وإقبال الحياة الآخرة وابتدائها، وسمي ذلك اليوم باليوم الآخر لأنه اليوم الذي لا يوم بعده. [٣]

---

(١) المفردات/ ٥٥٣.

(٢) نفس المصدر ١٣-١٤.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى، للقرطبي ط المكتبة السلفية / ٢٣٣، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ط دار النصر ١/ ٢٥٥ – ٢٥٦.

المبحث الثاني:

الإيمان باليوم الآخر من خلال حادثة الإفك

١. يقول الله تعالى في سورة النور : ﴿ **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾[النور:١١] فالله سبحانه وتعالى يوجه الخطاب بقوله : [لا تحسبوه شراً لكم] أي يـا آل أبي بكـر بـل هـو خـير لكـم أي في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا ورفعة منـازل في الآخـرة، ثـم يعقـب بقوله : [لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم] أي لكل من تكلـم في هـذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحـشة نـصيب عظيم من العذاب في الدنيا والآخرة لمن لم يتب أو كان منافقـا [1] أمـا المنـافق الأكبر الذي ترأس ا لأمر فله من العذاب النصيب الأكبر .

٢. يقول الله تعالى : { **لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم** } [النـور ١٤] إن الله تعالى قبل توبة وإنابة المؤمنين وعفا عنهم ولـولا إيمانهـم وتـوبتهم وإنابتهم لأذاقهم الله العذاب العظيم يوم القيامة.

يقـول الله تعـالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ** ﴾[النور:١٩] فالآية توضح شـأن مـن سـمع من الكلام السيء ، فقام بذهنه شيء منـه وتكلـم بـه فـلا يكثـر منـه ولا

(١) تفسير ابن كثير ط دار السلام والفيحاء ٣/ ٢٩٨-٣٠١ .

يشيعه ولا يذيعه، وأما من أشاعه فله العذاب الأليم بالحد في الـدنيا وفي الآخرة بالعذاب الأليم إذا لم يتب من ذلك [١].

فالعذاب الأليم ثابت في الكتاب والسنة لمن يستحقه فلذا فإن مـذهب أهل السنة والجماعة الإيمان الجازم والتصديق بكـل مـا أخـبر بـه سـبحانه وتعالى في كتابه وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد المـوت من عذاب القبر ونعيمه [٢] والنفخ في الصور [٣] وإن كان بعضهم قال إنها ثلاث نفخات وبعضهم قال إنها نفختـان والجميع اعتمـد عـلى الكتـاب والـسنة، وخـروج الخـلق مـن القبـور وأهـوال يـوم القيـامة مـن

---

(١) تفسير ابن كثير ط دار السلام والفيحاء ٣/ ٢٩٨-٣٠١

(٢) يتضح بذلك خطأ من قال بنفي عذاب القبر من الخوارج والأباضية والشيعة والمعتزلة والجهمية والقرامطة والإسماعيلية والدروز والعصرانيين والبوذيين وغيرهم فالنعيم والعذاب يحصل للروح والجسد وأما من قال إن النعيم والعذاب يقع على الروح فقط أو على الجسد فقد أخطأ وابتعد عن القول الحق. انظر المقالات / ١٠٠-١٠١، ١٦٨، ١٦٧،الفرق بين الفرق/ ١٦-١٧، ٢٢-٢٣، البرهان/ ٦٦- ٨١، مسند الربيع بن حبيب ٤/ ٣١-٣٢، رسائل أهل الثغر للأشعري ٨٢-٨٨، رسالة في كتب الأباضية/ ١٠.

(٣) يتضح خطأ من نفى مسألة النفخ في الصور من القرامطة والباطنية والفلاسفة والمشائين والنصيرية والعقلانيين، بل بلغ التبجح بالعقلانيين أنهم قالوا: إن المراد بالنفخ في الصور هو سرعة الاجتماع. انظر شرح العقائد النسفية / ٦٧، شرح الأصول الخمسة/ ٧٣٠، تفسير جزء عم لمحمد عبده / ٦.

الصراط[١] والحوض[٢] والشفاعة[٣] والجنة ونعيمها[٤] والنار وعذابها، كما أنهم يؤمنون بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، ومن العلامات الصغرى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وموته، وفتح بيت المقدس وطاعون عمواس، واستفاضة المال، والاستغناء عن الصدقة وظهور الفتن، وظهور مدعي النبوة وغيرها وأما الكبرى التي

(١).يتضح كذب من نفى الصراط من الخوارج والإباضية والمعتزلة والعصرانيين وقد بلغت الجرأة أقصاها عند العصرانيين الذين فسروا جميع أهوال يوم القيامة على أنها تمثيل وتصوير. انظر عقيدة الدروز، للخطيب ط دار عالم الكتب/ ١٢، مذاهب الإسلاميين لبدوي ط دار العلم ٢/ ٥٠٩، نظم المتناثر / ١٤٨.

(٢) يتضح بذلك كذب أهل الأهواء والبدع الذين أنكروا الحوض من الخوارج والمعتزلة والشيعة والإسماعيلية والنصيرية والجهمية وغيرهم. انظر التنبيه والرد / ٣٤، البرهان/ ٦٦-٦٧، اعتقادات فرق المسلمين/ ٦١-٦٢، صبح الأعشى للقلقشندي ١٣/ ٤٩، العلويون للعسكري/ ١٠٤-١٠٩، دراسات في الفرق لطعيمة ط المعارف/ ٣٧-٧٢.

(٣) يتضح كذب من نفى الشفاعة وأنواعها يوم القيامة والميزان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والجارودية من الشيعة والإسماعيلية والدروز وغيرهم. انظر زاد المسير ٣/ ١٧٠، تفسير القرطبي ٧/ ١٦٥، المواقف في علم الكلام/ ٣٨٤ شرح المقاصد/ ١٢٠، الغنية في أصول الدين/ ١٦٦.

(٤) يتضح كذب من قال إن الجنة والنار تفنيان من الجهمية وقولهم بعدم وجود الجنة والنار الآن، وإن الله يخلقهما يوم القيامة وكذب الذين يقولون إن الله لا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمها صلاح لهم، ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة، ولا أن يخرج أحداً من الجنة ولا يقدر أن يلقي في النار من ليس من أهل النار وهي فرقة النظامية من المعتزلة، ويتضح زعم الباطنية والقرامطة والإسماعيلية والدروز والنصيرية والعقلانيين الذين ينفون النعيم في الجنة والعذاب في النار ويؤولون النصوص الواردة فيها إلى اللذات والآلام والسعادة والشقاء في الدنيا، ويتضح خطأ من نفى أعظم نعيم أهل الجنة وهي رؤية الله سبحانه وتعالى من المعتزلة والجهمية والخوارج والإمامية وغيرهم. انظر الملل والنحل ١/ ٤٥، الفرق بين الفرق/ ١١٥، نهاية الإقدام / ٤٠٥، الإرشاد للجويني / ٢٨٧، نظرية التكليف لعبد الكريم عثمان / ٤٠٠.

جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((**لن تقوم الساعة حتى ترى عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم** [١] **ويأجوج ومأجوج** [٢]**وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**)) [٣] فلذا فإن من نسب إلى أهل السنة والجماعة أقوالاً مخالفة لذلك فهو من باب الزعم والافتراء كما نُسب لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم القول بفناء النار فالصحيح أن شيخ الإسلام يرحمه الله أنكر أشد الإنكار [٤] على من قال بفناء النار، وقد تكلم عن إجماع سلف الأمة وجماهير المسلمين على تضليل صاحب هذا القول، وبذلك يتضح

(١).يتضح بذلك كذب من قال إن الله سبحانه وتعالى قد توفى عيسى ثم ينزله إلى الأرض ثم يتوفاه مرة أخرى، فالصحيح أن عيسى لم يمت وأن الله ينزله في آخر الزمان ليبين كذب اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه، وكذب وافتراء من نفى نزول عيسى عليه السلام بل إن محمد عبده ورشيد رضا يجادلان بكل قوة على رد هذا الشرط من أشراط الساعة الكبرى. انظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/ ١١٨، الإذاعة لصديق خان/ ١٢٩، التصريح بما تواتر في نزول عيسى لكشميري/ ٤٨، المقال في رفع عيسى صلى الله عليه وسلم ونزوله للهراس/ ٥٢-٧٤.

(٢).يتضح كذب وافتراء من قال بأن المراد بهما سد الصين العظيم وأنه لا وجود لمخلوقات بهذالاسم، وخطأ من قال إن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم لامن حواء، حيث يزعمون أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بالتراب فخلف منه يأجوج ومأجوج. انظر فتح الباري ٦/ ٣٨٦، ١٣/ ١٠٧،١٠٦.

(٣) مسلم كتاب الفتن، باب أشراط الساعة ٢٧/ ٢٩

(٤) الفتاوى ٣/ ٣٠٤، ١٢/ ٤٥، ١٨/ ٣٨٠، موافقة صحيح المنقول ط دار الكتب العلمية ١/ ٢٢٧-٢٢٨، العقود الدرية من مناقب شيح الإسلام لابن عبد الهادي / ٤٩، السير ١/ ٧٦.

صحة نسبة كتـاب الرد على من قال بفنـاء الجنة والنار له [(١)] وأما ما نُسب إلى ابن القيم يرحمه الله فهو غير صحيح فقد جاء في عدة كتب لـه تـصريحه بعدم فناء الجنة والنار، فجاء مثلاً في كتابه الوابل الصيب (وهاتان الداران لا تفنيان) [(٢)] وجاء في كتـاب حـادي الأرواح (وخلـق الخلـق لهـا، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً) [(٣)] فدل ذلـك عـلى إجمـاع الـسلف في هـذا القول، وما نُسب إلى الإمـامين فهـو باطـل وزور، وقـد حقـق عـدد مـن الباحثين في هذه المسألة وأثبتوا بالأدلة اتفاق الشيخين عـلى القـول بأبديـة النار.

(١) ذكر ابن عبد الهادي في كتابه العقود الدرية أن من مؤلفات ابن تيمية كتاب قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار صفحة ٤٩، وذكر الذهبي في السير أن من مؤلفات شيخ الإسلام هذا الكتاب أيضاً ١/ ٧٦.

(٢) الوابل الصيب ط دار الصحابة / ٣٢، حادي الأرواح ط دار التراث / ٧٩.

(٣) منها كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام للدكتور الحربي، الرد على من قال بفناء النار وبيان الأقوال في ذلك للدكتور السمهري، مقدمة الصواعق المرسلة، للدكتور الفقيهي والدكتور الغامدي.

الفصل السادس:

الإيمان بالقضاء والقدر .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

تعريف القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح

- **القضاء في اللغة**: يأتي القضاء بمعنى الأمر، الأداء والإنهاء، والحكم والفراغ والإعلام والموت ويعود جميعاً إلى انقطاع الشيء وتمامه[١].

- **القدر في اللغة**: يأتي بمعنى الحكم والقضاء والطاقة والتقدير والقياس واليسار والقوة والتضيق فالقضاء في اللغة يأتي بمعنى القدر، والقدر يأتي بمعنى القضاء. [٢]

- **القضاء في الاصطلاح**: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل. [٣]

- **القدر في الاصطلاح**: إن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. [٤]

---

(١) الصحاح ٦/ ٢٤٦٣، لسان العرب ١٥/ ١٨٦، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٧٨.

(٢) الصحاح ٢/ ٧٨٦، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٣.

(٣) فتح الباري ١١/ ٤٧٧، هدي الساري / ١٧٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢-٦٣، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية لآل فياض / ٢٩، القضاء والقدر للأشقر/ ٢٥

وقد فرق العلماء بين القضاء والقدر فقالوا: (القضاء: الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات لتلك الكليات على سبيل التفصيل).

والصحيح أنه لا يوجد فرق بين القضاء والقدر حيث إن النصوص النقلية الثابتة لم تفرَّق بينهما فالقضاء يطلق على القدر والقدر يطلق على القضاء [1] فلذلك عُرِّف القضاء والقدر في الاصطلاح على أنه تقدير الأشياء في القِدم وعلمه سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة وكتابته لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها.

---

(١) القضاء والقدر للمحمود/ ٣٠-٣٢

المبحث الثاني:

الإيمان بالقضاء والقدر من خلال حادثة الإفك

١. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النور: ١١] .

إن الله سبحانه وتعالى يوضح أن البلاء النازل على الأولياء هو خير لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الآخرة، فنبه الله عائشة رضي الله عنها وأهلها ومن أصابهم هذا الإفك لرجحان النفع والخير على جانب الشر [(١)]. فالآية بمنطوقها توضح وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء، فالخلق صفة من صفات الله تعالى التي اختص بها دون غيره، فالله هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق له مربوب، والخلق مرتبة من مراتب القضاء والقدر فكل ما يقع ويحدث من الخير والشر والسعادة والشقاوة والهدى والضلال والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وجميع أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم الاختيارية منها والاضطرارية، كل ذلك بقضاء الله وقدره قد علمه الله عز وجل وكتبه في اللوح المحفوظ قبل كونه وهو واقع وحادث بمشيئته تعالى وخلقه[(٢)] وأما ماورد من النصوص النقلية من نسبة الشر إلى غير الله تعالى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٨١

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٥٣٤-٦٢٣، عقيدة السلف أصحاب الحديث / ٩٠-٩٥.

كقولـــه تعـــالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] فالجن نسبوا الرشد إلى الله والشر حـذفوا الفاعـل لـه، ومـن السنة قول الرسول صلى الله عليه وســلم:((**لبيـك وسـعديك والخـير في يديك**)) [١] فالاقتصار على الخير رعاية للأدب وإلا فالـشر أيـضاً بتقـدير الله كالخير فالآية أثبتت المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقـدر فبالتـالي يثبت ما قبلها من المراتب وهي العلم والكتابة والمشيئة ومن ثـم الخلـق [٢] وأما قول الله تعالى في الآيـة: ﴿**لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النـور: ١١] فالآيـة بمنطوقـــها تـوضـــح أن الـعبد مسـؤول عن فعـله الذي فـعله إن خـيراً فخـير وإن شـراً فشر.

فاتـضح بطلان قول من قال: إن العبد مجبورعلى فعله وإنه كالريـشة في مهـب الـريح [٣] وقـول مـن قـال: (إن للإنـسان كـسب وقـدرة غـير

(١) البخاري، كتاب الحج، باب التلبية والتكبير، ٣/ ٤١٩ .

(٢) يتضح زعم وافتراء من نفى هذه المرتبة من الدهريين والمعتزلة والرافضة والماتريدية ومنهم الكوثري الذي ينفي مرتبتي الإرادة والخلق ومن الأشاعرة محمد عبده ومحمود شلتوت وغيرهم. انظر اعتقادات الصدوق / ١٩٧، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسيني/ ٢٤٠، براءة الأئمة من الوقيعة في علماء الأمة لبكر أبو زيد، الأعمال الكاملة لمحمد عبده ٣/ ٤٨٤ – ٤٨٥

(٣) هذا قول الجبرية من الجهمية والغلاة من الصوفيه، وقد وجد في العصر الحديث من يدافع عن إبليس ويزعم أن الله تعالى ظلمه وأنه أجبره على الحال التي هو فيها، وأنه منعه التوبة كما يزعم ذلك جلال العظم وتوفيق الحكيم، بل بلغ السيل الزبا بظهور طائفة عبدة الشيطان الذين يرون أن الشيطان أقوى من الرحمن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر صراع مع الملاحدة حتى العظم للميداني/ ٣٥٤-٣٥٨، القضاء والقدر في الإسلام للدسوقي ١/ ٣٧-٣٩

مؤثرة).(١)

٢. يقول الله تعالى :﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور: ١٨-١٩] فالآيتان بمنطوقهما يثبتان صفة العلم لله عز وجل، والعلم هو المرتبة الأولى من مراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة، وأما الآية الأولى فأثبتت الحكمة لله تعالى(٢) فأفعاله كلها مبنية على الحكمة والحكمة تتضمن شيئين أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى يحبها ويرضاها والثاني: حكمة تعود إلى عباده هي نعمة عليهم ويتلذذون بها، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات (٣) فلذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً ويؤمنون إيماناً يقينياً بأن القضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله سبحانه وتعالى قال عز من قائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ، وأن مراتب القضاء والقدر أربع:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢] .

(١) هذا قول الأشاعرة الذين يقولون بكسب العبد ومع ذلك ليس له قدره على العمل . انظر الأصفهانية / ٣٣٦-٣٦٤، الفتاوى ٨/ ٣٥-٣٦

(٢) يتضح زعم من نفى الحكمة عن الله تعالى من الفلاسفة والجهمية والأشاعرة. انظر الأصفهانية / ٣٣٦-٣٦٤

(٣) الفتاوى ٨/ ٣٥-٣٦

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها [١] قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٢٧] .

المرتبة الثالثة: مشيئته [٢] لها قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩] .

(١) لذلك يتضح خطأ من قال إن القضاء قد يتغير ويتبدل من الماتريدية واستدلوا بقوله تعالى: [يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب] الرعد: ٣٩، والأشاعرة الذين قالوا إن القدر لا يتغير أبداً واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة ....ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)والصحيح أن القضاء والقدر نوعان: سابق ولاحق، فالسابق ما في علم الله تعالى وما كتُب في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله تعالى، فهذا لا يقع فيه تغيير ولا تبديل ولا محو ولا إثبات ويقال له القضاء المبرم أو المطلق واللاحق: ما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي من الملائكة وما كتب في صحفهم فهذا الذي يقبل النسخ ويقع فيه التغيير والمحو والإثبات ويقال له القضاء المعلق كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (من سره أن يبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه) فإن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، كأن يقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وبذلك يتضح الحق والبرهان في النصوص التي يبدو عليها التعارض. انظر شرح مختصر الروضة للطوفي ١/ ٢٧٩-٢٨٠، الفتاوى ١٤/ ٤٨٨-٤٩٢، تيسير الكريم المنان ٤/ ١١٦-١١٧

(٢) يتضح خطأ من قال إن المشيئة والإرادة بمعنى المحبة والرضا من المعتزلة والأشاعرة والجهمية، فالصحيح أن الإرادة تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: إرادة كونية وهي التي بمعنى المشيئة وهذه الإرادة لا تستلزم محبة المراد ولا الرضى عنه، فالله تعالى يريد الكفر كوناً، ولا يرضاه شرعاً، كما قال تعالى: [إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر] الزمر: ٧.
القسم الثاني: إرادة شرعية، وهذه تستلزم المحبة والرضى. انظر الفتاوى ٨/١٨٨-١٨٩، ٢٥٧، شفاء العليل ٤، ٢٨٠، شرح الطحاوية ١/ ٧٩-٨٠

المرتبة الرابعة: خلقه لها قال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر: ٦٢].

وذكروا أن من لم يؤمن بهذه المراتب لم يؤمن بالقضاء والقدر، ومن معتقدهم أن الله أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد وهو الحكيم العليم، وأن الإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

١. التقدير الشامل لجميع المخلوقات بمعنى أن الله علمها، وكتبها، وشاءها، وخلقها.

٢. التقدير لكتابة الميثاق حينما قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٣. التقدير العمري: تقدير رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد في بطن أمه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤذن بأربع كلمات، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**))(١).

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين] ١٣/ ٣١٦-٣١٧.

٤. التقدير السنوي: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ماهو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق يقول الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤] .

٥. التقدير اليومي: كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] ، فالله تعالى كل يوم يغفر ذنباً، ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين، وهذا التقدير هو سوق المقادير إلى المواقيت التي قُدرت لها فيما سبق، وهذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري عند نفخ الروح في الجنين في بطن أمه، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق وهو تفصيل من التقدير الذي خطه القلم في الإمام المبين.[1]

فلذا فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أنه من الواجب إفراده سبحانه بالعبادة والتقوى وعلى العبد أن يبذل الأسباب[2] ويسأل الله التوفيق والهداية ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ويعلم علماً يقيناً أن الله لا يضيع [3] أجر المحسنين ولا يظلم مثقال ذرة كما قال تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ

(١) معارج القبول ٢/ ٣٤٥.

(٢) بذلك يتضح خطأ قول الأباضية والصوفية والجبرية والدهرية الذين يدفعون أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، فيبطلون الأوامر والنواهي لأنهم يزعمون أن القدر يوافق الأمر والنهي. انظر الفتاوى ٨/ ٢٦٣-٢٦٤، رسالة الاحتجاج بالقدر لابن تيمية ٢٦، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، لمرعي بن يوسف ٢١-٢٣، الشوقيات لأحمد شوقي ٣/ ١٥٥، ديوان حافظ إبراهيم / ٤٤٨

(٣) يتضح خطأ من ساوى بين المؤمن التقي والعاصي الفاسق من الخوارج والمعتزلة والمرجئة،

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وبذلك يتضح الحق المبين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن حادثة الإفك كما جاءت في سورة النور وفي السنة النبوية فيها كنوز عديدة، ولا أدعي بأنني قد قمت بشيء يذكر، ولكن قليل خير من لا شيء. وخير ما نقتبسه من هذه العجالة عظمة القرآن الكريم والسنة النبوية ففيهما الخير كله كما قال صلى الله عليه وسلم : ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا: كتاب الله وسنتي**)) [(١)].

فالخوارج والمعتزلة تجعلان المؤمن التقي - إذا قام بمعصية - خالداً مخلداً في النار، والمرجئة جعلت إيمان الملائكة كإيمان الفاسق. انظر المقالات ١/ ٢١٤، ذكر مذاهب الفرق / ١٤٧، الأنوار النعمانية ٢/ ٢٣١، أصول الدين ط دار الكتب العلمية / ٢٤٩، مقدمة التوحيد لأبي حفص/ ٥٠، شرح الأصول الخمسة / ٦٣٢ .

(١) مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر ٣، والترمذي في كتاب المناقب، باب ٧٧ رقم ٣٧٩٠ وقال حديث حسن غريب.

الخـاتمة:

إن من أهم الأمور العقدية المستنبطة من حادثة الإفك:

١ – الإيمان بالقضاء والقدر فهو ركن من أركان الإيمان الستة.

٢ – إن الله خالق كل شيء.

٣– إن البلاء والصبر عليه يرفع درجة العبد.

٤ – إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنها صفة ذاتية فعلية.

٥ – إن الإنسان مسؤول عن أفعاله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

٦– الرد على من قال إن العبد يخلق فعل نفسه.

٧– الرد على من قال إن الإنسان مجبور على فعله.

٨– الرد على من قال إن للعبد قدرة غير مؤثرة.

٩– تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

١٠ – الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أهوال.

١١ – الرد على من قال بتكفير المؤمن بالكبيرة.

١٢ – إن التوبة تجب ما قبلها.

١٣ – وجوب إحسان الظن بالآخرين.

١٤ – الإيمان قول وعمل وتصديق.

١٥- زيادة الإيمان ونقصانه.

١٦- تكريم عائشة رضي الله تعالى عنها.

١٧- تكريم آل أبي بكر رضي الله عنهم.

١٨- إثبات توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

١٩- خطر النفاق والمنافقين على الدين الإسلامي.

٢٠- خطر الإشاعة على العقيدة الإسلامية.

٢١- إثبات بعض مراتب القضاء والقدر العلم، المشيئة.

٢٢- الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

٢٣- من أسماء الله الحسنى العليم، الحكيم، الرؤوف، الرحيم.

٢٤- القرآن آية الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة.

٢٥- عدم تزكية العبد لنفسه.

٢٦- الرد على من قال: إن الناس في الإيمان سواء.

٢٧- حرمة الآدمي عند الله سبحانه وتعالى.

٢٨- حرمة الأعراض عند الله تعالى.

٢٩- الكذب من أكبر الذنوب.

٣٠- عدم الاستهانة بالذنوب والآثام.

٣١- الابتعاد عن مواقع الشبهات والشهوات.

٣٢- الصبر عند البلاء والشكر عند السراء.

٣٣- التحذير من الشيطان وإغوائه.

٣٤- حاجة العبد لربه في كل الأوقات.

٣٥- إن الهداية بيد الله تعالى.

٣٦- الرد على من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣٧- الرد على من قال: إن من سب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤثر في إيمانه.

٣٨- الرد على من قال: إن مرتكب الكبيرة يخلد في النار.

٣٩- الرد على من قال: إن مرتكب الكبيرة لا يعذب.

٤٠- الرد على من قال إن الله سبحانه وتعالى يفعل الأمور من غير حكمة.

٤١- حب الصحابة رضي الله عنهم من أصول الإيمان.

٤٢- الرد على من انتقص من عائشة رضي الله عنها.

٤٣- إثبات بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤٤- الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب.

٤٥- إثبات الرسالة والنبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

٤٦- الاسترجاع عند المصيبة وهو قول (إنا لله وإنا إليه راجعون).

٤٧- فضل من حضر غزوة بدر من الصحابة رضي الله عنهم.

٤٨- إن القرآن كلام الله منه نزل وإليه يعود في آخر الزمان.

٤٩- منزلة عائشة عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥٠- الشورى ومكانتها في الإسلام.

٥١- إثبات صفة العلو لله تعالى.

٥٢- الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٥٣- الرد على من قال إن الملائكة أمور معنوية.

٥٤- إثبات نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥٥- الرد على من أنكر نزول الوحي على الرسل والأنبياء عليهم السلام.

٥٦- رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق بخلاف غيرهم.

٥٧- ثقل نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥٨- الرد على من نفى الكرامة.

ملخص البحث

استهدفت هذه الدراسة محاولة لاستنباط الأمور العقدية من حادثة الإفك فاستبانت منها أمور عقدية عظيمة منها :

الإيمان بالقضاء والقدر وأن الله تعالى خالق كل شيء، وأن الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاما مسموعا، وأن الكلام لله تعالى صفة ذاتية فعلية، وأن لله صفات ذاتية وصفات فعلية فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن الإنسان مسؤول عن أفعاله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وأن التوبة تجب ما قبلها، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر، وأن العبد المؤمن إذا ارتكب ذنبا غير مستحل له فهو تحت مشيئة الرب تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وإن عذبه فلا يخلده في النار، فيتضح بذلك رأي المخالفين من أهل الأهواء والبدع، وأن هناك فرقا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وأن الهداية بيد الله تعالى، وأن حب الصحابة رضي الله عنهم من أصول الإيمان، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب المطلق، ووضحت لنا الحادثة الرد على كثير من أهل الأهواء والبدع كالخوارج والشيعة والمرجئة والجهمية والقدرية والصوفية والدروز والفلاسفة والعقلانيين والحداثيين والعلمانيين وغيرهم.

المصادر و المراجع

١. الإحكام، لابن حزم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز،مكتبة عاطف، ط١، ١٣٩٨هـ

٢. الإرشاد إلى قواطع الأدلة، أبو المعالي عبد الله الجويني، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ.

٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر، دار العلوم الحديثة، مصر.

٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبو الحسن علي الشيباني، دار إحياء التراث.

٥. الأسماء والصفات للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦. الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، ط١.

٧. اشتقاق أسماء الله الحسنى، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي،تحقيق: الدكتور عبد الحسيب المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٨. أصول الدين، للبغدادي، مطبعة الدولة، استانبول، ط١، ١٣٤٦هـ، ط أخرى، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٩. أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

١٠. الأصول من الكافي، محمد يعقوب الكليني، تعليق: علي القفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، ط أخرى، إيران.

١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

١٢. اعتقادات الصدوق، عبد الله بن النعمان، المطبعة الحيدرية، ط٣، ١٣٩٣هـ.

١٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي.

١٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

١٦. الأعمال الكاملة، جمال الدين الأفغاني، تحقيق : محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.

١٧. الأعمال الكاملة، محمد عبده، جمع وتحقيق : محمد عمارة، القاهرة.

١٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، تحقيق : مجدي فتحي السيد، دار الحديث، القاهرة، ط أخرى، تحقيق : محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٨٧،١ م.

١٩. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق : الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ط٤، ط أخرى، تحقيق : محمد حامد الفقي السنة المحمدية، القاهرة.

٢٠. الأنوار النعمانية، نعمت الله الجزائري، تبريز، إيران، ط أخرى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢١. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة الحسني، تقديم : محمد حسب الله، دار المعارف.

٢٢. الإيمان، لابن تيمية، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٣. بدائع الفوائد، لابن القيم، مكتبة القاهرة.

٢٤. البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الدين ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

٢٥. براءة الأئمة من الوقوع في علماء الأمة، بكر أبو زيد، دار الراية، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٢٦. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي، تحقيق : الدكتور بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الأردن.

٢٧. بين الأصالة والحداثة، نقد ومختارات، أحمد فرح عقيلان، النادي الأدبي، الطائف، ط١ ١٤٠٦هـ.

٢٨. تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٣١هـ.

٢٩. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠. تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين، علي مصطفى الغرابي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٥م.

٣١. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، ط دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

٣٢. التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٣٣. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٤. تحفة المريد، إبراهيم محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥. التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط٣، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٣٦. تذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي.

٣٧. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المكتبة السلفية التسعينية، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٨. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لمحمد أنور شاه الكشميري، ترتيب: محمد شفيع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ودار القرآن الكريم، ط٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣٩. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الشاه أنور الكشميري، تحقيق: أبو غدة الكوثري .

٤٠. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.

٤١. تفسير ابن كثير، لابن كثير، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٢. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط٣، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٣. تفسير النسفي، لأبي البركات النسفي، مطبعة الحلبي، القاهرة.

٤٤. التنبيه والرد، أبو الحسن الملطي، تحقيق: يمان بن سعد الدين المياديني، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٤٥. التنوير في إسقاط التدبير، لأحمد بن عطاء الله السكندري، دار جوامع الكلم.

٤٦. التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق: الدكتور عبد العزيز إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

٤٧. التوحيد، للماتريدي، تحقيق: الدكتور فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٤٨. التوراة، الدكتور مصطفى محمود، دار المعارف، ط٥.

٤٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٥٠. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي.

٥١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق : الدكتور علي بن حسن بن ناصر والدكتور عبد العزيز إبراهيم العسكر والدكتور حمدان محمد الحمدان، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤١٤هـ، ط أخرى، مطبعة المدني، القاهرة.

٥٣. الحجة في بيان المحجة، الأصبهاني، تحقيق: الدكتور محمد ربيع المدخلي، دار الراية، ط١،١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٤. الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني، هجر للطباعة والنشر، مصر.

٥٥. حديث النزول، ابن تيمية، القاهرة.

٥٦. الحق الدامغ، الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، سلطنة عمان، ١٤٠٩هـ.

٥٧. حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، الإمام:محمد بن عبد الله المقدسي، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٨. الحكومة الإسلامية، روح الله الخميني، إيران، ١٣٨٩هـ.

٥٩. خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على الأديان، محمد صديق خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٦٠. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، الدكتور : عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦١. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩٩هـ، ط أخرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٦٢. دراسة في تاريخ الأباضية، لأبي الفضل البرادي، تحقيق : الدكتور محمود زينهم عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة.

٦٣. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق : الدكتور سيد حنفي حسين،ط وزارة الثقافة بجمهورية مصر العربية، القاهرة،١٣٩٤هـ.

٦٤. ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين، عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق : الدكتور موسى سليمان الدويش، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

٦٥. رد الإمام الدارمي، عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٦. الرد على الجهمية، لابن مندة، تحقيق : الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٧. الرد على المنطقيين، لابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط٣، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٨. الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، لابن تيمية، تحقيق : الدكتور محمد بن عبد الله السمهري، دار بلنسية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٦٩. رسائل في العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٧٠. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام الحافظ أبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد باكريم باعبد الله، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ.

٧١. الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال، لابن تيمية، مقابلة وتقديم: أحمد حمدي إمام، مطبعة المدني، مصر، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣هـ.

٧٢. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج بالقدر، مرعي يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق : أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة.

٧٣. الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، زيد عبد العزيز بن فياض، دار الوطن، الرياض.

٧٤. السنة، للإمام عبد الله بن حنبل الشيباني، تحقيق ودراسة : الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٥. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٧٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي، تحقيق : الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط٢.

٧٧. شرح الأصول الخمسة للقاضي : عبد الجبار، تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق : الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.

٧٨. شرح إضاءة الدجنة، الشيخ أحمد المقري المالكي، دار الفكر للطباعة والنشر.

٧٩. شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.

٨٠. شرح جوهرة التوحيد، للقاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨١. شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق : الأرنؤوط والشاويش، المكتب الإسلامي.

٨٢. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تقديم : حسن محمد مخلوف، دار الكتب الحديثة، مصر، ط١.

٨٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق : جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط أخرى، تحقيق : محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٤. شرح العقيدة الواسطية، د. صالح بن فوزان عبد الله الفوزان، مكتبة ا لمعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٥. شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ

٨٦. شرح القصيدة النونية، لابن القيم، شرح الدكتور: محمد خليل هراس، دار الفاروق، مصر، ط أخرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

٨٧. شرح مختصر الروضة، للطوفي، تحقيق: الدكتورعبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.

٨٨. شرح المقاصد في علم الكلام، مسعود عمر التفتازاني، تحقيق:عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١١، ١٤٠٩ هـ.

٨٩. شطحات مصطفى محمود، الدكتور عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام، القاهرة.

٩٠. شعراء السعودية المعاصرون التاريخ والواقع، الدكتور أحمد كمال زكي، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٩١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تخريج وتعليق : مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ط أخرى، مكتبة التراث، القاهرة.

٩٢. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم الحسيني، دار العلم، الكويت، ط١.

٩٣. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبدالغفورعطار، دار العلم للملايين، بيروت.

٩٤. صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٩٥. الصفدية، لابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١٤٠٦هـ، ط أخرى، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٩٦. الصواعق الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان، تحقيق: عبدالسلام بن عبدالكريم، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٠هـ.

٩٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٢هـ.

٩٨. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام، لابن عبدالهادي، تقديم: علي صبيح المدني، مطبعة المدني.

٩٩. العقيدة الحقة في الرد على أهل الحلول والوحدة المطلقة، لأحمد الرفاعي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٠٠. عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي اسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: الدكتور بدر بن عبدالله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية.

١٠١. عقيدة الدروز، الدكتور محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٠٢. الغنية في أصول الدين، للمتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١٤٠٦،١هـ - ١٩٨٧م.

١٠٣. الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مطبعة النعمان، النجف، ط٢، ١٣٨٥هـ.

١٠٤. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة، المملكة العربيةالسعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٠٥. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، مراجعة الشيخ: عبدالعزيز بن باز، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط١.

١٠٦. الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٠٧. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مكتب التراث، مؤسسة الرسالة.

١٠٨. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٠٩. القضاء والقدر، عبدالرحمن المحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١٠. القضاء والقدر في الإسلام، للدكتور فاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١١. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد بن صديق خان القنوجي، تحقيق: الدكتورعاصم بن عبدالله القريوني، القاهرة، ط١، ١٤٠٤- ١٩٨٤م.

١١٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، شرح محمد صالح المازندراني، تعليق: أبو الحسن الشعراني، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٨٤هـ.

١١٣. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، شركة خياط للنشروالتوزيع، بيروت، ١٩٦٦م.

١١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تصحيح : مصطفى حسين أحمد، دار الريان، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ، ط أخرى، دار الفكر.

١١٥. كشف الأسرار، آية الله الخميني، تقديم: الدكتور محمد علي الخطيب، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١١٦. كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار، الدكتور علي جابر الحربي.

١١٧. الكشف والبيان: أبو عبد الله محمد سعيد الأسدي القلهاتي، وزارة التراث القومي، عمان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١١٨. الكليات للكفوي، مقابلة ووضع الفهارس، الدكتوران: درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

١١٩. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبد العزيز المحمد السلمان، ط١١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٢٠. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، تصحيح : أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، دار الخاني، ط٢.

١٢٢. الماتريدية دراسة وتقويم، أحمد بن عوض بن داخل اللهيبي الحربي، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢٣. الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، شمس الدين الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢٤. متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيق: الدكتورعدنان الحنبلي، مكتبة ابن تيمية.

١٢٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية.

١٢٦. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للرازي، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، دار الكتاب العربي.

١٢٧. المحنة، الدكتور: فهمي جدعان، دار الشروق، ط١، ١٩٨٩م.

١٢٨. مختصر التحفة الاثنى عشرية، شاه عبد العزيز الإمام ولي الله أحمد الدهلوي، تحقيق: محب الدين بن الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، المملكة العربية السعودية.

١٢٩. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط أخرى، السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ.

١٣٠. المدنية والإسلام، محمد فريد وجدي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٣هـ.

١٣١. مذاهب الإسلاميين، الدكتور عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت.

١٣٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تحقيق: عبد الإله بن سليمان بن سالم الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط١.

١٣٣. مسند الربيع بن حبيب، الإمام الربيع بن حبيب، سلطنة عمان.

١٣٤. مشارق أنوار العقول، نور الدين أبو محمد عبيدالله بن حميد السالمي، تعليق: المفتي لسلطنة عمان : أحمد الخليلي، تحقيق: عبدالمنعم العاني، دار الحكمة، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ط أخرى، دار الجيل، بيروت.

١٣٥. مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي، مكتبة الجندي، مصر.

١٣٦. معالم أصول الدين، فخر الدين الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ط أخرى، تقديم: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

١٣٧. معالم التنزيل، للإمام حسين البغوي، دار المعرفة، بيروت.

١٣٨. المعتزلة بين القديم والحديث، محمد طارق عبدالحليم، دار الأرقم، برمنجهام، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٣٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط أخرى، دار الكتب العلمية، إيران.

١٤٠. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعارف، بيروت.

١٤١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن بن علي بن اسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٤٢. مقدمة التوحيد، لأبي حفص عمر بن جميح، المطبعة العربية، ط٢، ١٩٧٣م.

١٤٣. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ط أخرى: تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٦هـ.

١٤٤. مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، مصر.

١٤٥. المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: عبدالحليم محمود، دار الكتاب العربي اللبناني، ط٢، ١٩٨٥م.

١٤٦. منهاج السنة، لابن تيمية، مكتبة دار العروبة، ط أخرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٤٧. المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبدالله الحليمي، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر، بيروت.

١٤٨. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، الدكتور: فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٧م.

١٤٩. المنهل الصافي، جمال الدين أبو المحاسن تغري بردي الأتابكي، تحقيق: أحمد يونس نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١.

١٥٠. المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

١٥١. النبوات، لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ط أخرى، دار الفكر، بيروت.

١٥٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف الأتابكي ابن تغري بردي، دار الكتب.

١٥٣. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الدكتور علي سامي النشار، دار المعارف.

١٥٤. نظرية التكليف، الدكتور: عبدالكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، ١٣٩١هـ.

١٥٥. نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، مكتبة المتنبي، بغداد.

١٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مجد الدين المبارك بن الجزري (ابن الأثير)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٥٧. النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ط دار النصر.

١٥٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: عبدالرحمن الشيرازي، إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥٩. يا شيعة اليوم استيقظوا، الدكتور موسى الموسري.

فهرس الموضوعات

شِرْكُ الأَغْرَاضِ

حَقِيْقَتُهُ وَأَنْوَاعُهُ

إعداد

د. سعيد بن محمد بن حسين بن معلوي

أستاذ العقيدة المساعد بجامعة الملك خالد – أبها

تعريف بالبحث

يدور البحث حول من يعمل عملا مما يبتغى به وجه الله تعالى لغرض من أغراض الدنيا، كمن أسلم ظاهراً ليأمن على نفسه أو على أهله أو على ماله، أو أسلم ليتزوج امرأة، أو لينال منصباً مثلاً. كما يدخل فيه من عمل أعمالاً مما يبتغى بها وجه الله وحده: كالصلاة والصيام، وكان غرضه من أعماله الدنيا فقط،وهو مقر بالإسلام ديناً إلا أنه لضعف في نفسه أراد بأعماله الدنيا كأن يصل إلى رئاسة، أو يحصل على مال أو شهادة، ولولا هذا المقصد لم يعمل. ويدخل فيه من عمل الأعمال الصالحة ابتغاء وجه؛ ليس من أجل الناس وليس من أجل منصب أو جاه، ولا يريد بها الآخرة؛ ولكن ليجازى بها في الدنيا بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليه. ويدخل فيه من خلط نية الآخرة بالدنيا، كمن جاهد لإعلاء كلمة الله، وللمغنم، وحج لأداء الفرض وللتجارة، ويشمل أيضاً: وضع مسابقات في العلوم الشرعية وأخذ العوض أو الجوائز عليها: مثل المسابقة على حفظ القرآن الكريم، أو حفظ الأحاديث النبوية، أو المتون العلمية، أو أخذ جوائز على أفضل البحوث العلمية الشرعية، أو الحصول على جائزة في مجال خدمة الإسلام، أو الدعوة إلى الله، ومنه أيضاً: تأليف الكتب وإخراج البحوث الشرعية بهدف الترقية في مجال العمل، مع بيان حكم كل قسم بحسب ما أدى إليه اجتهاد الباحث، وهو إن كان صواباً فمن الله وحده جل وعلا، وإن جانب الصواب فمن النفس والشيطان، والله أعلم.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، وينهونه عن الردى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس: ينفون عن دين الله عز وجل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين؛ الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة؛ يقولون على الله، وفي الله- تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً- وفي كتابه، بغير علم. فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة. وصلى الله على محمد[1]. أما بعد:

فإن شرك الأغراض، قسم من أقسام الشرك الذي قد تخفى بعض أنواعه على بعض طلاب العلم فضلاً عن عامة الناس؛ وربما يقع فيه المسلم، وتزل فيه قدمه وهو لا يشعر، ومن هذا الباب اخترت طرقه وبيان حقيقته وأنواعه، وما هو شرك من هذه الأنواع وما ليس بشرك، في ضوء النصوص الشرعية وأقوال علماء الأمة، وبحثنا هذا يتعلق بالباعث على العمل ابتداءً (في النيات والمقاصد)، فيخرج منه من وقع في الشرك الأكبر كمن يتقرب إلى صاحب قبر بغرض حصول نفع أو دفع ضر، ويخرج منه كذلك من تعلق بالرقى غير المشروعة والتمائم بغرض حصول

---

(١) هذه المقدمة من رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد البصري، وهي في طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى: ٢/ ٤٢٧.

نفع أو دفع ضر كذلك. راجياً من المولى جل وعلا التوفيق والسداد، إنه خير ناصر ومعين.

أما خطة البحث فهي على النحو التالي:

- **التمهيد:** وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: فضل الإخلاص.

المسألة الثانية: بيان المصطلحات الواردة في البحث.

- **المبحث الأول:** شرك الأغراض الأكبر.
- **المبحث الثاني:** شرك الأغراض الأصغر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

المطلب الثاني: الرياء.

- **الخاتمة.**

وأما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو كما يلي:

أولاً- نظراً لأن البحث يترتب عليه- في بعض جوانبه- الحكم بالشرك أو نفيه عن العبد؛ فلم أصدر الحكم في أي مسألة من هذا البحث إلا عن دليل.

ثانياً- استقصيت أقوال العلماء بحسب ما توفر لي، وقد أطيل في ذكر بعض الأدلة وتحقيق القول فيها، وذكر أقوال العلماء، حتى لا يبقى مجال للشك في الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

ثالثاً- ما ذكرته من الأحاديث في هذا البحث هي مما صح سندها.

رابعاً- ترجمت للأعلام إلا المشهورين منهم.

خامساً- شرحت الألفاظ الغريبة بما أرى أنه بياناً كافياً لها .

الدراسات السابقة:

لم أقف- حسب علمي- على من أفرد الحديث عن شرك الأغراض ببحث مستقل، وإنما يوجد طرح لبعض أقسامه في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب وشروحه، أو في بعض الدراسات العلمية عند الحديث عن الشرك؛ مثل: رسالة الشرك في القديم والحديث، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية للباحث: أبو بكر محمد زكريا[١] ورسالة الشرك الأصغر، للباحث: عبدالله السليم، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام، وبحث للدكتور عواد عبدالله المعتق نشر في مجلة البحوث الإسلامية[٢]. وبحث "النية" للأستاذ الدكتور: عبدالله

(١) نشرها المؤلف لاحقاً في طبعتها الأولى في مجلدين، وهي من منشورات مكتبة الرشد بالرياض، عام ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) نشره المؤلف لاحقاً عن طريق مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

بن عبدالعزيز الجبرين[١] أستاذ الفقه في جامعة الملك سعود. ولهذا أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت لإخراج هذا البحث في وقت تدعو الحاجة إلى طرحه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

(١) من منشورات دار الصميعي بالرياض، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

التمهيد

المسألة الأولى- فضل الإخلاص:

الإخلاص في اللغة[(١)]: خَلَصَ الشيء: سَلِمَ ونَجَا، ومنه: خَلَصَ الماءُ من الكدر: صفا. وخُلاصة الشيء: ما صفا منه. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ **[الأنعام:١٣٩]**، وأخلص الشيء اختاره، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:٥١]، والمُخْلَص الذي أَخْلَصه اللهُ جعله مُختاراً خالصاً من الدنس، والمُخْلِص الذي وحّد اللهّ تعالى خالصاً. وخَلَص إليه الشيءُ وَصَلَ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((**فلما خَلَصْتُ فإذا فيها آدم**))[(٢)]. أي وصلتُ.

مما سبق يتضح أن كلمة الإخلاص ترجع في معناها اللغوي إلى السلامة والنجاة، فمن أخلص عمله لله تعالى: فقد نجا وسلم، واستحق رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ينظر مادة (خلص) في لسان العرب، لابن منظور: ٧/ ٢٦، والمصباح المنير، للفيومي، ص١٥٠.

(٢) رواه البخاري: كتاب المناقب (٤٢) باب المعراج، رقم (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

والإخــلاص في الاصــطلاح هــو: إفـراد الحـق سـبحانه، في الطاعـة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أي شيء آخـر؛ فلا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التـزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظـيمهم، أو طلب أموالهم، أو خـدمتهم ومحبـتهم، وقـضائهم حوائجـه، أو طلـب محبتهم له، أو غير ذلك من العلل والـشوائب التـي عَقْـدُ متفرقاتهـا: هــو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان[1].

وقد أمر الله- جل وعلا- عباده المؤمنين بـإخلاص العبـادة لـه وحـده دون سواه، في آيات كثيرة من كتابه العزيز، منهـا قولـه تعـالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾[الزمر:٢-٣]. وقوله: ﴿ **قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ** ﴾ [الزمر:١١]. وقوله: ﴿ **قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي** ﴾ [الزمر:١٤]. كـما جـاء في السنة الأمر بالإخلاص والحث عليه فمن ذلـك مـاروه أمـير المـؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم يقول: ((**إنما الأعمال بالنيـة، وإنـما لامـرئ مـا نـوى، فمـن كانـت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا**

(١) ينظر الرسالة القشيرية: ٢/ ٤٤٣. ومدارج السالكين: ٢/ ٩٢، والداء والـدواء لابـن القـيم: ص٣١٣.وتجريد التوحيد المفيد، للمقريزي: ص٨٨-٩١.

يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))**[٢]. فالعبادة المقبولة عند الله تعالى هي ما صدرت عن مؤمن، وتوفر فيها الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

والإخلاص المراد عند الله جل وعلا والذي يتوقف عليه قبول العمل: هو قصده تعالى بالعبادة وحده دون سواه، وتجريدها وتنقيتها من شوائب الشرك، فمتى كانت كذلك حصل قبولها، ونال العبد ثمرة سعيه بإذن الله تعالى. يقول ابن القيم رحمه الله عن النية: ((هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة. والنية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح إذ هي أصلها وأحكام الجوارح متفرعة عليها))[٣].

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي (١) كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (١). ومسلم: كتاب الإمارة (٤٥) باب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنية"، رقم (١٩٠٧) ٣/ ١٥١٥،واللفظ له.

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة (١٠) باب تحريم ظلم المسلم، رقم (٢٥٦٤) ٤/ ١٩٨٧.

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم: ٣/ ١١٣٩-١١٤٠ .

المسألة الثانية- بيان المصطلحات الواردة في البحث:

أ-الشرك:

في اللغة: الشَّرك والشَّرْك- بالتخفيف وهو أغلب في الاستعمال- والجمع أَشْراك وشُرَكاء يدل على معان عدة، منها(١):

١- المخالطة،والمشاركة ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾[طه:٣٢]، أي:اجعله شريكاً ومصاحباً ومخالطاً.

٢- النصيب والحظ والقسمة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((**مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي عَبْدٍ**))(٢)،أي: حصة ونصيباً.

٣- والشَّرَكُ حبائل الصائد وكذلك ما ينصب للطير واحدته شَرَكَة وجمعها شُرُكٌ وهي قليلة نادرة وشَرَكُ الصائد حبالَتَه يَرْتَبِك فيها الصيد وفي الحديث: ((**أَعوذ بك من شر الشيطان وشِرْكِه**))(٣)، أي ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى.

---

(١) ينظر مادة (شرك) في لسان العرب: ١٠/ ٤٤٨، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ص ٢٥٥.

(٢) رواه البخاري: كتاب الشركة (١٤) باب الشركة في الرقيق، رقم (٢٥٠٣)، ومسلم: كتاب العتق، رقم (١٥٠١) ٢/ ١١٣٩، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبوداود: كتاب الأدب (١١٠) باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٦٧) ٥/ ٣١٠. والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقال في الصباح والمساء، رقم (٣٣٩٢) ٥/ ٣٩٩، وقال: حسن صحيح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني [سنن الترمذي، طبعة الشيخ الألباني، رقم (٣٣٩٢) ص٧٧٠].

٤- والشِّراكُ سير النعل، والجمعُ شُرُك، وأَشْركَ النعلَ وشَرَّكها جعل لها شِراكاً، والتَّشْرِيك مثله.. وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفَيْءُ بقدر الشِّراكِ(١).

٥- وشَرَكُ الطريق الطُّرُقُ التي لا تخفى عليك ولا تَسْتَجْمِعُ لك فأنت تراها وربما انقطعت غير أنها لا تخفى عليك وقيل هي الطُّرق التي تَخْتَلِجُ والمعنيان متقاربان.

٦- وأَشْرَك بالله جعل له شَريكاً في ملكه. والاسم: الشِّرْكُ، قال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣]، والشِّرْكُ أن يجعل لله شريكاً.

وخلاصة الأمر أن مرجع مادة الشرك في اللغة إلى الخلط والضم: ((فإذا كان بمعنى الحصة والنصيب من الشيء يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[الأحقاف: ٤]. فالشريك مخالط لشريكه، وحصته منظمة لنصيب الآخر. وإذا كان بمعنى الحبالة فإن ما يقع فيها من الحيوان، يختلط بها وينضم إلى ملك الصائد، وإذا كان بمعنى معظم الطريق، فإن أرجل السائرين وأقدام الماشين تختلط

(١) رواه الترمذي: أبواب الصلاة (١) باب ما جاء في مواقيت الصلاة، رقم (١٤٩) ١/ ١٩٥، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما،وصححه الألباني [سنن الترمذي، طبعة الشيخ الألباني، رقم (١٤٩) ص٤٧].

آثارها هنالك، وينضم بعضها إلى بعض. وإذا كان بمعنى سير النعل، فإن النعل تنضم به إلى الرجل، فيخلط بينهما))[١].

الشرك في الاصطلاح:

الشرك بوجه عام هو: اتخاذ شريك مع الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[٢].

وشرك الأغراض يندرج تحت الشرك في العبادة، الذي هو اتخاذ شريك مع الله في العبادة. قال السعدي رحمه الله: ((فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعا من أفراد العبادة لغير الله. فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر. فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء. كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة))[٣].

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، الشيخ مبارك محمد الميلي: ص٦١-٦٢.

(٢) ينظر الداء والدواء لابن القيم: ص٢٨٧، ٢٩٨-٣٠٢، ٣١٣-٣٢٩. والدين الخالص، لصديق حسن خان: ١/ ٧٨-٧٩.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد، لابن سعدي: ص١٢٠-١٢١.

ب- **الغَرَض**: في اللغة: الحاجة والقصد، ومنه: الغرض من فعله هذا.. كذا. والغرض: الهدف الذي يُرمى إليه، والحاجة والبغية. ومنه نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ الحيوان غَرَضاً[١].

وشرك الأغراض: هو أن يريد العبد بالعمل غير وجه الله سبحانه، أو ينوي شيئاً غير التقرب إليه تعالى وطلب الجزاء منه[٢].

ج - النية :

في اللغة: القصد[٣]. ونوى الشيء: إذا قصده، وتوجه إليه.

في الاصطلاح: هي حالة للقلب باعثة على العمل[٤].

د - الرياء:

في اللغة: مأخوذ من الرؤية، وهي النظر بالعين، يقال: رائيته، مراءاة، ورياء، إذا أريتُه على خلاف ما أنا عليه[٥].

---

(١) مادة (غرض) في: تاج العروس للزبيدي: ١٠/ ١٠٧، ومحيط المحيط، للبستاني،: ص٦٥٦.
والحديث أخرجه مسلم: كتاب الصيد والذبائح (١٢) باب النهي عن صبر البهائم، رقم (١٩٥٧)، ٣/ ١٥٤٩. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر الداء والدواء، لابن القيم: ص٣١٢، ومادة (غرض) في الكليات، لأبي البقاء الكفوي: ص٥٣٣.

(٣) تاج العروس: ٢٠/ ٢٦٦، مادة (نوى).

(٤) إنقاذ الهالكين، للبركوي: ص١٧.

(٥) بصائر ذوي التمييز، للزبيدي: ٣/ ١١٦.

في **الاصطلاح**: أن يعمل العمل مما يبتغى به وجه الله ليراه الناس، فيثنون عليه ويمدحونه، ويحمد عندهم[١].

هـ- الدنيا: ((الدنيا: بضم الدال، وهي فُعلى من الدنو أي القرب، سميت بذلك لسبقها للأخرى، وقيل سميت دنيا لدنوها إلى الزوال))[٢].

و- إرادة الإنسان بعمله الدنيا: هو ((إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة، والمراد بنفع الدنيا: الحظ العاجل، أعني قبل الموت، سواء أراده من الله تعالى أو من الناس))[٣]. ويدخل في الحظ العاجل: من يعمل العمل ليذكر بعد موته، أو يقال حضر جنازته العدد الكثير من الناس، وهكذا. كما يدخل فيه من عمل أعمالاً مما يُبتغى بها وجه الله تعالى يريد بها الدنيا؛ إما لطلب الجاه أو المال ونحوهما، كالذي يصلي لصحة بدنه، أو لطلب وظيفة، وكالذي يطلب العلم، أو يسعى للجهاد ليحصل على المال أو الصيت أو المنصب، فنيته- أو غالب نيته- تحصيل مصالح في الدنيا، لا لطلب مرضاة الله تعالى.

---

(١) ينظر الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي: ص١٦٠-١٦٤، والداء والدواء، لابن القيم: ص٣٠١-٣٠٤، وفتح الباري، لابن حجر: ١١/ ٣٤٤.

(٢) فتح الباري: ١/ ٢٣.

(٣) إنقاذ الهالكين، للبركوي: ص٣٤.

والفرق بينه وبين الرياء في أمرين:

الأمر الأول: أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا لم يقصد صاحبه التذلل والخضوع والتعظيم لأحد، بل أراد حظ نفسه من الحظوظ العاجلة في الدنيا: كالمنصب، أو الرئاسة، أو الجاه، أو المال. أما المرائي فهو يقصد ثناء الناس ومدحهم وسماعهم بأعماله طمعاً في أن ينال مكانة في أعينهم[1].

الأمر الثاني: أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا أعم من الرياء، فالرياء حالة واحدة من أحوال إرادة الإنسان الدنيا، فهو يصلي أو يزيد في صلاته أو يزينها؛ لأجل الرؤية ولأجل المدح والذكر، لكن هناك أحوال أخر لإرادة الناس بأعمالهم الدنيا، هي في أحوال كثيرة أعم من حال الرياء بخاصة[2].

وشرك الأغراض المراد هنا يشمل القسمين معاً كما سيأتي معنا إن شاء الله. ومن خلال استقراء النصوص الشرعية، وأقوال علماء الأمة نجد أن شرك الأغراض يتمثل في صور عدة سنوردها في المباحث الآتية. ويمكن حصرها في نوعين:

النوع الأول: شرك الأغراض الأكبر وهو ما كان مخرجاً من الإسلام بالإجماع.

---

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله: ص٢٧٣.

(٢) ينظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ:ص ٤٠٤.

النوع الثاني : شرك الأغراض الأصغر، وهو ما كان محبطاً للعمل المصاحب له. وهو على قسمين من جهة حكمه: فقسم منه يعد كبيرة من الكبائر، والقسم الآخر وقع فيه خلاف، بين من يراه شركاً، وبين من يرى جوازه، وأنه لا يدخل تحت الوعيد؛ وسيأتي بيان القول الراجح في موضعه من هذا البحث إن شاء الله.

المبحث الأول

شرك الأغراض الأكبر

وهو ما كان مخرجا من الملة بالإجماع، **ويتمثل في الصورة الآتية:**

من كان غرضه من إسلامه الدنيا كأن يسلم ليأمن على نفسه أو على أهله أو على ماله. أو أسلم ليتزوج امرأة، أو لينال منصباً ورئاسة ونحو ذلك. فهذا شرك أكبر مخرج من الملة- حتى وإن حكم بإسلامه ظاهراً- وحال صاحبه كحال المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر[1]. قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨] . إلى قوله: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤]. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: «إنّ الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمرَهُ في دار هجرته، واستَقرَّ بها قرارُه، وأظهرَ الله بها كلمتَه، وفشا في دور أهلها الإسلام، وقَهَر بها المسلمون مَنْ فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان، وذَلّ بها مَن فيها من أهل الكتاب- أظهر أحبارُ يَهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضَّغائن..، وطابَقَهم سرًّا على مُعاداة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وَبغْيِهم الغوائِل، قومٌ- من أَرَاهط الأنصار الذين آوَوْا

(١) ينظر شرح كتاب التوحيد، للشيخ ابن باز: ص١٠٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَصَروه- وكانوا قد عَسَوْا في شركهم وجاهليَّتِهم..- وظاهروهم على ذلك في خَفاءٍ غير جهارٍ، حذارَ القتل على أنفسهم، والسِّباءِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وركونًا إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام. فكانوا إذا لَقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم- حِذارًا على أنفسهم-: إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبَعْث، وأعطَوْهم بألسنتهم كلمةَ الحقِّ، ليدرءوا عن أنفسهم حُكم الله فيمن اعتقدَ ما هم عليه مقيمون من الشرك، لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم. وإذا لقُوا إخوانَهم من اليهود وأهل الشّركِ والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، فخلَوْا بهم قَالُوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]))[١].

ومما يدل على أن إسلام هؤلاء المنافقين إنما هو للدنيا، قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور:٤٧-٥٠] . يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: ((يقول المنافقون: صدّقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله وأطعنا الرسول.. ثم تدبر كلّ طائفة منهم من بعد

(١) تفسير الطبري: ١/ ٢٧٠-٢٧١.

ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها.. وليس قائلوا هذه المقالة- يعني قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾- بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه.. وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختصموا فيه بحكم الله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول الحقّ، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قِبَل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله- يأتوا إلى رسول الله مذعنين: منقادين لحكمه، مقرّين به طائعين غير مكرهين))[١].

(١) المصدر السابق: ١٨/ ١٥٦.

المبحث الثاني
شرك الأغراض الأصغر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

إرادة الإنسان بعمله الدنيا نوع من شرك الأغراض، وقد يكـون شركـاً أكبر كما سبق معنا في المبحث الأول، وقد يكون شركاً أصغر؛ ولأن غالب صوره وأقسامه تندرج تحت الشرك الأصغر، فكان الأنسب وضـعه هنـا. كما أن من أقسامه ما ليس بشرك كما سيتضح معنا في ضوء الأقسام التالية:

القسم الأول: من عمل أعمالاً مما يبتغى بها وجه الله وحـده: كالـصلاة والصيام وطلب العلم الشرعي، وكان غرضه من أعماله الدنيا فقط،وهـو مقر بالإسلام ديناً إلا أنه لضعف في نفسه أراد بأعماله الدنيا كأن يـصل إلى رئاسة، أو يحصل على مال أو شهادة ونحو ذلـك، ولـولا هـذا المقـصد لم يعمل. ولم يرد بأعماله مراءاة الناس أو ثناءهم. وكمن يتعلم العلم لأجـل تصدر قومه أو رئاستهم، أو يقـرأ القـرآن ويواظـب عـلى الـصلاة لأجـل وظيفة المسجد كما هو واقعٌ كثيرًا. فهؤلاء عملـوا لمـصلحة يحـصلونها، لا

لأجل المدح والجلالة في أعين الناس فلا يحصل لهم طائل، ولا تحصل لهم منفعة[١].

وأصحاب هذا القسم ليس لهم في الآخرة نصيب فيما عملوا، بل هم آثمون محاسبون على ما فعلوا، يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة))** يعني: ريحها[٢]. ((مبالغة في تحريم الجنة؛ لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعا. وهذا محمول على أنه يستحق أنه لا يدخل أولا ثم أمره إلى الله تعالى كأمر أصحاب الذنوب كلهم إذا مات على الإيمان))[٣].

قال الطيبي[٤]: ((إن المتوعد به إذا كان من أهل الإيمان لابد أن يدخله الجنة، عرفنا ذلك بالنصوص الصحيحة، وذلك أنه مقيد بيوم القيامة،

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ضمن مجموعة مؤلفاته ق٤): ص١٢١.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب العلم (١٢) باب في طلب العلم لغير الله، ٤/ ٧١ رقم (٣٦٦٤). وأحمد: ١٤/ ١٦٩، رقم (٨٤٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحح إسناده محقق المسند.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للآبادي: ١٠/ ٩٨. وبذل المجهود في حل أبي داود، للسهارنفوري: ١٥/ ٣٥٠.

(٤) الحسين بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي، الإمام المحدث المفسر، من أهل توريز من عراق العجم. له شرح المشكاة والتبيان في المعاني والبيان وغيرها، توفي سنة ٧٤٣هـ.[الدرر الكامنة : ٢/ ١٥٦].

والناس أحوالهم فيه مختلفة، فإن الآمنين من الفزع الأكبر- خصوصاً العلماء الزاهدون- إذا وردوه يمدون برائحة الجنة تقوية لقلوبهم، وتسلية لهمومهم، على مقدار مراتبهم، وهذا البائس المبتغي للأغراض الفانية... لا يجد رائحة الجنة ولا يهتدي إليها لأمراض قلبه))[١].

قال الشيخ ابن سعدي: ((وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب. وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فان المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، لا بد أن يريد الله والدار الآخرة))[٢].

القسم الثاني: من عمل الأعمال الصالحة ابتغاء وجه الله من صدقة أو صلاة أو إحسان إلى الناس أوترك الظلم أو كلام في عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه ليس من أجل الناس وليس من أجل منصب أو جاه، ولا يريد بها الآخرة؛ ولكن ليجازى بها في الدنيا بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليه ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب[٣].

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي : ١/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد: ص٢٢٠.

(٣) ينظر تفسير آيات من القرآن الكريم، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ضمن مجموعة مؤلفاته ق٤): ص١٢٠.

ويدل على هذا القسم قول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦]، وهذا التفسير اختاره ابن عباس رضي الله عنه فقد روى الطبري عنه قوله في الآية: ((هي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا. يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعملُ التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين))[1]. وذكر عن قتادة قوله: ((من كانت الدنيا همَّه وسَدَمه[2] وطَلِبته ونيتّه، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يعطى بها جزاءً))[3].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية في المشركين خاصة، فروى ابن جرير الطبري عن الضحاك قوله في الآية: ((من عمل عملا صالحًا في غير تقوى- يعني من أهل الشرك- أعطي على ذلك أجرًا في الدنيا: يصل رحمًا، يعطي سائلا يرحم مضطرًّا، في نحو هذا من أعمال البرّ، يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، ويُوسِّع عليه في المعيشة والرزق، ويقرُّ عينه فيما

---

(١) تفسير الطبري: ١٥ / ٢٦٣.

(٢) سدمه: سدم بالشيء: حرص عليه ولهج به، وولع به [ينظر مادة "سدم" في النهاية، لابن الأثير: ص٤٢٤، والمعجم الوسيط: ص٤٢٤].

(٣) تفسير الطبري: ١٥ / ٢٦٤.

خَوَّله، ويدفع عنه من مكاره الدنيا، في نحو هذا، وليس له في الآخرة من نصيب))[١].

قال القرطبي رحمه الله: ((ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة، وكذلك الآية التي في "الشورى": ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [الشورى:٢٠] الآية. وكذلك ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [آل عمران:١٤٥] قيدها وفسرها التي في "سبحان": ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨] إلى قوله: ﴿ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد))[٢].

قال الشيخ عثمان بن منصور[٣] رحمه الله: ((الضمير في قوله: ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا ﴾ راجع إلى الآخرة، والمعنى: حبط ما صنعوا في الآخرة إذا وافوها، فلا ثواب لهم فيها؛ لأنهم قد استوفوا أعمالهم الخسيسة في الدنيا لإرادتهم إياها، فلم يبق لهم ثواب في الآخرة. هذا يدل على أن الكفار يُجازون على أعمالهم في الدنيا التي يطلبون بها من الله- سبحانه- الصحة

(١) المصدر السابق: ١٥ / ٢٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٩/ ١٤.

(٣) عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي، ولد في الفرعة من قرى الوشم بنجد. ودرس على علماء الدعوة، وعلى غيرهم من علماء العراق، له شرح على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب من أجل الشروح. توفي سنة (١٢٨٢هـ) في حوطة سدير. ينظر: علماء نجد لابن بسام: ٥/ ٨٩، ومقدمة محققي كتابه فتح الحميد.

والعافية والولد وسعة الرزق وغير ذلك، وليس لهم في الآخرة من خلاق. ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود: ١٦]، فالمعنى: ليس لهم شيء من جزاء أعمالهم في الآخرة إلا النار. فتبين بهذا النفي أن المقصود بذلك الكفار المخلَّدون في النار. ولكن فيه تخويف للمؤمن في إرادته الحياة الدنيا بتلف ذلك العمل المراد به الدنيا في الآخرة، فلا يبقى له عليه جزاء في الآخرة))[١].

على أن الأعمال الصالحة التي يريد بها -أصحابُ هذا القسم- الدنيا نوعان:

الأول: أن يكون العمل الذي عمله، وأراد به الدنيا فقط، ولم يرد ثواب الآخرة، لم يرد الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة والصيام، ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه واقع في الشرك، ومحاسب عليه يوم القيامة[٢].

الثاني: أن يكون العمل المراد بالدنيا قد رتب عليه الشارع ثواباً في الدنيا وفي الآخرة معاً، مثل صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك[٣]، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له**

---

(١) فتح الحميد في شرح التوحيد، لعثمان بن منصور: ٣/ ١٥٣١-١٥٣٢. وينظر: شرح كتاب التوحيد، للشيخ ابن باز: ص١٠٨.

(٢) ينظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد: ص٤٠٦.

(٣) ينظر المرجع السابق: ص٤٠٦.

في أثره فليصل رحمه))[١]، وزاد في حديث علي رضي الله عنه: ((ويدفع ميتة السوء))[٢]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: ((صلة الرحم، وحسن الجوار، وحسن الخلق: يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار))[٣]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن صلة الرحمة محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر))[٤].

فالذي يظهر من النصوص السابقة أن من عمل أعمالاً صالحة للدنيا فقط، يُجازى عليها في الدنيا، وليس له في الآخرة أجرٌ ولا ثوابٌ على هذه الأعمال الصالحة لأنها كانت للدنيا. ولا يلزم من ذلك- فيما يتعلق بأهل هذا القسم- أن يأثم فاعله- في الآخرة- على إرادته بعمله الصالح الدنيا أو يُعذَّبَ عليه في الآخرة، بل يفقد ثواب الآخرة فقط.

ويشهد لهذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول اللهَّ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهَّ وَلَمْ يَنْوِ إِلاَّ عِقَالاً فَلَهُ مَا

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب (١٢) باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم (٥٩٨٦). ومسلم: كتاب البر والصلة (٦) باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٧) ٤/ ١٩٨٢، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند: رقم (١٢١٣) ٢/ ٣٨٧، وقوى إسناده محقق المسند.

(٣) رواه أحمد: رقم (٢٥٢٥٩) ٤٢/ ١٥٣، قال ابن حجر: رجاله ثقات (فتح الباري:١٠/ ٤٢٩).

(٤) رواه الترمذي: أبواب البر والصلة (٤٩) باب ما جاء في تعليم النسب، رقم (١٩٧٩) ٣/ ٥٢١. وصححه الألباني [سنن الترمذي، طبعة الشيخ الألباني، رقم (١٩٧٩) ص٤٤٩].

نَوَى))[١]. شاهد الحديث أن هذا الغازي أراد بجهاده محض الدنيا، فلم ينله من الأجر شيء. وبوب ابن حبان رحمه الله لحديث عبادة رضي الله عنه، فقال: ((ذكر البيان بأن القاصد في غزاته شيئاً من حطام هذه الدنيا الفانية له مقصوده دون ثواب الآخرة عليه))[٢].

ومما يدل على هذا القسم: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها**))[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((من طلب العلم، أو فعل غيره مما هو أجر في نفسه؛ لما فيه من المحبة له، لا لله ولا لغيره من الشركاء، فليس مذموماً، بل قد يثاب بأنواع من الثواب، إما بزيادة فيها وفي أمثالها، فينعم بذلك وأما بغير ذلك))[٤]. ثم قال: ((ولو كان فعل كل حسن لم

---

(١) رواه النسائي، المجتبى: كتاب الجهاد رقم (٣١٣٩). وابن حبان ١٠/ ٤٩٥، رقم (٤٦٣٨) قال محققه: الحديث حسن بشواهده. والعقال : هو الحبل الذي تُربط به الإبل ونحوها، ينظر النهاية لابن الأثير، مادة "عقل" ص٦٣٢.

(٢) صحيح ابن حبان: ١٠/ ٤٩٥.

(٣) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين (١٣) باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، رقم (٢٨٠٨) ٤/ ٢١٦٢.

(٤) الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لعلاء الدين البعلي الحنبلي: ص٩٥. وينظر الفروع، لابن مفلح: ٣/ ٣٤٠. وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني:٢/ ٥١٠

يفعل لله مذموما لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا؛ لأنها تكـون سـيئات، وقد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا أن يهديـه الله إلى أن يتقـرب بهـا إليه))[١].

ويدل عليه أيضا حـديث أبي هريـرة رضي الله عنـه أن رجـلا قـال: يـا رسول الله! رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضـا مـن عـرض الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: ((لا أجـر لـه)) فـأعظم ذلـك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فلعلـك لم تُفْهِمْهُ. فقال: يا رسول الله! رجل يريد الجهـاد في سـبيل الله وهـو يبتغـي عرضا من عرض الدنيا؟ قال: ((لا أجر له)). فقالوا للرجل: عد لرسـول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له الثالثة، فقال له: ((لا أجر له))[٢]. فنفـى النبيُّ صلى الله عليه وسلم حصولَ الأجـر لمـن أراد الـدنيا، لكنـه لم يـذكر العقاب المترتب على هذا الفعـل، والنبـي صـلى الله عليـه وسـلم في مقـام البيان، فكونه صلى الله عليه وسلم سكت عن ذكر عقـاب؛ دليـل عـلى أن حرمان الأجر عن هذا الفعـل هـو عقـاب عليـه. وقـد بـوب ابـن حبـان

---

(١) نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية ابنُ مفلح في الفروع: ٣/ ٣٤٠، وعنـه السفاريني في غـذاء الألباب في شرح منظومة الآداب:٢/ ٥١٠. ولم أجده- بعد بحث- في كتب ابن تيمية. ولكن يوجد في مجموع الفتاوى: ١٠/ ٧٦٩، وفي شرح العقيدة الأصفهانية (ص٩٨) قريب منه.

(٢) رواه أبوداود: كتاب الجهاد (٢٥) باب فيمن يغزو ويلـتمس الـدنيا، رقـم (٢٥١٦) ٣/ ٣٠. وأحمد: ١٣/ ٢٧٧، رقم (٧٩٠٠)، والحاكم: ٢/ ٨٥ وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبـان: ١٠/ ٤٩٤، رقم (٤٦٣٧). قال محقق المسند: حسن لغيره.

للحديث السابق فقال: ((ذكر الإخبار عن نفي كتبة الله الأجر لمن غـزا في سبيله يريد به شيئا من عرض هذه الدنيا الفانية الزائلة))[١].

ومن الأدلة كذلك حديث يعلى بن منية[٢] قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيراً يكفينـي وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني، فقال: مـا أدري ما السهمان وما يبلغ سهمي؟ فسم لي شيئا كان السهم أو لم يكن. فـسميت له ثلاثة دنانير. فلما حضرت غنيمته، أردت أن أجري له سهمه، فـذكرت الدنانير، فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت لـه أمـره فقـال: **((مـا أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى))**[٣].

وهذا الحديث وسابقه صريحان في أن للرجل ما نواه مـن أجـر الـدنيا، وأنه لم يخرج للجهاد إلا لأجل الدنيا.

---

(١) صحيح ابن حبان: ١٠/ ٤٩٤.

(٢) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي، حليف قريش، وأمه: مُنْية بنت غزوان، أخت عتبـة بن غزوان. أسلم يوم الفتح ، وشهد الطائف وتبوك، له نحو من عشرين حديثا، وحديثـه في الصحيحين. وكان من أجواد الصحابة، ولي نجران لعمر، وولي اليمن لعثمان، وهو أول مـن أرخ الكتب وهو باليمن. خرج مع عائشة، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم يوم الجمل، فلـما هزموا، ذهب يعلى إلى مكة، ثم أقبل على شأنه، وهو من أهـل الفتيـا مـن الـصحابة في مكـة، توفي رضي الله عنه في حدود سنة ستين للهجرة. [سير أعلام النبلاء:٣/ ١٠١].

(٣) رواه أبو داود: كتاب الجهاد (٣٢) باب في الرجل يغزو بأجر الخدمة، رقـم (٢٥٢٧) ٣/ ٣٧، وصححه الألباني، [سنن أبي داود، طبعة الشيخ الألباني، رقم (٢٥٢٧) ص٤٤٤] .

ومن الأدلة أيضاً: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط! إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم. والله إني لأرقي؛ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ الحمد لله رب العالمين، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة[1]. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: ((**وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم**))[2].

---

(١) قلبة: ألم، وعلة. [النهاية في غريب الحديث والأثر،مادة "قلب" ص٧٦٧].

(٢) رواه البخاري: كتاب الإجارة (١٦) باب ما يعطى في الرقية، رقم (٢٢٧٦). ومسلم: كتاب السلام (٢٣) باب جواز أخذ الأجرة على الرقية، رقم (٢٢٠١) ٤/ ١٧٢٧، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الطب (٣٣) الشرط في الرقية، رقم (٧٤٩٠) ٧/ ٧٠.

وهذا الحديث يدل دلالة ظاهرة على أن إرادة الدنيا هي الباعث على قراءة الفاتحة رقية، وأقر النبيُ صلى الله عليه وسلم الصحابةَ على أخذهم الأجرة مقابل الرقية. قال النووي رحمه الله: ((هذا تصريح بجواز أخذ الأجرة على الرقية بالفاتحة والذكر، وأنها حلال لا كراهة فيها، وكذا الأجرة على تعليم القرآن، وهذا مذهب الشافعي، ومالك، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، وآخرين من السلف، ومن بعدهم))[1].

ويدخل في هذا القسم: الإجارة والجعالة على أعمال البر، ومما يستدل به على جوازها: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي**))[2].

قال ابن تيمية: ((وهذا أيضا إنما يأخذ ما ينفقه في الحج كما لا يأخذ إلا ما ينفقه في الغزو، فهاتان صورتان مستحبتان، وهما الجائزتان من أن يأخذ نفقة الحج ويرد الفضل، وأما إذا كان قصده الاكتساب بذلك وهو أن يستفضل مالاً، فهذا صورة الإجارة، والجعالة، والصواب أن هذا لا يستحب، و إن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح فى نفسه، إذا لم يقصد به إلا المال فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٤/ ٢٧٠.

(٢) رواه الإمام أحمد: ١١/ ١٩٧، رقم (٦٦٢٤). ورواه أبو داود: كتاب الجهاد (٣١) باب الرخصة في أخذ الجعائل، رقم (٢٥٢٦) ١/ ٣٦، قال محقق المسند: إسناده صحيح.

بعمل الآخرة، فليس له في الآخرة من خلاق. ونحن إذا جوزنا الإجارة والجعالة على أعمال البر التي يختص أن يكون فاعلها من أهل القرب؛ لم نجعلها في هذه الحال إلا بمنزلة المباحات لا نجعلها من باب القرب))[1].

والفرق بينه وبين القسم الأول: أن مَنْ في القسم الأول أراد بأعماله الصالحة الوصول إلى منصب: كأن يصل إلى رئاسة، أو أن يحصل على مال أو شهادة ونحو ذلك، بينما من كان في القسم الثاني عمل الأعمال الصالحة ليس من أجل منصب أو جاه، ولكن ليجازى بها في الدنيا بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليه ونحو ذلك. فالاثنان يتفقان في إرادة الدنيا بأعمالهم الصالحة، ويختلفان في الثمرة المرجوة من هذا العمل. فالأول فيه شبه من الرياء من جهة بذله العمل الصالح ليحقق به أمراً يرفعه أمام الناس، والآخر إنما يبذل العمل الصالح، لمصلحته في الدنيا، ولا يطلب من ذلك رفعة أمام الناس. فالإثم متحقق في الأول، أما الثاني أقل أحواله أن يسلم من العقاب في الآخرة؛ لكنه لا ينال أجراً فيها، فتكون من باب المباحات، لا من باب القرب، والله أعلم.

القسم الثالث: من خلط نية الآخرة بالدنيا، وهو ما يسميه القرافي: تشريك النية[2]، كمن جاهد لإعلاء كلمة الله، وللمغنم، وحج لأداء الفرض وللتجارة ونحو ذلك، وله أمثلة أخرى: ((**أحدها**: الصلاة في

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: ٢٦/ ١٦-١٧.

(٢) ينظر الفروق للقرافي: ٣/ ٢٢.

المسجد للأنس بالجيران، أو الصلاة بالليل لمراقبة أو مراصدة أو مطالعة أحوال. **والثاني**: الصوم توفيراً للمال، أو استراحة من عمل الطعام وطبخه، أو احتماء لألم يجده أو مرض يتوقعه أو بطنة تقدمت له. **والثالث**: الصدقة للذة السخاء، والتفضل على الناس. **والرابع**: الحج لرؤية البلاد، والاستراحة من الأنكاد، أو للتجارة، أو لتبرمه بأهله وولده، أو إلحاح الفقر. **والخامس**: الهجرة مخافة الضرر في النفس أو الأهل أو المال. **والسادس**: تعلم العلم ليحتمي به عن الظلم. **والسابع**: الوضوء تبردا. **والثامن**: الاعتكاف فرارا من الكراء. **والتاسع**: عيادة المرضى، والصلاة على الجنائز ليفعل به ذلك. **والعاشر**: تعليم العلم ليتخلص به من كرب الصمت، ويتفرج بلذة الحديث. **والحادى عشر**: الحج ماشيا ليتوفر له الكراء، وهذا الموضع أيضا محل اختلاف إذا كان القصد المذكور تابعا لقصد العبادة))[1].

فهذا لا بأس به شريطة أن لا تغلب نية الدنيا نية ابتغاء وجه الله تعالى بهذا العمل، وأن يكون قصده الأصلي هو ابتغاء وجه الله تعالى .على أنه إذا تساوى القصدان فلا يضر ولكن ينقص أجره.

قال ابن حجر رحمه الله عند حديث عمر رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات: ((ومن أمثلة ذلك ما وقع في قصة إسلام أبي طلحة رضي الله عنه

(١) الموافقات، للشاطبي: ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

فيما رواه النسائي[1] عن أنس رضي الله عنه قال: "تزوج أبو طلحة أم سُليم فكان صداق ما بينهما الإسلام: أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة فخطبها، فقالت: إني قد أسلمت فإن أسلمت تزوجتك. فأسلم فتزوجته". وهو محمول على أنه رغب في الإسلام ودخله من وجهة، وضم إلى ذلك إرادة التزويج المباح فصار كمن نوى بصومه العبادة والحمية أو بطوافه العبادة وملازمة الغريم))[2].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ((فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إن الغزاة إذا غنموا غنيمة، تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا، تم لهم أجرهم))**[3]... وقال الإمام أحمد: "التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره"[4].

---

(١) سنن النسائي: كتاب النكاح (٦٣) التزويج على الإسلام: ٦/ ١١٤. والحديث صححه الألباني [سنن النسائي، طبعة الشيخ الألباني رقم (٣٣٤٠-٣٣٤١) ص٥١٦].

(٢) فتح الباري: ١/ ٢٤-٢٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (٤٤) باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم، رقم (١٩٠٦) ٣/ ١٥١٤.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ١/ ٨١-٨٢.

وبوب البخاري في الجامع الصحيح باباً، فقال: **من قاتل للمغنم هل ينقص أجره؟** ثم أورد حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ونصه: قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقال: **((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))**[1]. قال ابن حجر: ((الذي يظهر أن النقص من الأجر أمر نسبي كما تقدم تحرير ذلك في أوائل الجهاد، فليس من قصد إعلاء كلمة الله محضا في الأجر مثل من ضم إلى هذا القصد قصدا آخر من غنيمة أو غيرها))[2].

وقال القرطبي رحمه الله- عند قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[البقرة:١٩٨]-: ((في الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركاً ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه. أما إن الحج دون تجارة أفضل؛ لعروها عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيرها))[3].

ثم استدل القرطبي بحديث أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر: إني رجل أكرى في هذا الوجه، وإن ناساً يقولون: إنه لا حج لك. فقال ابن

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد (١٠)، رقم (٣١٢٦).

(٢) فتح الباري: ٦/ ٢٦١. وينظر الكتاب نفسه: ٦/ ١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٣١.

عمر: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله مثل هذا الـذي سألتني، فسكت حتى نزلت هـذه الايـة: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [البقرة:١٩٨]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن لك حجاً**))(١).

ومما يدل على جواز إرادة الآخرة والدنيا معـاً بالعمـل الـصالح، قولـه تعـالى: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾[آل عمران:١٥٢] وهذا خطاب للذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسـلم معركة أحد من الصحابة، ولم يكن فيهم منافق(٢)، ولهـذا قـال عبـدالله بـن مسعود رضي الله عنه: ((**ما شعرتُ أن أحداً من أصحاب رسول الله يريـد الدنيا وعرَضَها حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية**))(٣).

على أن بعض العلماء- ومنهم القرافي- لا يشترط أن تكـون نيـة الـدنيا هي الغالبة بل يكفي اشتراك النيتين معاً، فلا يمنع أن يكون جل مقـصوده الدنيا، ويكون العمل المراد بـه وجـه الله إمـا مقـصودا مـع ذلـك أو غـير مقصود ويقع تابعا اتفاقا فهذا أيضا لا يقدح في صحة العمل ولا يوجـب إثماً ولا معصية.

---

(١) رواه الإمـام أحمـد في المـسند، رقـم (٦٤٣٤، ٦٤٣٥)، ١٠/ ٤٧٣-٤٧٤، والـدارقطني في السنن: كتاب الحج، باب ابتغاء فضل الله في الحج، رقم (٢٧٥١) ٣/ ٣٥٩. وصححه محقـق المسند، وكذلك محقق سنن الدارقطني.

(٢) ينظر عدة الصابرين، لابن القيم: ص٣٢٢.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره: ٤/ ١٣٠.

يقول القرافي: ((وأما مطلق التشريك: كمن جاهد ليحصل طاعة الله بالجهاد، وليحصل المال من الغنيمة، فهذا لا يضره ولا يحرم عليه بالإجماع؛ لأن الله تعالى جعل له هذا في هذه العبادة، ففرق بين جهاده ليقول الناس إنه شجاع، أو ليعظمه الإمام، فيكثر إعطاءه من بيت المال فهذا ونحوه رياء حرام؛ وبين أن يجاهد ليحصل السبايا والكراع والسلاح من جهة أموال العدو، فهذا لا يضره مع أنه قد أشرك، ولا يقال لهذا رياء بسبب أن الرياء ليعمل أن يراه غير الله تعالى من خلقه والرؤية لا تصح إلا من الخلق فمن لا يرى ولا يبصر لا يقال في العمل بالنسبة إليه رياء والمال المأخوذ في الغنيمة ونحوه لا يقال إنه يرى أو يبصر فلا يصدق على هذه الأغراض لفظ الرياء لعدم الرؤية فيها وكذلك من حج وشرك في حجه غرض المتجر بأن يكون جل مقصوده أو كله السفر للتجارة خاصة ويكون الحج إما مقصودا مع ذلك أو غير مقصود ويقع تابعا اتفاقا فهذا أيضا لا يقدح في صحة الحج ولا يوجب إثما ولا معصية وكذلك من صام ليصح جسده أو ليحصل له زوال مرض من الأمراض التي ينافيها الصيام ويكون التداوي هو مقصوده أو بعض مقصوده والصوم مقصوده مع ذلك وأوقع الصوم مع هذه المقاصد لا تقدح هذه المقاصد في صومه بل أمر بها صاحب الشرع في قوله صلى الله عليه وسلم:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له

وجاء"[١]، أي قاطع فأمر بالصوم لهذا الغرض فلو كان ذلك قادحا لم يأمر به عليه الصلاة والسلام في العبادات وما معها ومن ذلك أن يجدد وضوءه وينوي التبرد أو التنظيف وجميع هذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق بل هي تشريك أمور من المصالح ليس لها إدراك ولا تصلح للإدراك ولا للتعظيم فلا تقدح في العبادات فظهر الفرق بين قاعدة الرياء في العبادات وبين قاعدة التشريك في العبادات غرضاً آخر غير الخلق مع أن الجميع تشريك. نعم لا يمنع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تنقص الأجر وأن العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر وعظم الثواب أما الإثم والبطلان فلا سبيل إليه ومن جهته حصل الفرق لا من جهة كثرة الثواب وقلته))[٢].

والذي يترجح في هذا القسم ما يلي: إنه إذا كان أصل المقصد إعلاء كلمة الله تعالى لم يضر ما حصل من غيره ضمنا، ولا فرق بين ما إذا كان الباعث على العمل وجه الله تعالى أو العكس، ولا يلزم تساوي القصدين أو عدم تساويهما، بل الصحيح عدم التفريق لأن النصوص أطلقت ولم تفرق. وذلك لما يأتي:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح (٢) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من استطاع الباءة فليتزوج"، رقم (٥٠٦٥). ومسلم: كتاب النكاح (١) باب استحباب النكاح، رقم (١٤٠٠) ٢/ ١٠١٨. من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الفروق، للقرافي: ٣/ ٢٢-٢٣.

١- قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة:١٩٨]. والمقصود بالفضل هنا: التجارة، فليس على المسلمين حرج ولا إثم في أن يتَّجروا في الحج[١]. ويشهد لهذا التفسير حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: ((كانت عُكاظ ومَجَنَّة وذو المَجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم، فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة:١٩٨] في مواسم الحج))[٢].

٢- ومن الأدلة أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق:٢-٣]، ووجه الدلالة أن من ثمرات تقوى الله حصول الرزق، فمن يتق الله محبةً له، وخوفاً منه عقابه، ورجاء ثوابه، ومن باب حصول الرزق تبعاً لما سبق- وهو من طلب الدنيا- فإن الله يرزقه.

٣- ومنها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣/ ٣٣١ .

(٢) رواه البخاري: كتاب الحج (١٥٠) باب التجارة أيام المواسم، رقم (١٧٧٠).

﴿ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح:١٠-١٢]، قال القرطبي رحمه الله: ((في هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار))[١].

٤- وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**من قتل قتيلا فله سلبه**))[٢]. قبل القتال دليل على أنه لا ينافي قصد المغنم القتال. ولا يخفى أن الأخبار هذه دليل على جواز تشريك النية إذ الإخبار به يقتضي ذلك غالبا.

٥- ومنها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**تابعوا بين الحج والعمرة فإنها ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**))[٣]. ووجه الدلالة أن المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الفقر عن المسلم، فمن تابع الحج أو العمرة بهدف مغفرة الذنب، ونفي الفقر عنه وزيادة في سعة رزقه تحقق له ذلك، وهو من طلب الدنيا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢١/ ٢٥٤. والآية التي في سورة هود هي قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود:٥٢].

(٢) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس (١٨) باب من لم يُخَمِّس الأسلاب، رقم (٣١٤٢). ومسلم: كتاب الجهاد والسير (١٣) باب استحقاق القاتل سلب القتيل، رقم (١٧٥١) ٣/ ١٣٧٠. من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد: ٦/ ١٨٥، رقم (٣٦٦٩) والترمذي: أبواب الحج (٢) باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم (٨١٠) ٢/ ١٦٤، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال محقق المسند: صحيح لغيره.

يقول الطيبي رحمه الله: ((من تعلم لرضى الله مع إصابة العرض الدنيوي لا يدخل تحت الوعيد؛ لأن ابتغاء وجه الله تعالى يأبى إلا أن يكون متبوعاً غالباً، فيكون العرض تابعاً، قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:١٣٤]))(١).

٦- ومما يشهد لما سبق: أن سبب غزوة بدر هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد المشركين لأخذ عيرهم، فلم ينافي ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا بل ذلك من إعلاء كلمة الله تعالى، وأقرهم الله على هذا القصد ولم يذمهم عليه، فقال: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٧]، مع أن في هذا الإخبار إخباراً لهم بمحبتهم للمال دون القتال، فإعلاء كلمة الله يدخل فيه إخافة المشركين وأخذ أموالهم وقطع أشجارهم ونحوه(٢).

٧- ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الفتح: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ١/ ٣٨٣.

(٢) ينظر سبل السلام: ٧/ ٢٤٧-٢٤٨.

﴿كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١)﴾[الفتح:١٨-٢١]. والمغانم التي في هـذه الآيـات هـي مغـانم خيبر التي وعد الله أهل الحديبية بها، وأنها لهم خاصة من غاب منهم ومـن حضر[١]. ووجه الدلالة في الآيات أنه مادام أصل النية هو إعلاء كلمة الله تعالى فلا يضر ما صاحبها من قصد الدنيا.

٨- ومن الأدلة أيضاً: حديث عبد الله بـن حوالـة الأزدي[٢] رضي الله عنه قال: ((**بعثنا رسول الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم، فرجعنا ولم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: اللهـم لا تكلهـم إلي فأضعف، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجـزوا عنهـا، ولا تكلهـم إلى النـاس فيستأثروا عليهم، ثم قال: ليفتحن لكم الشام والـروم وفـارس، أو الـروم وفارس، حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكـذا، ومن الغنم. حتى يعطى أحدهم مائة دينار فيسخطها**))[٣].

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٣٠٩.

(٢) عبد الله بن حوالة الأزدي: بالمهملة وتخفيف الواو يكنى أبا حوالـة وقيـل أبـا محمـد. أوصـاه النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أن يـسكن الـشام، ففعـل. مـات رضي الله عنـه سـنة ثمانـين بالشام.[الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٢٩٢].

(٣) رواه الإمام أحمد: رقم (٢٢٤٨٧) ٣٧/ ١٥١، وأبو داود: كتاب الجهـاد (٣٧) بـاب الرجـل يلـتمس الأجـر والغنيمـة، رقـم (٢٥٣٥) ٣/ ٤١. والبيهقـي في دلائـل النبـوة: ٦/ ٣٢٨. والحاكم في المستدرك: كتاب الفتن والملاحم: ٤/ ٤٢٥، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني [سنن أبي داود، طبعة الشيخ الألباني، رقم (٢٥٣٥) ص٤٤٦].

٩- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **((خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني. فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأه، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأزعب لك من المال زعبة**[١] **صالحة. قال: قلت يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال؛ ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا عمرو! نعم المال الصالح للمرء الصالح))**[٢].

وجواز تشريك النية هو قول الجمهور، قال ابن أبي جمرة[٣] رحمه الله: ((لا يبالي بتلك المقاصد، إذا كان مقصده والأصل فيها؛ لتكون كلمة الله هي العليا))[٤]. وقال ابن حجر رحمه الله: ((وبذلك صرح الطبري فقال:

---

(١) وأزعب لك من المال زعبة: أي أعطيك دفعةً من المال. والزعب: هو الدفع، يقال: جاءنا السيل يَزعب زعباً، أي يتدافع [الغريبين في القرآن والحديث: ٣/ ٨٢١].

(٢) رواه الإمام أحمد: رقم (١٧٧٦٣) ٢٩/ ٢٩٨. والبيهقي في شعب الإيمان: (ج ٣/ ص ٢٩٠) ١٢٤١، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: رقم (٦٠٥٦-٦٠٥٧) والبغوي في السنة: (٢٤٩٥)، والحاكم: ٢/ ٢٣٦، وصححه ووافقه الذهبي، قال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أبو بكر، محمد بن أحمد بن عبدالملك بن أبي جمرة الأندلسي، مسند المغرب،. وتقلد قضاء مرسية وشاطبة مرات، مات بمرسية في المحرم سنة ٥٩٩هـ عن نيف وثمانين سنة. [سير أعلام النبلاء :٢١/ ٣٩٨].

(٤) بهجة النفوس، لابن أبي جمرة: ١/ ١٤٩. ونقله عنه ابن حجر في الفتح: ٦/ ٣٥.

" إذا كان أصل الباعث هو الأول لا يضره ما عرض له بعد ذلك" وبذلك قال الجمهور" [١].

الجواب عن أدلة القائلين بعدم جواز تشريك النية:

١- من الأدلة التي استدل بها من قال بعدم جواز تشريك النية: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن من يريد الجهاد وهو يبتغي عرضا من الدنيا؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا أجر له**)) فأعاد عليه ثلاثا، كل ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: ((**لا أجر له**)).

وهذا لا حجة لهم فيه؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم من سؤال الرجل أن الباعث للجهاد هي الدنيا فقط؛ فأجابه بما أجاب، وإلا فإنه قد كان تشريك الجهاد بطلب الغنيمة أمراً معروفاً في الصحابة، كما دل عليه حديث عبدالله بن جحش رضي الله عنه أنه قال يوم أحد: ((**اللهم ارزقني رجلا شديدا أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الصبر، حتى أقتله وآخذ سلبه**))[٢] فهذا يدل على أن طلب العرض من الدنيا مع الجهاد كان أمرا معلوما جوازه للصحابة فيدعون الله بنيله[٣].

(١) فتح الباري: ٦/ ٣٤-٣٥.

(٢) رواه البيهقي: ٦/ ٣٠٧، والحاكم: ٢/ ٧٧، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) ينظر سبل السلام: ٧/ ٢٤٨.

٢- أما حديث أَبي أمامة الباهلي ولفظه: أن رجلاً جاء إلى النبِـي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا شيء لـه**)) فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا شيء له**)) ثم قال: ((إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه))[١]. فهنا دخل الرياء والسمعة وطلب الصيت مع الأجر، فبطل الأجر؛ لأنه انقلب عمله للرياء، والرياء مبطل لما يشاركه، كما دل عليه قوله تعالى في الحديث القدسي: ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مع عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))[٢]، بخلاف طلب المغنم ((فإنه لا ينافي الجهاد بل إذا قصد بأخذ المغنم إغاظة المشركين والانتفاع به على الطاعة كان له أجر فإنه تعالى يقول: ﴿**وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ**﴾[التوبة: ١٢٠]، والمراد النيل المأذون فيه شرعا))[٣].

١- أما حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، فنقل ابن حجر توجيهاً جيداً للحديث عن بعض المتأخرين، فقال ابن حجر رحمه الله: ((وذكر بعض المتأخرين للتعبير بثلثي الأجر في حديث عبد الله بن عمرو رضي

(١) رواه النسائي في باب من غزا يلتمس الأجر: ٦/ ٢٥ (٣١٤٠) نفس الباب، قال الألباني: حسن صحيح [سنن النسائي، طبعة الشيخ الألباني، رقم (٣١٤٠) ص٤٨٤]

(٢) رواه مسلم: كتاب الزهد (٥) باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥) ٤/ ٢٢٨٩. وابن ماجة: كتاب الزهد (٢١) باب الرياء والسمعة ، رقم (٤٢٠٢) ٢/ ١٤٠٥. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) ينظر سبل السلام: ٧/ ٢٤٧.

الله عنـه حكمـة لطيفـة بالغـة، وذلـك أن الله أعـد للمجاهـدين ثـلاث كرامات: دنيويتان وأخروية، فالدنيويتان الـسلامة والغنيمـة والأخرويـة دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثوابـا في مقابلـة ما فاته، وكأن معنى الحديث أنه يقال للمجاهد: إذا فات عليـك شيء مـن أمر الدنيا عوضتك عنه ثوابا. وأما الثواب المختص بالجهاد فهـو حاصـل للفريقين معا، قال: وغاية ما فيه عد ما يتعلق بـالنعمتين الـدنيويتين أجـراً بطريق المجاز والله أعلم))(١).

مسائل متعلقة بتشريك النية:

أولاً- أخذ الجوائز على المسابقات الشرعية:

ومما يدخل في تشريك النية: وضع مسابقات في العلوم الشرعية وأخـذ العوض أو الجوائز عليها: مثل المسابقة على حفظ القرآن الكريم، أو حفظ الأحاديث النبوية، أو المتون العلمية، أو أخذ جوائز على أفـضل البحـوث العلمية الشرعية، أو الحـصول عـلى جـائزة في مجـال خدمـة الإسـلام، أو الدعوة إلى الله، ونحو ذلك.

ومما يدل على جواز أخذ العوض، حديث ابـن عبـاس رضي الله عـنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرقية: ((**إن أحق ما أخذتم عليـه أجـراً**

(١) فتح الباري: ٦/ ١٢-١٣.

كتاب الله))[١]. قال ابن حجر: ((أُستدل به للجمهور في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن))[٢].

وكذلك تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الصحابة وجعل الصداق ما يحفظه هذا الصحابي من القرآن، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((**اذهب فقد أنكحتُكها بما معك من القرآن**))[٣]. قال ابن قدامة رحمه الله: ((وإذا جاز تعليم القرآن عوضا في باب النكاح، وقام مقام المهر، جاز أخذ الأجرة عليه))[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: ((المسألة الحادية عشرة: المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه وغيره من العلوم النافعة والإصابة في المسائل: هل تجوز بعوض؟ منعه أصحاب مالك، وأحمد، والشافعي، وجوزه أصحاب أبي حنيفة، وشيخنا، وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي، وهو أولى من الشباك، والصراع، والسباحة لمن جوز المسابقة عليها بعوض، فالمسابقة على العلم أولى بالجواز، وهي صورة مراهنة الصّدّيق لكفار قريش على صحة ما أخبرهم به وثبوته، وقد تقدم أنه لم يقم دليل شرعي

(١) رواه البخاري: كتاب الطب (٣٤) باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب، رقم (٥٧٣٧).

(٢) فتح الباري: ٤/ ٥٣٠.

(٣) رواه البخاري: كتاب النكاح (٥٠) باب التزويج على القرآن، رقم (٥١٤٩). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) المغني، لابن قدامة: ٨/ ١٣٧.

على نسخه، وأن الصديق أخذ رهنهم بعد تحريم القمار[١]، وأن الدين قيامه بالحجة والجهاد، فإذا جازت المراهنة على آلات الجهاد، فهي في العلم أولى بالجواز، وهذا القول هو الراجح))[٢]. وقال أيضاً- وهو ينقل رأي القائلين بالجواز-: ((وسباق الخيل والإبل أدنى، وأثر هذا في الدين أقوى؛ لأن الدين قام بالحجة والبرهان، وبالسيف والسنان، والمقصد الأول إقامته بالحجة، والسيف مُنَفِّذ. قالوا وإذا كان الشارع قد أباح الرهان في الرمي والمسابقة بالخيل والإبل؛ لما في ذلك من التحريض على تعلم الفروسية وإعداد القوة للجهاد فجواز ذلك في المسابقة، والمبادرة إلى العلم، والحجة التي بها تفتح القلوب، ويعز الإسلام، وتظهر أعلامه: أولى وأحرى، وإلى هذا ذهب أصحاب أبي حنيفة وشيخ الإسلام ابن تيمية))[٣].

ومما يشهد لهذا القول: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((إن من الشجر: شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟))** فوقع الناس في شجر البادية،

---

(١) ينظر الفروسية: ٣٠-٣١. ومراهنة أبي بكر للمشركين، رواها الترمذي: كتاب تفسير القرآن (٣٠) باب ومن سورة الروم، رقم (٣١٩٣) ٥/ ٢٥٣، وأحمد: ٤/ ٢٩٦، رقم (٢٤٩٥)، والنسائي في الكبرى: كتاب التفسير (٣٠) سورة الروم، رقم (١١٣٢٥) ١١/ ٢١٢، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٣٣٠-٣٣١، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٤١٠، وصححه ووافقه الذهبي. قال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الفروسية: ص١٨٠-١٨١.

(٣) المصدر السابق: ص٣١.

ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله! أخبرنا بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**هي النخلة**)) **قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها، أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا**))[١].

قال ابن حجر: ((استدل به مالك على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله، وذلك مستفاد من تمني عمر المذكور، ووجه تمني عمر رضي الله عنه ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره، وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم))[٢].

وهذا كله لا يتأتى إلا عن طريق بث روح المنافسة والمسابقة في الخير، وإن ترتب عليه عوض. والعوض هنا: هو ثناء النبي صلى الله عليه وسلم ودعاؤه لمن يصيب في الإجابة، والله أعلم.

ومما يشهد له أيضا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة**

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم (٤) باب قول المحدث: حدثنا، أو أخبرنا، أو أنبأنا، رقم (٦١). ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (١٥) باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم (٢٨١١) ٤/ ٢١٦٤.

(٢) فتح الباري: ١/ ١٧٧-١٧٨.

الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر))[١].

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أنه يمكن القول أن من يأتي إلى الصلاة مبكراً يوم الجمعة فكأنما حصل على عوض هو بدنة، ثم قربها إلى الله تعالى، وذلك عوضاً عن مبادرته بالذهاب في الساعة الأولى، وهكذا من يليه، وإن كان عوضه أقل[٢].

أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((**من قتل قتيلا فله سلبه**))[٣]. فهنا حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم على القتال، ووضع جائزة لمن يقتل رجلاً من المشركين بأن يحصل المجاهد على سلب قتيله من المشركين، فمن باب أولى جوازه في غيره، والله أعلم.

ثانياً- تشريك النية في طلب العلم الشرعي:

إن طلب العمل الشرعي لا يكون إلا لله تعالى، وذلك بأن ينوي رفع الجهل عن نفسه؛ ليعبد الله على بصيرة، وعن غيره فيعلم الناس ويدعوهم بما علم؛ لأن الأصل في الإنسان الجهل، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة (٤) فضل الجمعة، رقم (٨٨١). ومسلم: كتاب الجمعة (٢) باب الطيب والسواك يوم الجمعة، رقم (٨٥٠) ٢/ ٥٨٢.

(٢) ينظر: بغية المشتاق في حكم اللهو واللعب والسباق، د. حمدي عبدالمنعم شلبي: ص٢١٩.

(٣) سبق تخريجه.

بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل:٧٨]. ((قال مهنى[1]: قلت لأحمد: حدثنا ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم. قلت: لمن؟ قال: لمن صحت نيته. قلت: وأي شيء يصحح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل))[2]. فيدرس ويتعلم العلم الشرعي وهمه رفع الجهالة عن نفسه ومعرفته بأمر ربه ونهيه، والرغبة في الجنة وما يقرب منها، والهرب من النار وما يبعد عنها، ونحو ذلك. كما يسعى بما علم من علم أن يرفع الجهل عن غيره، ويعلمهم أحكام الشرع، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا كله مأجور عليه، ولا يدخل فيه إرادة الإنسان بعلمه وعمله الدنيا. ولا ينافي الإخلاص أن يحصل على شهادة أو وظيفة تعينه على عبادة الله تعالى، وتغنيه عن سؤال الناس، وتكون سبباً ليتفرغ لتعليم الناس ودعوتهم.

قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وذلك أن الله تعالى ذكره، إنما أمر بطلب العلم للعمل به، والقيام بالواجب عليه فيما علمه منه، ووهب له من معرفته، أو لتعليم جاهل وإرشاد ضال، لا لمباهاة العلماء، أو ممارة

(١) مهنى بن يحيى الشامي، من كبار أصحاب الإمام أحمد، صحبه إلى أن مات، وروى عنه مسائل كثيرة، وكان الإمام أحمد يكرمه، ويعرف له حق الصحبة. سُئل عنه الدارقطني، فقال: ثقة نبيل.[طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٣٢].

(٢) طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٧٦، والمنهج الأحمد، للعليمي: ٢/ ١٦٤، والآداب الشرعية، لابن مفلح: ٢/ ٣٨، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب:٢/ ٥٠٩.

السفهاء، وصرف وجوه الناس به إليه. وذلك أن هذه وجوه ليس في شيء منها له رضى، ولا هو مما أقر به ولا ندب إليه، بل زجر عنه ونهى، فحظ طالبه منه التقدم على معصية الله، والمتقدم على معصية الله النار أولى به، إن لم يعف الله جل ثناؤه عنه بفضله))[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: ((لو قال طالب العلم: أنا أريد أن أنال الشهادة لا من أجل حظ من الدنيا، ولكن لأن النظم أصبح مقياس العالم فيها شهادته فنقول: إذا كانت نية الإنسان نيل الشهادة من أجل نفع الخلق تعليمًا أو إدارة أو نحوها، فهذه نية سليمة لا تضره شيئاً ؛ لأنها نية حق))[٢].

ومما يقوي هذا القول ما يلي:

١- أصبحت الجامعات أماكن لطلب العلم في هذا الزمان، فيدخل بنية طلب العلم، ولا يضره ما يناله من شهادات، فإن ((من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات فيدخل فيها بنية طلب العلم ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد))[٣].

٢- إذا أراد الإنسان بعمله ((الحسنيين حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ

(١) تهذيب الآثار، للطبري، مسند عمر بن الخطاب، السفر الثاني: ص٨٠٣.

(٢) كتاب العلم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين: ص٢٥-٢٦.

(٣) المرجع السابق: ص١٠٢.

مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي))[1].

٣- لو ترك طالب العلم هذا المجال لأتى مكانه من هو ليس أهلاً للعلم الشرعي، فيتصدر لهذا المنصب أو المكان من هو جاهل بالشريعة فيسأل فيفتي بغير علم، أو يكون غير صالح في نفسه فيقتدي به الناس فيضلون. قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٥].

٤- حفظ الشريعة والدفاع عنها واجب على العلماء وطلاب العلم، والإتيان بهذا الواجب مطلوب ولو صاحب الوسيلة شيء من حظوظ الدنيا. قال الحسن بن ثواب[2]: ((قال لي أحمد بن حنبل: ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان. قلت ولم؟ قال: ظهرت بدع فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها))[3].

وقد وضع بعض العلماء شرطين أساسيين لجواز الحصول على الشهادات والترقي في المجال الوظيفي عن طريق العلم الشرعي، هما:

---

(١) المرجع السابق: ص١٠٣.

(٢) الحسن بن ثواب، أبو علي التغلبي المخرمي، من خواص تلاميذ الإمام أحمد، روى عنه الخلال، وقال عنه: شيخ جليل القدر، وقال عنه الدارقطني: بغدادي ثقة. مات سنة (٢٦٨هـ) .[طبقات الحنابلة: ١/ ٣٥٢].

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح: ٢/ ٣٨-٣٩.

الأول: أن لا تكون أصل نية الإنسان بطلبه للعلم الشرعي الحصول على الشهادة، أو الترقي في المجال الوظيفي؛ بل نيته الأصلية وجه الله تعالى، وامتثالاً لأمره تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، فيكون علمه وعمله لله تعالى[١].

الثاني: أن لا يقصد الشهادة لذاتها؛ بل هي وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق، ويستعين بها على طاعة الله[٢]، فإذا طلب المسلم ((العلم الشرعي في المدارس والكليات الشرعية ونحوها مبتغياً تعليم نفسه؛ ليعبد الله على بصيرة، وتعليم الناس ودعوتهم ونفعهم، ومبتغياً الحصول على شهادة أو وظيفة يستعين بها على عبادة الله وعلى التفرغ لتعليم الناس، ودعوتهم ونفعهم، يرجى أن يكون في دراسته هذه مخلصاً العمل لله تعالى، وأن لا ينقص من أجره شيء))[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((أن لا يقصدوا بذلك الشهادة لذاتها، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق؛ لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات، والناس غالباً لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة وبذلك

---

(١) تطهير الطوية بتحسين النية، علي سلطان محمد القاري: ص٦٢. وكتاب العلم، لابن عثيمين: ص١٩٩.

(٢) تطهير الطوية بتحسين النية: ص٦٢. وكتاب العلم، لابن عثيمين: ص١٠٢.

(٣) تسهيل العقيدة الإسلامية، د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين: ص٣٨٠-٣٨١ في الحاشية.

تكون النية سليمة))[١]. وقال أيضاً: ((إذا كنت تطلب العلم لنيل الشهادة، فإن كنت تريد من هذه الشهادة أن ترتقي مرتقى دنيويًّا فالنية فاسدة، أما إذا كنت تريد أن ترتقي إلى مرتقى تنفع الناس به لأنك تعرف اليوم أنه لا يمكَّن الإنسان من ارتقاء المناصب العالية النافعة للأمة إلا إذا كان معه شهادة، فإذا قصدت بهذه الشهادة أن تنال ما تنفع الناس به فهذه نية طيبة لا تنافي الإخلاص))[٢].

وقد سبق ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أن من طلب العلم لذات العلم، ليس لله تعالى، ولا لغيره من الشركاء، فليس آثماً، ولا يعتبر فعله مذموماً.. ثم قال بعد ذلك: ((بل قد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه، وهذا معنى قول بعضهم: "طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"، وقول الآخر: "طلبهم له نية يعني نفس طلبه حسن ينفعهم". وهذا قيل في العلم؛ لأنه الدليل المرشد، فإذا طلبه بالمحبة وحصله عرفه الإخلاص، فالإخلاص لا يقع إلا بالعلم، فلو كان طلبه لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور، انتهى))[٣].

(١) كتاب العلم: ص١٠٢.

(٢) المرجع السابق: ص٢٠٠.

(٣) نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية ابنُ مفلح في الفروع: ٣/ ٣٤٠، وعنه السفاريني في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب:٢/ ٥١٠. ولم أجده في كتب ابن تيمية بعد بحث.

وقد روي عن مجاهد[١] قال: ((طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد)). وقال يزيد بن هارون[٢]: ((طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يردنا إلا إلى الله)). وعن معمر[٣] قال: ((كان يقال إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله)). وقيل لسفيان[٤] إن أصحاب الحديث يطلبون الحديث بغير نية، قال: ((طلبهم له نية))[٥].

القسم الرابع: إرادة الدنيا بعمل الدنيا جائزة بلا خلاف. فمن عمل للدنيا في الأمور المعتادة كالأكل والشرب والملبس ونحوها، فهذا مباح، ولا يدخل فيه شرك الأغراض، إلا إذا نوى بأكله تشبهاً بأهل الشرك،

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، ولد سنة (٢٠هـ)، روى عن جماعة من الصحابة، ولازم ابن عباس رضي الله عنه وأخذه منه العلم، وخصوصاً التفسير، واتفقوا على توثيقه وإمامته، توفي رحمه الله بمكة ساجداً، وهو ابن ثمانين، سنة (١٠٣هـ) في قول بعضهم. [تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (١٠١-١٢٠هـ): ص٢٣٥].

(٢) يزيد بن هارون بن زاذي، أبو خالد السلمي، الحافظ الفقيه المحدث، ولد سنة (١١٨هـ) من شيوخ الإمام أحمد وابن المديني وغيرهم، قال عنه الإمام أحمد: كان يزيد حافظاً متقناً. توفي رحمه الله سنة (٢٠٦هـ) [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٠١-٢١٠هـ): ص٤٥٤].

(٣) معمر بن راشد أبو عروة الأزدي، الإمام، روى عن قتادة، والزهري، وهمام بن منبه، وغيرهم. وروى عنه: عبدالله بن المبارك، وسفيان بن عيينه، وعبدالرزاق بن همام، وغيرهم. سكن اليمن أكثر من عشرين سنة، عاش٥٨ سنة، وكانت وفاته سنة ١٥٣هـ[تاريخ الإسلام، وفيات (١٥١-١٦٠هـ): ص٦٢٥].

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي إمام الحفاظ ولد سنة (٩٧هـ)، حدث عن الأعمش وأبي حنيفة والأوزاعي وغيرهم، وحدث عنه إسماعيل السدي، وأيوب السختياني وشعبة بن الحجاج وغيرهم. مات بالبصرة سنة ١٦١هـ. [تاريخ الإسلام، وفيات (١٦١-١٧٠هـ): ص٢٢٢].

(٥) تنظر هذه النصوص عن هؤلاء الأئمة في كتاب الآداب الشرعية، لابن مفلح: ٢/ ٣٩.

كمن يأكل ما صنعه الكفار في يوم عيدهم معظماً لعيدهم. ولو لم يرد المسلم بعمله الدنيا في الأمور المعتادة لما جاز- كما يقول الشاطبي- ((لأحد أن يتصرف في أمر عادي حتى يكون القصد في تصرفه مجرد امتثال الأمر من غير سعي في حظ نفسه ولا قصد في ذلك بل كان يمتنع للمضطر أن يأكل الميتة حتى يستحضر هذه النية ويعمل على هذا القصد المجرد من الحظ، وهذا غير صحيح باتفاق، ولم يأمر الله تعالى ولا رسوله بشيء من ذلك ولا نهى عن قصد الحظوظ في الأعمال العادية على حال مع قصد الشارع للإخلاص في الأعمال وعدم التشريك فيها وأن لا يلحظ فيها غير الله تعالى فدل على أن القصد للحظ في الأعمال إذا كانت عادية لا ينافي أصل الأعمال. فإن قيل: كيف يتأتى قصد الشارع للإخلاص في الأعمال العادية وعدم التشريك فيها؟ قيل: معنى ذلك أن تكون معمولة على مقتضى المشروع لا يقصد بها عمل جاهلي ولا اختراع شيطاني ولا تشبه بغير أهل الملة كشرب الماء أو العسل في صورة شرب الخمر وأكل ما صنع لتعظيم أعياد اليهود أو النصارى وإن صنعه المسلم أو ما ذبح على مضاهاة الجاهلية وما أشبه ذلك مما هو نوع من تعظيم الشرك))[1].

أيضاً: ((أنه لو لم يكن طلب الحظ فيها سائغا لم يصح النص على الامتنان بها في القرآن والسنة كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ

(١) الموافقات: ٢/ ٣٤٥.

لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ [يونس: ٦٧] وقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢] وقال: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [النبأ: ١٠-١١] إلى آخر الآيات إلى غير ذلك مما لا يحصى))[١].

قال البركوي[٢]: ((عمل الدنيا: ما وضع لنفع الدنيا كالخياطة، والحياكة، والدباغة ونحوها، ولا خلاف في عدم وجوب نية التقرب فيها، وفي جواز إرادة الدنيا بها، وحل أخذ الأجرة عليها. نعم؛ لو أراد بها التقرب يكون قربة يثاب عليها، وإلا فلا))[٣].

قال أبو الوفاء بن عقيل[٤]: ((من قال: إني لا أحب الدنيا فهو كاذب؛ فإن يعقوب لما طُلب منه ابنه بنيامين قال: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾

---

(١) الموافقات: ٢/ ٣٧٤.

(٢) محيي الدين محمد بن بير علي بن إسكندر الرومي، ولد سنة (٩٢٩هـ) في بلدة (بالي كسرى)، اتصل بخدمة الشيخ عبدالله القرماني، ثم رشحه للتدريس، وتولى التدريس بمدرسة بقصبة بركل، وعين له كل يوم ستين درهما، من قبل الدولة العثمانية، توفي رحمه الله سنة (٩٨١هـ) [الأعلام، للزركلي: ٦/ ٦١].

(٣) إنقاذ الهالكين، للبركوي : ص ٣٢، حاشية المؤلف.

(٤) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، ولد سنة (٤٣١هـ) رزقه الله ذكاء، وقوة حفظ امتاز بها عن غيره، وتوج ذلك بحسن ديانة. حمل عليه الحنابلة وهجروه؛ لاعتزال شاب عقيدته أول أمره، ثم تاب منه، توفي رحمه الله سنة (٥١٣هـ) . [المنهج الأحمد: ٣/ ٧٨].

[يوسف:٦٤] فقالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف:٦٥] فقال: خذوه))[١].

وقال بعض السلف: ((من ادعى بغض الدنيا فهو عندي كذاب إلى أن يثبت صدقه، فإذا ثبت صدقه فهو مجنون، وقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾[آل عمران:١٤] الآية))[٢].

والأكمل للعبد: أن يجعل العبد عمله للدنيا- وإن كان لذات الدنيا- عوناً له على طاعة الله تعالى، وأداءً لما افترض عليه وما ندب إليه؛ حتى يكون أمر آخرته ودنياه كله خالصاً في الحقيقة لله[٣].

المطلب الثاني: الرياء

علاقة الرياء بشرك الأغراض واضحة: فالمرائي يعمل العمل لغرض رؤية الناس له أو سماعهم به. ويندرج تحت هذا المبحث الأنواع التالية:

١- أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس ابتداء، لا طلب ثواب الآخرة؛ وهو يظهر أنه أراد وجه الله وإنما صلى أو صام أو تصدق أو

(١) فتح الحميد في شرح التوحيد، عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي: ٣/ ١٥٣٣.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ١٥٣٣.

(٣) ينظر المصدر السابق: ٣/ ١٥٣٣-١٥٣٤.

طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجل في أعينهم، فيظن به الخير والطاعة، فيحصل له جاه أو منصب أو منزلة[١]. ويسمى هذا القسم: رياء الإخلاص؛ ((لأن هذا لا تشريك فيه بل خالص للخلق))[٢]، ولم يرد به وجه الله البتة، بل الناس فقط، فصاحبه آثم داخل تحت الوعيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))[٣]. وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت. ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من**

---

(١) ينظر: مسألة في التوحيد، لابن عبدالهادي: ص٨٣، وتفسير آيات من القرآن الكريم، للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ضمن مجموعة مؤلفاته ق٤): ص١٢١.

(٢) الفروق للقرافي: ٣/ ٢٢.

(٣) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد: ص٥٤، والحديث سبق تخريجه.

أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار))[١].

قال ابن رجب رحمه الله: ((واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياءً محضا، بحيث لا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله- عز وجل-: ﴿**وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ**﴾[الماعون:٤-٦] وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء في قوله : ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾[الأنفال:٤٧]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة))[٢].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة (٤٣) باب من قاتل للرياء والسمعة، رقم (١٩٠٥) ٣/ ١٥١٣

(٢) جامع العلوم والحكم: ١/ ٧٩، وينظر الموافقات، للشاطبي،: ٢/ ٣٦٠-٣٦١.

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: ((إن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر))(١).

٢- أن يعمل العمل المأمور به والمتقرب به إلى الله تعالى ويقصد به الأمرين معاً: وجه الله تعالى، وأن يعظمه الناس، أو يعظم في قلوبهم، فيصل إليه نفعهم، أو يندفع عنه ضررهم. ويسمى هذا القسم: رياء الشرك؛ لأنه شركة بين الله تعالى وبين الخلق(٢).

قال المقريزي رحمه الله: ((**الضرب الرابع**: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم، ويحج ليقال، ويقرأ ليقال، ويُعَلِّم ويؤلف ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها، والقائم بهما هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]))(٣).

(١) القول السديد: ص٢١٩.

(٢) ينظر الفروق للقرافي: ٣/ ٢٢.

(٣) تجريد التوحيد المفيد: ص٨٨-٩١.

وقال الشيخ ابن سعدي: ((وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل))[١].

٣- من عمل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء بعد شروعه في العمل. فإن كان خاطراً فدافعه لم يضره بلا خلاف[٢]. أما إذا استرسل معه الرياء، فإن كانت العبادة يبنى أولها على آخرها كالصلاة مثلاً، فإنها تبطل لارتباط بعضها ببعض. أما إن كانت العبادة لا يبنى أولها على آخرها كالصدقة مثلا: كأن ينوي التصدق بمبلغ فيتصدق بجزء منه بنية صحيحة، ويخالطه الرياء في الباقي، فالصدقة الأولى صحيحة، والثانية باطلة[٣]. يدل على ذلك قول الله تعالى في الحديث القدسي: ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))[٤].

---

(١) القول السديد: ص٢١٩.

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم: ١/ ٨٢-٨٣.

(٣) ينظر جامع العلوم والحكم: ١/ ٨٢-٨٣، والقول المفيد، لابن عثيمين: ص٢٧٧-٢٧٨.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

يقول الصنعاني[١] رحمه الله: ((بل سمى الله الرياء في الطاعات شركا، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عمله بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة وسماها شركا، كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « **يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٢].

ومن عمل العمل خالصاً لوجه الله، ثم وجد الثناء من العباد على عمله من غير تعرض منه لحمدهم، فهذا لا ينافي إخلاصه لأنه لم يقصد بعمله الدنيا أو مراءاة الناس. بل ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك، بل هي دليل على رضا الله تعالى عنه، ويشهد له حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه؟ فقال: (**(تلك عاجل بشرى المؤمن)**)[٣].

---

(١) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني المعروف بالأمير، ولد بكحلان في اليمن سنة (١٠٩٩هـ) ثم رحل مع أبيه إلى صنعاء سنة (١١٠٧هـ) وأخذ عن أكابر علمائها، ثم رحل إلى مكة وأخذ عن علمائها، توفي سنة ١١٨٢هـ [البدر الطالع: ٢/ ١٣٣].

(٢) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد: ص٥٤، والحديث سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم: كتاب البر (٥١) باب إذا أثنى على الصالح، رقم (٢٦٤٢) ٤/ ٢٠٣٤.

قال الترمذي رحمه الله- عند ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: أن رجلا قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**له أجران: أجر السر، وأجر العلانية**))[١]-: ((وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال إذا اطلع عليه فأعجبه فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**أنتم شهداء الله في الأرض**))[٢] فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا لما يرجو بثناء الناس عليه فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء و قال بعض أهل العلم إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضا))[٣]. قال عبدالرحمن بن مهدي[٤]: ((وجهه عندي أنه إنما يسر

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الشهادات (٤٩) باب عمل السِّرِّ، رقم (٢٣٨٤) ٤/ ١٩٢، وابن ماجه: الزهد (٢٥) باب الثناء الحسن، رقم (٤٢٢٦) ٥/ ٦٢٥. قال محقق سنن ابن ماجه: إسناده ضعيف؛ لأن الصحيح فيه مرسل.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز (٨٥) باب ثناء الناس على الميت، رقم (١٣٦٧)، ومسلم: كتاب الجنائز (٢٠) باب فيمن يثنى عليه من الموتى، رقم (٩٤٩) ٢/ ٦٥٥، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) سنن الترمذي: ٤/ ١٩٢-١٩٣.

(٤) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان،، ولد سنة (١٣٥هـ) سمع من سفيان الثوري، وشعبة، ومالك بن أنس وغيرهم. وحدث عنه: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني وغيرهم كثير، توفي رحمه الله بالبصرة سنة (١٩٨هـ) [تاريخ الإسلام، وفيات (١٩١-٢٠٠هـ): ص٢٧٩].

به إذا اطلع عليه ليستن به من بعده))[١]. قال أبو عبيد[٢]: ((يعني أنه ليس يسر به ليُزكَّى ويُثنى عليه خير، وليس للحديث عندي وجه إلا ما قال عبدالرحمن لأن الآثار كلها تصدقه))[٣]. قال ابن العربي[٤]: "سألت شيخنا الإمام أبا منصور الشيرازي[٥] الصوفي عن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾ [البقرة:١٦٠]ما بينوا؟ قال: أظهروا أفعالهم للناس بالصلاح والطاعات. قلت: ويلزم ذلك؟ قال: نعم. لتثبت أمانته، وتصح إمامته، وتقبل شهادته". قال ابن العربي: "ويقتدي به غيره في هذه الأمور، وما كان مثلها تجري هذا المجرى"[٦].

ويلحق بالصنف السابق من وجد جماعة من الناس يعملون خيرا: يصلون أو يتصدقون أو يحجون مثلاً، فوجد في نفسه من النشاط والهمة على العبادة ما

---

(١) غريب الحديث، لأبي عبيد: ٢/ ٢١٧، وشعب الإيمان للبيهقي: ١٢/ ٣١٣.

(٢) أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبدالله، ولد سنة (١٥٧هـ) جمع بين النحو والحديث والقراءات وغيرها، ولي قضاء طرطوس، مات رحمه الله سنة (٢٢٤هـ) بمكة بعدما حج عن (٦٧) عاماً رحمه الله . [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٢١-٢٣٠هـ): ص٣٢٠].

(٣) غريب الحديث، لأبي عبيد: ٢/ ٢١٧، وشعب الإيمان للبيهقي: ١٢/ ٣١٣.

(٤) أبو بكر ابن العربي ، محمد بن عبدالله المعافري المالكي ولد بأشبيلية سنة (٤٦٨هـ) رحل في طلب العلم مع أبيه إلى المشرق . وفي عودته مع أبيه توفى الأب فعاد أبو بكر إلى الأندلس وشارك مع ابن تاشفين في الجهاد ضد النصارى ، ولي القضاء فنفع الله به ثم عُزل ، فأقبل على طلب العلم ونشره، توفي رحمه الله قرب فاس من مدن المغرب في سنة ٥٤٣هـ. [تاريخ الإسلام، وفيات (٥٤١-٥٥٠هـ): ص١٥٩]

(٥) لم أعرفه.

(٦) نقله عنه الشاطبي في الموافقات: ٢/ ٣٦١-٣٦٢.

لا يجده بمفرده، وعمل مثل ما يعملون. ولو كان بمفرده لعمل أقل منهم، وربما أصابه الكسل والفتور، فهذا لا يدخل في باب الرياء.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله: ((الرجل يدخل المسجد فيرى قوماً فيُحسنُ صلاته؟- يعني: الرياء- قال: لا. تلك بركة المسلم على المسلم))[1].

(١) الفروع، لابن مفلح: ٢/ ٢٩٨.

الخاتمة

أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث هي:

١- أن الأصل في أعمال العباد أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى.

٢- على المسلم أن يخلص نيته لله حتى ينال أجره كاملاً غير منقوص.

٣- أن نية تشريك العمل ليست كلها داخلة في شرك الأغراض.

٤- الذي ظهر من استقراء النصوص أن نية التشريك في العمل على أربع صور:

الأولى: أن يقصد وجه الله فقط كان مأجوراً أجر العابد المخلص.

الثانية: أن يقصد الاثنين وجه الله تعالى وإرادة الدنيا: كمن يريد الغنيمة و إعلاء كلمة الله؛ كان له أجر الجهاد، وهي رتبة أدنى ممن لم يلاحظ إلا على إعلاء كلمة الله فقط، وكذلك من صام للتداوي، ولوجه الله تعالى، كان مأجوراً على صيامه، ولكن بدرجة أقل ممن قصد بالعمل وجه الله تعالى.

هذا في غير طلب العلم الشرعي.أما بالنسبة لطلب العلم الشرعي: فلابد أن تكون نيته لله تعالى، ولا يقدح فيه أن يحصل طالب العلم على شهادة أو ترقية من غير أن تكون غاية يسعى لها، بل يجعلها وسيلة للدعوة إلى الله تعالى ومحاربة الجهل والبدع. والله أعلم.

الثالثة: أن يقـصد أمـراً مباحـاً فقـط كالغنيمـة فقـط عنـد الجهـاد، أو التداوي عند الـصيام فإنـه إذا تجـرد قـصد العابـد لهـا لا غـير لم يـأثم إن صحبتها نية أنها كسب من الحـلال بالنـسبة للغنيمـة؛ أُجِـر أَجْـر كاسـب الحلال. أو صحب الصيام نية أنه سلامة للبدن من الأمراض للإعانة على السعي في طلب الرزق مثلاً، أجر على نيته.

الرابعة: أن يقـصد أمـراً محرمـاً كالريـاء والـسمعة، فهـذا مـأزور غـير مأجور، وهو من الخاسرين.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- الآداب الشرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٤-١٤١٢هـ/ ١٩٨٤-١٩٩١م).

٣- الاختيارات العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي، ومعه تعليقات وتصحيحات لفضيلة الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين، حققه وخرَّج أحاديثه: أحمد بن محمد بن حسن الخليل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، وبهامشه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر القرطبي. دار الكتاب العربي، بيروت.

٥- الأعلام. خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة السادسة: ١٩٨٤م.

٦- إنقاذ الهالكين، ويليه: إيقاظ النائمين، محمد بن بير علي البركلي (البركوي) (ت٩٨١هـ) تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع. محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة . بيروت.

٩- بذل المجهود في حل أبي داود . خليل أحمد السهارنفودي. دار الكتب العلمية. بيروت.

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

١١- بغية المشتاق في حكم اللهو واللعب والسباق، د. حمدي عبدالمنعم شلبي،مكتبة ابن سينا، القاهرة.

١٢- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية، أبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣-تاج العروس من جـواهر القـاموس . محمـد مرتـضى الزبيـدي . تحقيق . علي شيري. دار الفكر بيروت . ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٤-تـاريخ الإسـلام ووفيـات المـشاهير والأعـلام. محمـد بـن أحمـد الذهبي. تحقيق عمر عبدالسلام التدمري. دار الكتـاب العـربي. بـيروت. الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)- (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٥-تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي المقريـزي (ت٨٤٥هــ) حققـه وقدم له: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائـد، مكـة المكرمـة، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ.

١٦-تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د عبدالله بن عبدالعزيز الجـبرين، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٧-تطهير الاعتقـاد عـن أدران الإلحـاد، محمـد بـن إسـماعيل الأمـير الصنعاني، تقديم وتعليق وشرح: علي بـن محمـد بـن سـنان، دار الكتـاب الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٨-تطهير الطوية بتحسين النية، علي سـلطان محمـد القـاري، تعليـق وتخـريج: مـشهور حـسن سـلمان، المكتـب الإسـلامي/ بـيروت، دار عمار/ الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٩-تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن. أبـو جعفـر بن جرير الطبري. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٢٠-التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٠م.

٢١-تهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري، مسند عمر بن الخطاب، قرأه وخرّج أحاديثه ونشره: محمود محمد شاكر.

٢٢-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . سليمان بن عبدالله آل الشيخ. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٢٣- جامع العلوم والحكم، للحافظ أبي الفرج شهاب الدين عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البغدادي المشهور بابن رجب (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٤-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٥-الداء والدواء، الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرَّج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، تمويل: مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية، نشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٢٦-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق : محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة. القاهرة. دت.

٢٧-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي. تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٨-الدين الخالص. محمد صديق القنوجي. تصحيح: محمد زهري النجار. لا توجد بيانات نشر.

٢٩-رسالة الشرك ومظاهره. مبارك بن محمد الميلي. مكتبة الإيمان. الإسكندرية. الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م

٣٠- الرسالة القشيرية، عبدالكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د.عبدالحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

٣١-الرعاية لحقوق الله، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٢- سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-١٩٩٧م.

٣٣- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بـن حميـد، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، وعبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٤-سنن ابن ماجه . محمد بن يزيد القزويني . تحقيق : د. بـشار عـواد معروف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٥-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، وبهامـشه معـالم السنن للخطابي، تحقيق: عزت الدعاس ،وعادل الـسيد، نـشر محمـد عـلي السيد، القاهرة: ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

٣٦-- سنن أبي داود، سليمان بـن الأشـعث السجـستاني، حكـم عـلى أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد نـاصر الـدين الألبـاني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الريـاض، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٣٧-سنن البيهقي،أحمد بن الحسين البيهقـي، وبهامـشه الجـوهر النقـي لابن التركماني، دار المعرفة، بيروت.

٣٨-- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكـم عـلى أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد نـاصر الـدين الألبـاني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الريـاض، الطبعة الأولى.

٣٩-سنن الدارقطني، للحافظ: علي بن عمر الدارقطني، وبذيله: التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٤٠-السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي وآخرون، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤١-سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بحلب، الطبعة الأولى:١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٢-- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٣-سير أعلام النبلاء . محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة . بيروت الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ- ١٤٠٥هـ، ١٩٨٢-١٩٨٥م.

٤٤-شرح السنة للبغوي، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٥-شرح صحيح مسلم، محيي الدين محمد بن زكريا النووي، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٦-شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، قدم له وعرف به: حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.

٤٧-شرح كتاب التوحيد، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ١٩٩٥م٠

٤٨-شرح مشكل الآثار. أبو جعفر الطحاوي. تحقيق : شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

٤٩-صحيح البخاري مطبوع مع شرحه فتح الباري ، انظر فتح الباري.

٥٠-صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء . الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٠٨م.

٥١-طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٥٢-العدة حاشية العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للعلامة ابن دقيق العيد، قدم له وأخرجه وصححه: محب الدين الخطيب، حققه وعلق عليه: علي بن محمد الهندي، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ.

٥٣-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، تمويل مؤسسة الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

٥٤-علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ.

٥٥-عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الدين آبادي. ومعه شرح سنن أبي داود لابن القيم . دار الفكر. بيروت ط٣/ ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٦- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب،محمد السفاريني الحنبلي، مكتبة الرياض، الرياض.

٥٧- الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٨-فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ومحب الدين الخطيب. ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي. المطبعة السلفية. القاهرة. ط٢/ ١٤٠٠هـ

٥٩- فتح الحميد في شرح التوحيد، عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي، تحقيق: د.سعود العريفي، د.حسين السعيدي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

٦٠-الفروع، شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، وحاشية ابن قندس، لتقي الدين أبي بكر بن إبراهيم بن يوسف البعلي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، يوزع على نفقة صاحب السمو الملكي: سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦١-الفروق، شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المشهور بالقرافي (ت) وبهامشه الكتابين: تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، عالم الكتب، بيروت.

٦٢-الفروسية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٣-قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٤-القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٧هـ)، تحقيق: صبري سلامة شاهين، دار الثبات، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٥- الكاشف عن حقائق السنن، حسين بن محمد الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وآخرون، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي. باكستان: الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٦٦-كتاب العلم، محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٧-الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: د.عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦٨-لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت.

٦٩-مجموع فتاوى شيخ الإسلام . أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي . جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي

وابنه محمد طبعة خاصة بإشراف: الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين . مكة المكرمة . ط٣/ ١٤٠٤هـ.

٧٠-مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب . جمع عبدالعزيز الرومي وآخرون. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض.

٧١-محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت: ١٩٩٣م.

٧٢-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٧٣-مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله، يوسف بن حسن بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبدالهادي محمد منصور، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧٤-المستدرك على الصحيحين . للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي . دار المعرفة بيروت .

٧٥-مسند الإمام أحمد بن حنبل . أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية:١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٦-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به ونشره: عادل مرشد.

٧٧-المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، نشر: مجمع اللغة العربية في القاهرة، والمكتبة الإسلامية في استنبول.

٧٨-المغني، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي- د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٩-المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبدالرحمن بن محمد العليمي المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ومحيي الدين نجيب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٨٠-الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨١-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، أشرف عليه: علي بن حسن بن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

فهرس الموضوعات

صِفَـةُ القُرْبِ لله عَزَّ وَجَلَّ

بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ والمُخَالفِيْن

إعداد :

د.عبدالرحمن بن عبدالله التركي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية-الرياض

المقدمة

الحمد لله القريب المجيب، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آلـه وصحبه وسلم. أما بعد :

فإن أشرف العلوم علم التوحيد، ومنه علم الأسماء والصفات، فشرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلـوب، ولا نعـيم ولا طمأنينـة إلا بـأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلـك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه (١).

" والعلم النافع ما عرّف العبد بربه، ودلّـه عليـه حتـى عرفـه ووحّـده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه " (٢).

" والعلم النافع يدل على أمرين :

أحدهما: على معرفة الله، وما يستحقه من الأسماء الحـسنى، والـصفات العلى، والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

---

(١) شرح العقيـدة الطحاويـة، لابـن أبي العـز ص٥-٦. وينظـر: أحكـام القـرآن، لابـن العـربي ٢/ ٩٩٣.

(٢) من "فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب ص٦٧ .

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه، فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا، فهو علم نافع، فمتى كان العلم نافعاً، ووقر في القلب؛ فقد خشع القلب لله، وانكسر له، وذلَّ هيبةً وإجلالاً، وخشية ومحبة وتعظيماً، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له؛ قنعت النفس بيسير الحال من الدنيا، وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا، وكل ما هو فان لا يبقى، من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة، وإن كان كريماً على الله "[1].

فيتضح من ذلك أهمية وشرف العلم بالأسماء والصفات، وأنه علم نافع للعبد، يوجب المسارعة إلى ما يقربه إلى الله ﷻ.

ومن أنواع الصفات التي يتصف الله ﷻ بها الصفات الاختيارية[2]، ومن أبرز هذه الصفات لله المتعلقة بمشيئته وقدرته تعالى: صفة القرب، فقد جاء إثبات هذه الصفة في القرآن والسنة، وجاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين، وتكلم الأئمة والعلماء عن معنى قرب

(١) فضل علم السلف على الخلف ص٦٤-٦٥.
(٢) سيأتي الكلام في التمهيد على أنواع الصفات.

الله وأنواعه والأدلة عليه، وعلاقة القرب ببعض الصفات، كما رد الأئمة والعلماء على بدع المبتدعة في هذه الصفة الجليلة.

ولأهمية هذا الموضوع آثرت أن أفرده بدراسة عقدية تتكلم عن هذه الصفة من جوانبها العقدية، يكون عنوان هذه الدراسة: **صفة القرب لله ﷻ بين أهل السنة والمخالفين.**

أسباب بحث هذا الموضوع :

١ - أهمية البحث في الصفات الاختيارية لله ﷻ تفصيلاً ، مثل صفة الكلام، والمحبة، والرضا، والرحمة، والغضب، والمجيء، والنزول، والقرب، والعجب والفرح، ونحو ذلك، ورد شبهات المبتدعة حولها،

فبعض هذه الصفات بُحثت استقلالاً[1]، وكثير من هذه الصفات لم تبحث، ولم تدرس دراسة عقدية مفصلة.

ولا شك أن إثبات الصفات الاختيارية لله ﷻ، فيه إغاظة للجهمية[2]،

---

(١) مثل صفة الكلام لله، بحثها عبد الله بن يوسف الجديع في كتابه "العقيدة السلفية، في كلا م رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردّية". وصفة النزول، بحثها أ.د/ محمد الخميس ضمن تحقيقه لشرح حديث النزول لابن تيمية. وبحثها أيضاً عبد القادر محمد الغامدي في كتاب "صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حوله": وصفة الغيرة، بحثها أ.د/ محمد العلي. وصفة الرضا، بحثها د. سالم القرني.

(٢) سيأتي التعريف بهم.

يقول الدارمي[١] عن حديث النزول: أَغْيَظُ حديث للجهمية[٢]. وقال نعيم بن حماد[٣]: حديث النزول يرد على الجهمية قولهم[٤].

فالصفات الإلهية تغيظ الجهمية؛ لذلك اتفقوا بجميع درجاتهم على تعطيلها، لئلا تحل بالله الحوادث بزعمهم[٥].

وصفة القرب –مثل النزول والمجيء– أغيظ للجهمية من الصفات الاختيارية الأخرى كالخلق، والرزق، ونحو ذلك؛ لكون إثبات ذلك مما هو من جنس الحركة[٦]؛ يهدم كل أصول الجهمية[٧].

٢- لم أجد بعد البحث كتاباً أو دراسة مستقلة تناولت صفة القرب لله، وبحثتها وفق عقيدة أهل السنة تفصيلاً[٨]، مع بيان الأدلة عليها،

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، الإمام العلامة، أبو سعيد الدارمي، ولد قبل المائتين بيسير، وصنف كتاباً في الرد على المريسي الجهمي، وكتاباً في الرد على الجهمية، توفي سنة ٢٨٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/ ٣١٩، والجرح والتعديل، للرازي ٦/ ١٥٣، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى ١/ ٢٢١، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٢/ ١٧٦ .

(٢) نقض الدارمي على المريسي ص٥٠٠ .

(٣) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام، الإمام العلامة، أبو عبد الله الخزاعي، كان شديداً في الرد على الجهمية. يقال: إنه وضع ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية. توفي محبوساً في فتنة القول بخلق القرآن سنة ٢٢٩هـ. ينظر: السير ١٠/ ٥٩٥، والجرح والتعديل ٨/ ٤٦٢، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٦، والشذرات ٢/ ٦٧ .

(٤) ينظر: التمهيد لابن عبد البر ٧/ ٤٤ .

(٥) سيأتي الكلام على هذه الشبهة ونقضها.

(٦) سيأتي الكلام على هذا اللفظ المجمل.

(٧) ينظر: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها، عبد القادر الغامدي ص٣٥ .

(٨) بعد استقرائي للعديد من الرسائل والبحوث والكتب، لم أعثر على بحث مفصل مختص بالكلام على صفة القرب، وإنما وقفت على كتابات مختصرة جداً عن هذه الصفة، وهي إما في ثنايا

وإيراد كلام السلف، وتوضيح علاقتها ببعض الصفات الأخرى، وبيان آراء المبتدعة وشبههم والرد عليها ونقضها .

كتب الأئمة المتقدمين كشيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول، أو في مجموع الفتاوى، أو في نقض التأسيس، أو في كلام ابن القيم كما في مختصر الصواعق، ومدارج السالكين، وغيرهما.

أما الدراسات المعاصرة، فكل من تكلم عن صفة القرب كان كلامه –كما أسلفنا– مختصراً جداً، لكونه متعلقاً بالموضوع الذي بحثه، أو بكلام أحد الأئمة في هذه الصفة – إن كان بحثه عن أحد الشخصيات – وهي كالتالي: =

= ١ – كتاب الشيخ علي بن عبد الله الحواس: النقول الصحيحة الواضحة الجلية، عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية. وقد تكلم باختصار عن صفة القرب من خلال كلام ابن القيم.

٢ – كتاب صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حوله، لعبد القادر الغامدي. حيث تكلم عن القرب في عدة صفحات (ص١١٨ وما بعدها).

٣– كتاب صفات الله الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف (ص٧٥).

٤ – كتاب الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه د. محمد أمان الجامي (ص٣٠٦).

٥– رسالة ماجستير: منهج البيضاوي في تقرير العقيدة عرض ونقد. للباحث سعود العقيل (٢/ ٣٥٠).

٦– كتاب منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري. لمحمد إسحاق كندو (٢/ ٧٧٧).

٧– كتاب جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات. وليد العلي (ص١٤١٣).

٨– كتاب منهج ابن القيم في شرح الأسماء الحسنى. مشرف علي الغامدي (ص٤٧٠).

٩ – كتاب شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة. حصة الصغير (ص٢٠٢).

١٠ – كتاب منهج محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد متولي (ص٤٤٦).

١١ – منهج النووي في أصول الدين –منيرة العرموش– رسالة دكتوراة (١/ ٢٠٠).

١٢ – منهج ابن عطية في أصول الدين –علي القرعاوي– رسالة ماجستير (ص١٩١).

١٣ – منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة –حمد حنفي– رسالة ماجستير (ص١٨٣).

١٤ – رسالة دكتوراة تحت الإعداد للباحث عبد الله القحطاني بعنوان: "الصفات الفعلية بين أهل السنة والمخالفين" وبالاطلاع على مخططها لم أجد الباحث ذكر صفة القرب .

وهذه الدراسات –كما تقدم– مختصرة جداً، وهي كما يظهر متعلقة بكلام الأئمة والعلماء المقصود بالدراسة والبحث فقط .

٣- ما يثمره الإيمان بهذه الصفة الجليلة في قلب المسلم من آثار عظيمة وجليلة، من التعبد بأسماء الله وصفاته، والتعبد بالدعاء، ومراقبة الله في أعماله، ومحبته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

فبحث هذه الصفة، ودراستها استقلالاً يفتح للمسلم أبواباً مفيدة، ومعينة على الطاعة والتقرب إلى الله ﷻ .

٤-وجود مادة علمية كبيرة في هذه الصفة، تعين على دراسة هذه الصفة دراسة عقدية من جميع جوانبها.

الخطة العامة للبحث:

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات .

المقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

والتمهيد، وفيه :

أولاً: عقيدة أهل السنة في الصفات بإيجاز.

ثانياً: أنواع الصفات.

الفصل الأول: عقيدة أهل السنة في القرب، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مجمل عقيدة أهل السنة في القرب.

المبحث الثاني: أنواع القرب.

الفصل الثاني: الأدلة على صفة القرب، وبيان كلام السلف في هذه الصفة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صفة القرب.

المبحث الثاني: بيان كلام الأئمة على هذه الصفة.

الفصل الثالث: علاقة صفة القرب ببعض الصفات، وآثار الإيمان بصفة القرب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقة صفة القرب ببعض الصفات.

المبحث الثاني: آثار الإيمان بصفة القرب.

الفصل الرابع: آراء المبتدعة في صفة القرب ونقضها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معطلة الجهمية وأكثر المعتزلة.

المبحث الثاني: حلولية الجهمية وبعض المتصوفة.

المبحث الثالث: الأشاعرة والماتريدية والكلابية والفلاسفة وغيرهم.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث، ويليها فهرسا المصادر والموضوعات.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وقمتُ بكل ما يتطلبه البحث من أمور علمية مثل التخريج، والحكم على الأحاديث، والتوثيق، والتعريف بالأعلام، والفرق، والأماكن، ونحو ذلك.

وبعد، فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان من صواب فمن الله هو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة والشيطان. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

أولاً: عقيدة أهل السنة في الصفات بإيجاز .

يتلخص منهج السلف في هذا الباب في إثبات الصفات التي وردت في الكتاب والسنة، والإيمان بها من غير تأويل[١]، ولا تحريف[٢]، ولا تشبيه[٣]، ولا تعطيل[٤]. وعدم البحث في كيفيتها، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة من صفات لا يجوز، ولا يليق أن يوصف بها، سبحانه وتعالى. فهو منهج وسط بين الجافية والغالية، بين المعطلة من الجهمية والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم من الأشاعرة وغيرهم من الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته، ويعطلون حقائق ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ،

(١) التأويل له ثلاثة معان: **الأول**: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به. **الثاني**: التأويل بمعنى التفسير، كما يقول شيخ المفسرين الطبري: القول في تأويل الآية.. يعني التفسير. **الثالث**: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر عنه. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص٢٥٢-٢٥٤، والتدمرية، لابن تيمية ص٩١.

(٢) التحريف هو تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العُلى أو معانيها. ينظر: مختصر الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان ص٢٣.

(٣) التشبيه ينقسم إلى قسمين: **الأول**: تشبيه المخلوق بالخالق، كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله ﷻ ، وتشبيه المشركين أصنامهم بالله. **والثاني**: تشبيه الخالق بالمخلوق، كتشبيه المشبهة الذين يقولون: لله وجه كوجه المخلوق، ونحو ذلك. المصدر السابق ص٢٥.

(٤) التعطيل -لغة-: مأخوذ من العطل، وهو الخلو والفراغ. والتعطيل في باب الأسماء والصفات: نفي الأسماء والصفات أو بعضها. ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد التميمي ص٧٠.

وبين الممثلة من الكرامية[1]، وبعض الرافضة[2] الذين يضربون لله ﷻ الأمثال، ويشبهونه بالمخلوقات. وكلا المذهبين مجانب للصواب، والمذهب الصحيح مذهب السلف الذين يؤمنون بأسماء الله وبما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ حقيقةً لا مجازاً، على الوجه اللائق بكمال الله تعالى وجلاله وعزته وعظمته؛ لأنه لا يصف الله تعالى أعلم به منه، ولا يصف الله بعده من هو أعلم به من رسوله ﷺ، والله يقول عن نفسه: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[3]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[4].

---

(١) الكرامية: فرقة من فرق المرجئة، منسوبة إلى محمد بن كرام السجستاني ت٢٥٥هـ يقول: الإيمان: الإقرار باللسان فقط. وقوله في الصفات هو الغلو في الإثبات إلى التجسيم والتشبيه. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٢٥٠، والفرق بين الفرق، للبغدادي ٢٠٢، التبصير في الدين، للأسفراييني ١١١.

(٢) فرقة من أخطر الفرق على الإسلام والمسلمين، يقوم مذهبهم على سب الصحابة وتكفيرهم إلا قليلاً منهم، والقول بعصمة الأئمة، وعقيدة البداء وغير ذلك من العقائد الخطيرة، سموا بالرافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي بن الحسين لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما. وقولهم في التجسيم تقلده كبارهم مثل هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي. ينظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٩، والفرق بين الفرق ٤٧-٤٨، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي ٦٥ .

(٣) سورة البقرة ١٤٠.

(٤) سورة النجم ٣و٤.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [١] ملخصاً منهج السلف في ذلك: فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف[٢]، ولا تمثيل[٣]، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد [٤] لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [٦].

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي ٤/ ٢٧٨، وفوات الوفيات، للكتبي ١/ ٣٥، والبداية والنهاية، لابن كثير ١٨/ ٢٩٥، والشذرات ٦/ ٨٠.

(٢) التكييف هو الخوض في كنه وهيئة الصفات التي أثبتها الله لنفسه. ينظر: معتقد أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات، للتميمي ص٧٠.

(٣) التمثيل هو اعتقاد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق. المصدر السابق ٧٠.

(٤) الإلحاد في الأسماء والصفات هو: الميل والعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها إلى الشرك والتعطيل والكفر. ينظر: مختصر الأسئلة والأجوبة على الواسطية ص٣٢، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، للبريكان ص٣٣.

(٥) سورة الأعراف ١٨٠.

(٦) سورة فصلت ٤٠.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].ففي قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل[2].

وقال ابن قدامة[3] -رحمه الله-: وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل. وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات[4].

---

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣-٤ وينظر: الحموية، لابن تيمية ص٢٠٣-٢٠٤ (رسالة ماجستير). تحقيق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري، ومنهج الشوكاني في العقيدة د/ عبد الله نومسوك ص٣٥٠-٣٥٢.

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الإمام العلامة أبو محمد المقدسي الحنبلي الصالحي، توفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر: السير ٢٢/ ١٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣، والبداية والنهاية ١٧/ ١١٦، والشذرات ٥/ ٨٨،

(٤) لمعة الاعتقاد ص٤و٧.

والسلف لهم قواعد عامة في باب الصفات(١)، وهي :

١-إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته لـه رسـوله ﷺ، مـن غـير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

٢-نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابـه، أو نفـاه عنـه رسـوله ﷺ ، مـع اعتقـاد ثبـوت كـمال ضـده لله تعـالى؛ لأن الله أعلـم بنفـسه مـن خلقـه، ورسوله أعلم الناس بربه، فنفي الموت عنه يتضمن كـمال حياتـه، ونفـي الظلم عنه يتضمن كمال عدله، ونفي النوم عنه يتضمن كمال قيّوميّته.

٣-صفات الله ﷻ توقيفية، فلا يثبت منها إلا مـا أثبتـه الله لنفـسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ولا ينفى عن الله إلا ما نفاه عـن نفـسه، أو نفـاه عنـه رسوله ﷺ.

لأنه لا أحد أعلم بالله من الله تعالى، ولا مخلوق أعلم بخالقـه مـن رسول الله ﷺ.

٤-التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها، أما معناها فيستفصل عنه، فإن أريد به باطـل، ينـزّه الله عنـه، وإن أريـد بـه حـق لا يمتنع على الله قُبل، مع بيان ما يدل عـلى المعنـى الـصواب مـن الألفـاظ الشرعية، وترك الألفاظ المجملة الموهمة .

(١) ينظـر: صـفات الله ﷻ الـواردة في الكتـاب والـسنة، لعلـوي الـسقاف ص٢٠ ومـا بعـدها، والتدمرية، لابـن تيميـة ، والقواعـد المـثلى، لابـن عثيمـين، ومـنهج ودراسـات لآيـات الأسـماء والصفات، للشنقيطي.

٥-كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح؛ وافقت العقل الصريح، ولابد.

٦-قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية، قال تعالى: ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾[١].

٧-صفات الله تثبت على وجه التفصيل، وتنفى على وجه الإجمال.

فالإثبات المفصل، كإثبات السمع والبصر وسائر الصفات، والنفي المجمل كنفي المثلية في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

٨-كل اسم ثبت لله ﷻ ؛ فهو متضمن لصفة، ولا عكس.

مثاله: اسم الله: الرحمن، فإنه يتضمن صفة الرحمة، والكريم يتضمن صفة الكرم، واللطيف يتضمن صفة اللطف.. لكن صفاته مثل الإرادة، والإتيان، والاستواء، لا نشتق منها أسماء، فنقول: المريد، والآتي، والمستوي.

٩-صفات الله كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

١٠- صفات الله ذاتية وفعلية، والصفات الفعلية متعلقة بأفعاله، وأفعاله لا منتهى لها.

١١- دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة: إما التصريح بها، أو تضمن الاسم لها، أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها.

---

(١) سورة طه ١١٠ .

١٢- صفات الله ﷻ يُستعاذ بها، ويحلف بها .

١٣- الكلام في الصفات كالكلام في الذات. فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته حقيقية لا تشبه الصفات.

١٤- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. فمن أقر بصفات الله؛ كالسمع والبصر والإرادة؛ يلزمه أن يقر بمحبة الله ورضاه وغضبه ونحو ذلك.

١٥- ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه، فهو صفة له غير مخلوقة، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه؛ فهو مخلوق، فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له .

مثال الأول: سمع الله، وبصر الله، ورضاه، وسخطه.

ومثال الثاني: بيت الله وناقة الله.

١٦- صفات الله ﷻ وسائر مسائل الاعتقاد تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ وإن كان حديثاً واحداً، وإن كان آحاداً.

١٧- معاني صفات الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة معلومة، وتُفسر على الحقيقة لا مجاز ولا استعارة فيها ألبتة، أما الكيفية فمجهولة.

١٨- كل ماجاء في الكتاب أو السنة، وجب على كل مؤمن القول بموجبه، والإيمان به، وإن لم يفهم معناه.

١٩- باب الأخبار أوسع من باب الصفات، وما يطلق عليه من الأخبار، لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء والموجود.

٢٠- صفات الله ﷻ لا يُقاس عليها .

فلا يقاس السخاء على الجود، ولا الجلد على القوة، ولا المعرفة والإدراك على العلم، ولا الرقة على الرحمة والرأفة .

٢١- صفات الله لا حصر لها؛ لأن كل اسم يتضمن صفة، وأسماء الله لا حصر لها، فمنها ما استأثر الله به في علم الغيب عنده .

ثانياً: أنواع الصفات .

تنقسم الصفات من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله إلى قسمين :

الأول: **الصفات الذاتية**، وهي التي لا تنفك عن الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والوجه، والقدم، ونحو ذلك.

الثاني: **صفات فعلية** ، وهي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالنزول، والغضب، والفرح، والقرب، والضحك، ونحو ذلك، وتسمى: الصفات الاختيارية.

وأفعال الله -سبحانه وتعالى- نوعان :

١-لازمة، كالاستواء، والنزول، والقرب، ونحو ذلك، فهي لازمة لا تتعدى إلى مفعول، بل هي قائمة بالفاعل.

٢-متعدية، كالخلق والإعطاء والإماتة ونحو ذلك، فهي تتعدى إلى مفعول. وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (١). فذكر الفعلين المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته، وهو متصف به، سبحانه.

ومن الصفات ما يكون صفة ذات وفعل، مثل: صفة الكلام، والخلق، والرحمة، ونحو ذلك (٢).

والفرق بين الصفات الاختيارية وغيرها من الصفات :

١-أن غيرها من الصفات تجددها أو زوالها يقتضي تغير الموصوف واستحالته، ويقتضي تجدد كمال بعد نقص، أو تجدد نقص بعد كمال، كما في صفات الموجودات كلها، إذا حدث للموصوف ما لم يكن عليه من الصفات. مثل تجدد العلم بما لم يكن يعلمه، والقدرة على ما لم يكن يقدر عليه، ونحو ذلك، أو زوال ذلك، بخلاف الصفات الاختيارية؛ فوجودها في وقتها كمال لا قبله ولا بعده، كما تقتضيه الحكمة الإلهية (٣).

٢-أن الصفات الاختيارية قديمة النوع متجددة الآحاد، كالكلام، والنزول، والخلق، ونحو ذلك، أما غيرها من الصفات كالعلم والقدرة

(١) سورة الفرقان ٥٩.
(٢) ينظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين ص٢٥، وشرح الهراس، للواسطية ١٠٥-١٠٦، وصفات الله، للسقاف ص٢٧، ومجموع الفتاوى ٦/ ٢٤٤، ومختصر الصواعق، للموصلي ٤٢٩ .
(٣) التسعينية، لابن تيمية، ضمن الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٩١.

واليد والوجه ونحو ذلك، فهي صفات قديمة أزلية، وبهذا نعرف خطأ من يطلق على الصفات جميعها بأنها قديمة [١]. ذلك أن المتكلمين يجعلون الصفات الاختيارية قديمة، ويقصدون بذلك نفي أن يقوم بالله تعالى فعل في وقت دون وقت، وهذا هو التعطيل.

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٢/ ١٤٧. وينظر: تعليق الشيخ أبابطين على قول العلامة السفاريني: صفات الله قديمة في حاشية البابطين على اللوامع ١/ ١١٢، وينظر: صفة النزول، للغامدي ص٣٧٧-٣٧٨.

الفصل الأول : عقيـدة أهل السنة في القـرب

المبحث الأول : مجمل العقيدة في القرب .

القُرْبُ كالدنو: ضد البُعد، والاقتراب: الدنو، والتقرب: التـدني. وهو ظاهر في اللغة [(١)]. وقرب الشيء بالضم، يقرب قرباناً، أي: دنا، فهو قريب [(٢)].

وأما مجمل عقيدة أهل السنة في القرب الإلهي فهو الآتي:

يعتقد أهل السنة أن الله ﷻ قريب من عباده قرباً خاصـاً كـما يليـق بجلاله وعظمته [(٣)]، وهو مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وأنـه يقـرب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكـنهم لا يفـسرون كـل قـرب ورد لفظه في القرآن بالقرب الحقيقـي، فقـد يكـون القـرب: قـرب الملائكـة، وذلك حسب سياق اللفظ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وأما دنـوه وتقربـه مـن بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفـسه، ومجيئـه يوم القيامة ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مـذهب أئمـة الـسلف

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٦/ ٢٣.

(٢) ينظر: العين، للخليل بن أحمـد ٣/ ١٤٥٤، ومجمـل اللغـة، لابـن فـارس ٣-٤/ ٧٥٠-٧٥١ والكليات، للكفوي ص٧٢٣، ولسان العرب، لابن منظور ١١/ ٨٢، وتهذيب اللغـة، للأزهـري ٩/ ١٢٢، والمفردات في غريـب القـرآن، للأصـفهاني ٦٦٣، والقـاموس المحـيط، للفيروزآبـادي ص١٥٧ و١٦٥٦ مادة "قرب، ودنا".

(٣) وسيأتي إيراد الأدلة على ذلك.

وأئمـة الإسـلام المـشهورين، وأهـل الحـديث، والنقـل عـنهم بـذلك متواتر[١].

وقال أيضاً: ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه، يُراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجـائزة، وينظـر في النص الوارد، فإن دلّ على هذا؛ حُمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه[٢].

فسلف الأمة وأئمتها يثبتون فوقية الله، واسـتواءه عـلى عرشـه، وأنـه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائـه وأوليائـه بالنـصر والتأييـد والكفايـة، وهـو أيـضاً قريـب مجيب [٣].

وقرب الرب -تبـارك وتعـالى- إنـما ورد خاصـاً لا عامـاً، فلـيس في الكتاب ولا في السنة وصفه تعالى بقرب عام مـن كـل موجـود[٤]. وإنـما ذكر ذلك في بعض الأحوال[٥]. فما " نطق به الكتاب والـسنة مـن قـرب الرب من عابديه وداعيه؛ هـو مقيّـد مخـصوص، لا مطلـق عـام لجميـع الخلق " [٦].

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٦، وشرح حديث النزول ص١٣٣ .
(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ١٤ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٣١.
(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤، والروضة الندية شرح الواسطية، للشيخ زيد بن فياض ص٢١٦.
(٥) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٦.
(٦) من فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧.

وقد أثبت السلف الصالح -رحمهم الله- صفة القرب لله تعالى على حقيقته، كما يليق بجلاله وعظمته، وقالوا: إن قربه لا ينافي علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه، قريب في علوه [١].

وأهل السنة حين يثبتون صفة القرب لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ؛ فلا يعنون أن ذات الله قريبة من كل مخلوق، فإنه لم يقل أحد من السلف: إن نفس ذاته تعالى قريبة من كل موجود [٢]. فقرب ذات الله من العباد خصوصاً وعموماً ليس عليه دليل ينص عليه لا من القرآن ولا من السنة [٣].

ويقرر السلف أن قرب الله هو من لوازم ذاته، مثل العلم والقدرة، فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه، لم يزل بهم عالماً، ولم يزل عليهم قادراً، هذا مذهب جميع أهل السنة وعامة الطوائف، إلا من ينكر علمه القديم، أو ينكر قدرته على الشيء قبل كونه من الرافضة والمعتزلة وغيرهم [٤].

---

(١) ينظر: التوحيد، لابن منده ٣/ ١٢٥، وفتاوى ابن تيمية ٣/ ١٤٣، و٥/ ٤٦٦ و٥١٠ ، وشرح الهراس للواسطية ص٢٣٠، وشرح الشيخ صالح الفوزان للواسطية ص١٠١-١٠٢، وتفسير المنار ٢/ ١٦٨، وتفسير القاسمي ٣/ ٤٣١ .

(٢) شرح حديث النزول، لابن تيمية ص١٢٦ .

(٣) إثبات علو الله للشيخ حمود التويجري ص١٥١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ١٣ .

ويبيّن أهل السنة أن ما يوصف به الله من هذه الصفة، لا يشابه فيها وصف المخلوق بها، فالله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ومن ظنَّ أن ما يوصف به الرب ﷻ من القرب لا يكون إلا مثل ما توصف به أبدان بني آدم؛ فغلطه عظيم [(١)].

وقرب الله ﷻ لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه [(٢)]، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [(٣)].

" وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته؛ لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال ذلك من قاله من السلف " [(٤)].

ومن العلماء الذين قالوا ذلك الإمام أحمد بن حنبل [(٥)]، قال في رسالته إلى مسدد ابن مسرهد[(٦)]: وينزل الله إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه

(١) المصدر السابق ٥/ ٤٥٩ .
(٢) سيأتي الكلام عن بيان العلاقة بين القرب وبعض الصفات .
(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٦٦ .
(٤) من مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٦٠.
(٥) هو أحمد بن محمد بن حنبل، إمام أهل السنة، أبو عبد الله الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، وتلقى العلم عن الأكابر، وامتحن في بدعة القول بخلق القرآن، وثبت فيها، وحفظ الله به السنة، توفي سنة ٢٤١هـ. ينظر: السير: ١١/ ١٧٧، والجرح والتعديل ١/ ٢٩٢ ، وحلية الأولياء، لأبي نعيم ٩/ ١٦١ وبتفصيل: مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي .
(٦) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل، الإمام الحافظ الحجة أبو الحسن الأسدي، أحد أعلام الحديث. ولد في حدود خمسين ومائة وتوفي سنة ٢٢٨هـ. ينظر:السير ١٠/ ٥٩١ والجرح والتعديل ٨/ ٤٣٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٤١، والشذرات ٢/ ٦٦ .

العرش [١]. وكذلك الإمام ابن راهويه [٢]، قال: دخلت يوماً على عبد الله بن طاهر [٣]، فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: ينزل ويدع عرشه؟ قلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه [٤].

وإنما اشتبه هذا على كثير من الناس؛ لأنهم يظنون أن ما يوصف الله ﷻ به من جنس ما توصف به أجسامهم، فيرون ذلك يستلزم الجمع بين

---

(١) شرح حديث النزول، لابن تيمية ص٤٧، وإبطال التأويلات، لأبي يعلى ص٢٦١.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، الإمام الكبير سيد الحفاظ، أبو يعقوب المروزي، ولد سنة ١٦١هـ وكان حافظاً رأساً في الفقه من أئمة الاجتهاد. توفي سنة ٢٣٨هـ. ينظر: السير ١١/ ٣٥٨، والجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥، ووفيات الأعيان، لابن خلكان ١/ ١٩٩، والشذرات ٢/ ٨٩.

(٣) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير أبو العباس حاكم خراسان، كان أميراً عادلاً، توفي سنة ٢٣٠هـ. ينظر: السير ١٠/ ٦٨٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٨٣، والكامل، لابن الأثير ٧/ ١٤، والعبر، للذهبي ١/ ٣٥٧.

(٤) العلو للذهبي (المختصر ١٩٢) قال العلامة الألباني: إسناده صحيح، شرح حديث النزول ص٤٣.

ومسألة خلو العرش، لأهل الحديث فيها ثلاثة أقوال:

الأول: منهم من ينكر أن يقال: يخلو أو لايخلو، كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره، وهو قول كثير من أهل الحديث.

الثاني: ومنهم من يقول: بل يخلو منه العرش، وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفاً في الإنكار على من قال: لا يخلو من العرش، أو لا يخلو منه العرش.

الثالث: ومنهم من يقول: لا يخلو منه العرش مع نزوله إلى السماء الدنيا ودنوه، وقد رجح ابن تيمية هذا القول، وقال: هو المأثور عن سلف الأمة، والله أعلم.

ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى ٥/ ٤١٤-٤١٥ .

الضدين، فإن كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع في مثل أجسامهم، لكن مما يسهل عليهم معرفة إمكان هذا معرفة أرواحهم وصفاتها وأفعالها، وأن الروح قد تخرج من النائم إلى السماء، وهي لم تفارق البدن، كما قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (١). وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان، ثم تعاد إلى البدن، فتسأل، وهي في البدن(٢)، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة**)) (٣).

فمذهب السلف في نزول الله وقربه واضح صريح، وإثباتهم له كإثبات سائر الصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) سورة الزمر ٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابنة تيمية ٥/ ٥٢٣-٥٢٤ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٣٨ و١٣٧٤ وصحيح مسلم ٢٨٧٠ .

والكلام على قرب الله ودنوه ونظير ذلك من الصفات كالنزول والمجيء ونحوهما، يقودنا إلى الكلام على مسألة الحركة والانتقال، وهل يصح إطلاقها على الله ﷻ ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لفظ الحركة، هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه؟ اختلف فيه المسلمون وغيرهم من أهل الملل، وغير أهل الملل من أهل الحديث، وأهل الكلام، وأهل الفلسفة، وغيرهم على ثلاثة أقوال، وهذه الثلاثة موجودة في أصحاب الأئمة الأربعة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم. ثم شرع رحمه الله في بيان معنى الحركة عند المتكلمين والفلاسفة، ثم قال: والمقصود هنا أن الناس متنازعون في جنس الحركة العامة التي تتناول ما يقوم بذات الموصوف من الأمور الاختيارية، كالغضب والرضى والفرح، وكالدنو والقرب والاستواء والنزول، بل والأفعال المتعدية كالخلق والإحسان وغير ذلك على ثلاثة أقوال.

أحدها: قول من ينفي ذلك مطلقاً، وبكل معنى، وأول من عرف بذلك هم الجهمية والمعتزلة.

الثاني: إثبات ذلك، وهو قول الهشامية[1]، والكرامية، وغيرهم من طوائف أهل الكلام الذين صرحوا بلفظ الحركة.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبات لفظ الحركة، ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث، وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني[2] – لما ذكر مذهب أهل السنة والأثر – عن أهل السنة والحديث قاطبة، وذكر من لقي منهم على ذلك: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وغيرهم.

وكثير من أهل الحديث والسنة يقول: المعنى صحيح، لكن لا يطلق هذا اللفظ؛ لعدم مجيء الأثر به، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر[3]، وغيره في كلامهم على حديث النزول.

والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث هو الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة، من أنه يأتي، وينزل، وغير ذلك من الأفعال اللازمة.

---

(١) الهشامية: أتباع هشام بن الحكم الرافضي الذي شبه معبوده بالإنسان، وهناك هشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وقوله قريب من قول ابن الحكم. ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٢٠٨، والملل والنحل، للشهرستاني ١٨٤ .

(٢) هو حرب بن إسماعيل الكرماني، الإمام العلامة أبو محمد الفقيه، تلميذ الإمام أحمد. توفي سنة ٢٨٠هـ. ينظر: السير ١٣/ ٢٤٤، والجرح والتعديل ٣/ ٢٥٣، وطبقات الحنابلة ١/ ١٤٥، والشذرات ٢/ ١٧٦ .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الإمام العلامة، أبو عمر الأندلسي المالكي، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ. ينظر: السير ١٨/ ١٥٣، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٦، والعبر ٣/ ٢٥٥، والشذرات ٣/ ٣١٤ .

قال أبو عمر الطلمنكي[١]: أجمعوا -يعني أهل السنة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفاً صفاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء، وكيف يشاء؛ قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٣]. قال: وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئاً.

والقول الثالث: الإمساك عن النفي والإثبات، وهو اختيار كثير من أهل الحديث والفقهاء والصوفية، كابن بطة[٤] وغيره، وهؤلاء فيهم من يعرض بقلبه من تقدير أحد الأمرين، ومنهم من يميل بقلبه إلى أحدهما، ولكن لا يتكلم لا بنفي ولا بإثبات .

والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء، فهو مخطئ قطعاً، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، نسبة إلى مدينة طلمنك كان من بحور العلم. توفي سنة ٤٢٩هـ. ينظر: السير ١٧/ ٥٦٦، والشذرات ٣/ ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة ٢١٠.

(٣) سورة الفجر ٢٢.

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، الإمام شيخ العراق، أبو عبد الله العكبري، صاحب الإبانة، ولد سنة ٣٠٤هـ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ. ينظر: السير ١٦/ ٥٢٩، وتاريخ بغداد ١٠/ ٣٧١، والشذرات ٣/ ١٢٢ .

نزوله تفريغاً لمكان، وشغلاً لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه كما تقدم [1].

وقال: والمنصوص عن الإمام أحمد إنكار نفي ذلك، ولم يثبت عنه إثبات لفظ الحركة، وإن أثبت أنواعاً قد يدرجها المثبت في جنس الحركة، فإنه لما سمع شخصاً يروي حديث النزول، ويقول: ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا بغير حال، أنكر أحمد ذلك، وقال: قل كما قال رسول الله ﷺ، فهو كان أغير على ربه منك.

وقد نقل في رسالة عنه إثبات لفظ الحركة مثل ما في العقيدة التي كتبها حرب ابن إسماعيل، وليست هذه العقيدة ثابتة عن الإمام أحمد بألفاظها، فإني تأملت لها ثلاثة أسانيد مظلمة برجال مجاهيل، والألفاظ هي ألفاظ حرب بن إسماعيل، لا ألفاظ الإمام أحمد، ولم يذكرها المعنيون بجمع كلام الإمام أحمد [2].

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٦٥ – ٥٧٨ بتصرف.

(٢) الاستقامة ١/ ٧٢-٧٣. وينظر: مختصر الصواعق ٢/ ٢٥٧، وشرح لامية ابن تيمية، للمرداوي٦٢، واللوامع، للسفاريني ١/ ٢٥٠، واللوائح، له ١/ ٣٤١ .

المبحث الثاني :

أنواع القـرب .

تقدم أن القرب لا يقع في القرآن إلا خاصاً لا عاماً، وهو ثلاثة أنواع:

١-قرب من الداعي بالإجابة، ودليله قوله -تعالى-: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ**﴾ (١)؛ ولهذا نزلت جواباً للصحابة -رضي الله عنهم- وقد سألوا رسول الله ﷺ: ربنا قريب فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢).

فهنا هو نفسه -سبحانه وتعالى- القريب الذي يجيب دعوة الداع لا الملائكة، وهذا قرب الرب الخاص(٣).

ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ : " إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وذلك أن الداعي يقرب قلبه من ربه فيقرب الرب منه، فهو أقرب إليه من عنق راحلته (٥).

---

(١) سورة البقرة ١٨٦ .

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦، وفتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧. وينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٣، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٤ (١٦٦٧) والمؤتلف للدارقطني ٣/ ١٤٣٥.

(٣) شرح النزول ١٢٠ .

(٤) صحيح البخاري ٧٣٨٦ عن أبي موسى.

(٥) شرح حديث النزول ص١٣٢-١٣٣.

٢-قربٌ مِنْ عَابِدِهِ بالإثابة، ودليلُه قوله ﷺ : ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل**))[١] فهذا قرب من أهل طاعته [٢].

٣-قرب حقيقي[٣] من بعض خلقه ممن اختصه الله من بعض عباده من الملائكة أو الأنبياء أو الرسل أو غيرهم.

وهو قرب خاص، كقربه عشية عرفة، وفي جوف الليل، وإلى من تقرب منه شبراً [٤]. ودليله أحاديث قرب الله من بعض عباده الآتي ذكرها، ودنو الله من بعض عباده يوم عرفة ونزوله، وقرب الملائكة وجبريل وبعض الأنبياء والرسل منه، تعالى.

وهناك تقسيم للقرب باعتبار آخر إلى تقرب العبد إلى ربه ودنوه إليه، وتقرب الرب إلى عبده.

وتقرب الرب إلى عبده نوعان: **أحدهما** إلى الآخر، كان من لوازم هذا قرب الآخر إليه، أو القرب من الأمور الإضافية من الجانبين، فيمتنع أن يقرب أحدهما من الآخر إلا والآخر قرب إليه. لكن لا يستلزم هذا أن يكون المتقرب إليه قد وجد منه فعل بنفسه يقرب منه، بل يكون قربه هو

(١) صحيح مسلم عن أبي هريرة (٤٨٢).
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦.
(٣) وقع في مختصر الصواعق لفظ: قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير. ويظهر لي أن الشيخ محمد بن الموصلي، -رحمه الله- تصرف فيها، كما سيأتي بيان ذلك.
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ٢٤١.

القرب الذي حصل بفعل المتقرب، كالشيء المتحرك المتقرب إلى الشيء الساكن، فإنه كلّما تقرب إليه قرب الساكن إليه من غير حركة منه. فهذا النوع من قرب الرب إلى عبده، وهو تبع لقرب العبد إلى الله، فمن أثبت قرب ذات الله إلى العبد بهذا الاعتبار وإلا فلا.

وأما **النوع الثاني** من تقرب الرب إلى العبد، فهو تقربه بفعل يقوم بنفسه، كما ورد لفظ المجيء والإتيان والنزول وغير ذلك [1].

وبعض العلماء -كابن سعدي[2] وغيره- يقسم القرب إلى نوعين: قرب بالعلم من كل الخلق، وقرب من العابدين والداعين بالإجابة والمعونة والتوفيق [3].

والأظهر أنه -كما تقدم- خاص فقط.

ويحسن أن نلقي الضوء على المسألة التي تطرّق إليها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهي قرب العبد من ربه، وكيف أنه يلزم من ذلك قرب الله من العبد؟. فأهل السنة يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قرباً

(١) نقض أساس التقديس، لابن تيمية ٢/ ق١٧٣.
(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين، لكحالة ٢/ ١٢١-١٢٢، ومقدمة المجموعة الكاملة، لمؤلفات ابن سعدي ط. ومركز صالح بن صالح الثقافي.
(٣) تفسير ابن سعدي ص٨٧.

إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله، لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود، وإن كان بدنه متواضعاً، وهذا هو الذي دلّت عليه نصوص الكتاب [١].

فقرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه، لكن قد يكون قرب الثاني هو اللازم من قرب الأول، ويكون منه أيضاً قرب نفسه، فالأول كمن تقرب إلى مكة أو حائط الكعبة، فكلما قرب منه؛ قرب الآخر منه، من غير أن يكون منه فعل، والثاني: كقرب الإنسان إلى من يتقرب هو إليه، فتقرب العبد إلى الله وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة، مثل قوله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ** ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ **فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ** ﴾ [٣]، وقوله: ﴿ **عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ** ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ **وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب** ﴾ [٥]، وكذلك القربان، كقوله: ﴿ **إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا** ﴾[٦] وفي الحديث: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر**)). ونحو ذلك لا ريب أنه بعلوم وأعمال يفعلها العبد، وفي ذلك حركة منه وانتقال من حال إلى حال، ثم لا يخلو مع ذلك، إما أن روحه وذاته تتحرك أو لا تتحرك، وإذا تحركت

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦/ ٧. وسيأتي إيراد بعض هذه النصوص.
(٢) سورة الإسراء ٥٧.
(٣) سورة الواقعة ٨٨.
(٤) سورة المطففين ٢٨.
(٥) سورة العلق ١٩.
(٦) سورة المائدة ٢٧.

فإما أن تكون حركتها إلى ذات الله أو إلى شيء آخر، وإذا كانت إلى ذات الله بقي النظر إلى قرب الله إليه ودنوه وإتيانه ومجيئه، إما جزاءً على قرب العبد، وإما ابتداءً كنزوله إلى سماء الدنيا [1].

كما قرر السلف أن تقرب العبد إلى الله يحصل بحركة بدن العبد إلى بعض الأمكنة المشرفة، التي يظهر فيها الإيمان بالله، من معرفته وذكره وعبادته، كالحج إلى بيته، والقصد إلى مساجده ، ومنه قول إبراهيم: ﴿ **إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ** ﴾ [2]. وأما حركة روحه إلى مثل السموات وغيرها من الأمكنة، فأقر به جمهور أهل الإسلام، وأنكره الفلاسفة ومن وافقهم، وحركة روحه أو بدنه إلى الله أقر بها أهل الفطرة وأهل السنة والجماعة، وأنكرها كثير من أهل الكلام [3].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٥ و٥/ ٢٤٠. والحديث تقدم تخريجه. وقد ساق ابن تيمية الآيات والأحاديث على ذلك، ثم قال: وأما في الأحاديث النبوية فكثير، وكلام السلف والأئمة وجميع المسلمين من ذكر القرب إلى الله تعالى، وما يقرب إلى الله ونحو ذلك، هذا لا يحصيه إلا الله تعالى. نقض التأسيس جزء ٢/ ق١٨٠، شرح النزول ١٣٣ .

(٢) سورة الصافات ٩٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٨٦.

الفصل الثاني : الأدلة على صفة القرب

وبيان كلام السلف في هذه الصفة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صفة القرب، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الأدلة من القرآن.

١ -قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١] قيل في سبب نزولها: أنها نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله هذه الآية[٢].

وعن الحسن [٣] قال: سأل أصحاب النبيﷺ النبيﷺ : أين ربنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى .. ﴾ الآية [٤].

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٢-٢٢٣، والعظمة، لأبي الشيخ ص٧٧، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٤، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٤، والمؤتلف للدارقطني ٣/ ١٤٣٥.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام الكبير أبو سعيد البصري. ولد في أواخر خلافة عمر ابن الخطاب، ورأى عثمان وطلحة والكبار. توفي سنة ١١٠هـ. ينظر: السير ٤/ ٥٦٣، الحلية ٢/ ١٣١، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٢٦٣، الشذرات ١/ ١٣٦ .

(٤) تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٧٣ ، وتفسير الماوردي ١/ ٢٠٣، وتأويلات أهل السنة، للماتريدي ص٣٧٧.

قال العلامة الشوكاني[١] -رحمه الله-: يحتمل أن السؤال عن القرب والبعد، كما يدل عليه قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٢].

وقيل في نزولها: إنها نزلت جواباً لمسألة قوم سألوا النبي ﷺ: أي ساعة يدعون الله فيها، فنزلت هذه الآية[٣].

وروي في سبب نزولها أن اليهود قالوا: يا محمد؟ كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟ فنزلت هذه الآية[٤].

وقد فسر الإمام ابن كثير[٥] الآية بحديث: ((**اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**))[٦].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشيخ العلامة، أبو عبد الله الصنعاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بصنعاء سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع له ٢/ ٢١٤، وهدية العارفين، للبغدادي ٢/ ٣٦٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٤١.

(٢) تفسير الشوكاني ١/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٢٣، والدعاء، للطبراني ١٠، ١١، والدر المنثور ١/ ١٩٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن الجوزي ١/ ١٨٩. وتفسير ابن عطية ٢/ ١١٧، وتأويلات الماتريدي ٣٧٨.

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء، الإمام العلامة عماد الدين، أبو الفداء ابن كثير، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ٧٠٠هـ وقيل ٧٠١هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ ينظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، والشذرات ٦/ ٢٣١، والبدر الطالع ١/ ١٥٣، ومعجم المؤلفين ١/ ٣٧٣.

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٥.

قال العلامة محمد رشيد رضا[١] -في تفسير الآية-: والمراد أن يؤمنوا بأن الله تعالى قريب منهم، ليس بينه وبينهم حجاب ولا ولي ولا شفيع يبلغه دعاءهم وعبادتهم، أو يشاركه في إجابتهم أو إثابتهم، ليتوجهوا إليه وحده، حنفاء مخلصين له الدين[٢].

ففي الآية إثبات صفة القرب لله على الحقيقة، على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تشبيه بقرب المخلوقين؛ لأن الضمائر في هذه الآية كلها ترجع إلى الله، وعليه فلا يصح أن يحمل القرب فيها على قرب الرحمة أو الإنعام أو غيرها؛ لأنه خلاف الظاهر، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل.

وبيّن العلامة القاسمي[٣] -رحمه الله- وجه اقتران القرب في الآية بالإجابة بقوله: فهو سبحانه قريب ممن دعاه، ثم ذكر حديث: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم..." فقال: إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم، ولم يقل: إنه قريب من كل موجود، وكذلك قول صالح -عليه السلام-: ﴿ فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾[٤]،

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بن علي القلموني البغدادي الأصل، الحسيني، عالم محدث مفسر أديب، ولد سنة ١٢٨٢هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: المجددون في الإسلام، للصعيدي ٥٣٩، والأعلام، للزركلي ٦/ ٣٦١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٩٣ .

(٢) تفسير المنار ٢/ ١٦٧ .

(٣) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، علامة الشام. ولد سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ. ينظر: الأعلام ٢/ ١٣١، ومعجم المؤلفين ١/ ٥٠٤.

(٤) سورة هود ٦١ . وسيأتي الكلام عن هذه الآية.

ومعلوم أن قوله ﴿ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود. وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال: مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه -سبحانه وتعالى- وأسماء الله المطلقة كاسمه السميع والبصير والغفور والشكور والمجيب والقريب، لا يجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه [1].

٢-قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [2].

إن اقتران القرب بالإجابة في الآية يفيد أن قرب الإجابة أحد أنواع القرب، فهي كقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [3]. قال العلامة البغوي [4]: قريب من المؤمنين مجيب لدعائهم [5].

(١) تفسير القاسمي ١٥/ ٥٤٩٢. وينظر: في تفسير العلماء للقرب في الآية بالإجابة: تفسير الشوكاني ١/ ٢٥٣، وتفسير الماوردي ١/ ٢٠٣، وتفسير ابن عطية ٢/ ١١٧، وبعضهم يفسرها بالقدرة . ينظر: تفسير ابن عطية ٢/ ١١٧. وبعضهم بالعلم، ينظر: تفسير الواحدي ١/ ١٥٢، وتفسير البغوي ١/ ٢٠٤، وتفسير القرطبي ١/ ٣٠٨، وتفسير ابن بدران المسمى جواهر الأفكار ٥١٠. وبعضهم بأقوال أخرى ترد أثناء حكاية آراء المخالفين في صفة القرب والرد عليها .

(٢) سورة هود ٦١.

(٣) سورة البقرة ١٨٦. من تفسير ابن كثير ١/ ٦٦١ .

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي، الشيخ العلامة، أبو محمد الشافعي، عالم مفسر فقيه. توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٤/ ٢١٤، والشذرات ٤/ ٤٨، ومعجم المؤلفين ١/ ٦٤٤ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٨٥ .

٣-قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[١].

قال شيخ المفسرين الطبري[٢]: يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، قريب مني، غير بعيد، فيتعذّر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم، يسمع كل ما ينطق به، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[٣].

" فهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، كما قال ﷺ : "إنكم لا تدعون..." [٤].

قال العلامة الشوكاني –في تفسيرها-: فالله قريب مني ومنكم، يعلم الهدى والضلالة[٥].

ومن الآيات التي استدلّ بها بعض العلماء على إثبات صفة القرب لله:

١-قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٦].

---

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة. ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: السير ١٤/ ٢٦٧، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩١، وطبقات السبكي ٣/ ١٢٠، والشذرات ٢/ ٢٦٠.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٠٨.

(٤) من تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٩٢.

(٥) تفسير الشوكاني ٤/ ٣٢٤ .

(٦) سورة الأعراف ٥٦.

قال الإمام ابن القيم(١) -رحمه الله-: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قطعاً. ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه إليه بإحسانه، تقرب تعالى إليه. فإنه من تقرب منه شبراً يتقرب منه ذراعاً(٢).

ويقرر علماء اللغة(٣) أن القريب في اللغة بمعنى القرب ومعنى المسافة، فتقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة(٤).

٢-قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾(٥) قال الطبري: يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيءٍ منه، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(٦).

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن القيم. ولد سنة ٦٩١هـ. ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية وتفقه به، وتوفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٠، والبدر الطالع، للشوكاني ٢/ ١٤٣.

(٢) مختصر الصواعق ص٤٦٠. وينظر: النقول الصحية الواضحة الجلية، للشيخ علي بن عبد الله الحواس ص٦٤-٦٦.

(٣) ينظر: الصحاح ١/ ١٩٨، والعين ٣/ ١٤٥٤، وتهذيب اللغة ٩/ ١٢٤-١٢٥، والكليات ص٧٢٤.

(٤) ينظر: تفسير البغوي ٣/ ٢٣٨، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٢١٦.

(٥) سورة الحديد ٣.

(٦) سورة ق ١٦. ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٣٨٥، وتفسير القاسمي ١٦/ ٥٦٧٢.

وقال أبو حيان[١] -في تفسير اسم الباطن-: إحاطته بكل شيء لقربه[٢]. وقال مقاتل:[٣]-في تفسير الباطن-: أقرب من كل شيء، وإنما يعني بالقرب: بعلمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم[٤]. وقال العلامة زيد بن فياض -رحمه الله-: فيه بيان قرب الرب تعالى من عباده [٥].

والذي يظهر لي أنه ليس معنى الباطن: القرب، ولا لفظ الباطن يدل عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -بعد نقله قول مقاتل-: وهذا ليس مشهوراً عن مقاتل، ولم يجزم بما قاله، بل قال: بلغنا، وهو الذي فسر الباطن بالقريب، ثم فسر القرب بالعلم والقدرة، ولا حاجة إلى هذا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس**

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشيخ العلامة أبو حيان الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٥هـ. ينظر: طبقات السبكي ٦/ ٣١، والدرر الكامنة، لابن حجر ٤/ ٣٠٢، وفوات الوفيات، للكتبي ٢/ ٢٨٢، والشذرات ٦/ ١٤٥.

(٢) نقله الماوردي في تفسيره ٤/ ١٨٣.

(٣) هو مقاتل بن سليمان، كبير المفسرين أبو الحسن البلخي، كان من المشبهة. توفي سنة نيف وخمسين ومائة. ينظر: السير ٧/ ٢٠١، والجرح والتعديل ٨/ ٣٥٤، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩، والشذرات ١/ ٢٢٧.

(٤) ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي ٩١٠، وتفسير السيوطي ١٤/ ٢٦١.

(٥) الروضة الندية شرح الواسطية ص٢١٥.

فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء))(١). فليس معنى الباطن القرب، ولا لفظ الباطن يدل على ذلك(٢).

٣-قوله ﷻ: ﴿ **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ** ﴾(٣). قيل في معناها: إنه تعالى قريب من قلب العبد، لا يخفى عليه شيء، فهي -كما قال قتادة(٤)-: كقوله: ﴿ **أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ** ﴾(٥).

وقال الحسن -في تفسيرها-: في القرب منه(٦).

ونقل ابن كثير قول قتادة المتقدم، وقال: وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية، ثم ساق أحاديث قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء(٧)... وهذا يفيد عنده أنه يؤخذ من الآية أن الله يقرب من عباده قرباً خاصاً به كما يليق بجلاله.

---

(١) صحيح مسلم رقم ٢٧١٣ عن أبي هريرة.

(٢) شرح حديث النزول ص١٢٤-١٢٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٨-٤٩٩ .

(٣) سورة الأنفال ٢٤.

(٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير، ولد سنة ٦٠هـ وتوفي سنة ١١٨هـ. ينظر: السير ٥/ ٢٦٩، والجرح والتعديل ٧/ ١٣٣، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٥، وطبقات المفسرين، للداوودي ٢/ ٤٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ١١٢، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٢٥٧، وتفسير الماوردي ٢/ ٩٤، وتفسير ابن عطية ٦/ ٢٥٩، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٣٣٩، وتفسير القاسمي ٨/ ٢٩٧٦ .

(٦) ينظر: تفسير الشوكاني ٢/ ٣١٨، وتفسير السيوطي ٧/ ٨٥ وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) ينظر: صحيح مسلم رقم ٢٦٥٤ عن ابن عمرو. وعن أنس عند الترمذي رقم ٢١٤٠ وابن ماجه ٣٨٣٤ وأحمد في المسند ٣/ ١١٢ بإسناد قوي على شرط مسلم. وقول ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٦٥.

٤-قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (١) عند من يرى أن الذي دنا هو الله ﷻ . فالدنو في لغة العرب: القرب، والتدلي الزيادة في القرب (٢). فدنا الرب سبحانه من محمدﷺ فتدلى وقرب منه .

وإثبات الدنو لله في هذه الآية هو قول أنس(٣) ﷺ، وابن عباس -رضي الله عنهما- قال: دنا ربه، فتدلى(٤). وهو اختيار مقاتل(٥). وقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (٦) إشارة إلى تأكيد القرب (٧).

وقد جاء في إثبات دنو الله ﷻ في تفسير هذه الآية حديث، ولفظه: " ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى " (٨).

وهذه الرواية قد ضاق بها المؤولة ذرعاً، قال الخطابي(٩) -وهو أحد من أوّل في هذه الصفة-: ليس في هذا الكتاب -يعني الصحيح-

---

(١) سورة النجم ٨ .
(٢) تفسير ابن الجوزي ٨/ ٦٥. وينظر: الكليات ٤٥٢، والصحاح ٦/ ٢٣٤١، ومجمل اللغة ١-٢/ ٣٣٦، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٨٨ .
(٣) ينظر: تفسير البغوي ٧/ ٤٠٢، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٨٩ .
(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤، ومعجم الطبراني الكبير ١١٣٢٨، وتفسير السيوطي ٦/ ١٢٣.
(٥) كما في تفسير ابن الجوزي ٨/ ٦٦.
(٦) سورة النجم ٩.
(٧) تفسير البغوي ٧/ ٤٠٢.
(٨) صحيح البخاري رقم ٧٥١٧ عن أنس.
(٩) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، الشيخ العلامة، أبو سليمان الخطابي، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، وتوفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨، والعبر ٣/ ٣٩، وطبقات السبكي ٣/ ٢٨٢، والشذرات ٣/ ١٢٧ .

حديث أبشع ظاهراً، ولا أبشع مذاقاً من هذا الحديث، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي يعلو من فوق إلى أسفل[١]. وسيأتي الكلام مبسوطاً على ما ذكره الخطابي في سياق الكلام عن آراء المخالفين في صفة القرب والرد عليها.

وقد استدل أبو الحسن الأشعري[٢] بهذه الآية على قرب الله من عباده[٣].

٥-قال بعض العلماء[٤] إن معنى ﴿ق﴾ في سورة ق هو قرب الله من عباده، بيانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٥].

وهذا التفسير لا دليل عليه، فلا يصح، ولا يعتد به.

ومما يستدل به على قرب الله : ما جاء في القرآن الكريم من قرب الله من بعض عباده، وتقريبه بعض خلقه إليه، قال ابن تيمية: وهذا كقربه

---

(١) أعلام الحديث ٤/ ٢٣٥٢، ونقله الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٨٣ .

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، العلامة أبو الحسن الأشعري، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان معتزلياً، ثم قرر مذهب ابن كلاب، ثم رجع في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة، توفي سنة ٣٣٠هـ. ينظر: السير ١٥/ ٨٥ وتاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، وطبقات السبكي ٣/ ٣٤٧، والشذرات ٢/ ٣٠٣.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص١٢، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٥/ ٩٥. وبعض أهل العلم يقولون: الصحيح أن الذي دنا في الآية هو جبريل، عليه السلام. ينظر: شرح النونية، لابن عيسى ١/ ٤١١، وشرح الطحاوية ص٢٧٦، وزاد المعاد، لابن القيم ٣/ ٣٨.

(٤) هو محمد بن عاصم الأنطاكي، ولم أجد له ترجمة.

(٥) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٢٧ .

إلى موسى لما كلمه من الشجرة، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[١] وقال في السورة الأخرى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾[٣]. فأخبر أنه ناداه من جانب الطور، وأنه قربه نجيا، وقال تعالى: ﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٤].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾[٥]: كان ذلك النار، قال الله من في النور، ونودي أن بورك من في النور.

(١) سورة النمل ٧-١٠.
(٢) سورة القصص ٢٨-٣٠.
(٣) سورة مريم ٥١-٥٢.
(٤) سورة النازعات ١٦.
(٥) سورة النمل ٨.

وقال أيضاً: يعني نفسه، قال: كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها [١]. ثم ذكر -رحمه الله- آثاراً من بعض التابعين تؤيد ذلك، ثم قال: وذكر أنه قربه نجيا، فناداه وناجاه، وذلك المنادي له والمناجي له هو الله رب العالمين لا غيره، ونداؤه ومناجاته قائمة به، ليس ذلك مخلوقاً منفصلاً عنه، كما يقوله من يقول: إن الله لا يقوم به كلام، بل كلامه منفصل عنه مخلوق، وهو -سبحانه وتعالى- ناداه، وناجاه ذلك الوقت، كما دلَّ عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول: لم يزل منادياً مناجياً له، ولكن ذلك الوقت خلق فيه إدراك النداء القديم الذي لم يزل ولا يزال. فهذان قولان مبتدعان لم يقل واحداً منهما أحد من السلف.

وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه؛ دلّ ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى -عليه السلام- مع أن هذا أقرب مما دون السماء [٢].

ويذكر بعض العلماء أن في قوله تعالى: ﴿ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] ما يفيد القرب إلى الله وجواره في الجنة [٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٨/ ١٠-١١، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٤٥، وتفسير مجاهد ٥١٦، وتفسير السيوطي ١١/ ٣٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٠-٤٦٤ بتصرف، وينظر في أقوال الأئمة في تقريب الله لموسى استدلالاً بقوله: **{وقربناه نجيا}**:إبطال التأويلات، لأبي يعلى ١/ ٢٣٠ (٢٢٣) والزهد، لهناد١/ ١١٨، ومختصر العلو ١٣٢، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) سورة الزمر ٥٦.

(٤) ينظر: تفسير ابن الجوزي ٧/ ١٩٢، تفسير الماوردي ٣/ ٤٧٣، تفسير العز بن عبد السلام ٥/ ٣٤٧، تفسير الشوكاني ٤/ ٤٥٤.

وتقدم أن من أنواع القرب: قرب الله إلى عبده بتقريبه له بفعل الطاعات، والتخلص من المعاصي والشوائب، وهذا الأمر جاءت به الآيات القرآنية، وقد تقدم بيانها [١].

المطلب الثاني: الأدلة من السنة.

١-قال أبو موسى الأشعري ﷺ: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا فقال: ((**اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً...**)) [٢] وبلفظ: ((**إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**)) [٣]. وبلفظ: ((**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**)) [٤].

قال ابن بطال [٥]: في هذا الحديث إثبات كونه سميعاً بصيراً قريباً يستلزم أن لا تصح أضداد هذه الصفات عليه [٦].

٢-قوله ﷺ: ((**يقول الله تعالى: .. وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت إليه باعاً...**)) [٧].

---

(١) ينظر: ص٢٦.
(٢) صحيح البخاري رقم ٧٣٨٦ ومعنى اربعوا: ارفقوا. الفتح ١٣/ ٣٧٤.
(٣) صحيح مسلم ٢٧٠٤ عن أبي موسى (٤٤).
(٤) صحيح مسلم ٢٧٠٤ (٤٦).
(٥) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، الشيخ العلامة أبو الحسن القرطبي المالكي المعروف بابن اللجام. توفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: السير ١٨/ ٤٧، والعبر ٣/ ٢١٩، والشذرات ٣/ ٢٨٣.
(٦) نقله الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٧٥.
(٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٠٥ و٧٥٠٥ و٧٥٣٧ ومسلم رقم ٢٦٨٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه الزيادة تكون على وجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاءً على تقربه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قرباً إليه حتى يكون المتقرب بذراع. فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به، وله المثل الأعلى، فهذا أيضاً لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محباً لما أحب الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه[1].

٣-قوله ﷺ: ((**أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الآخر**))[2].

قال العلامة الشيخ زيد بن فياض: فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة[3].

٤-أحاديث الدنو والهبوط والنزول لله ﷻ.

ففي صفة الدنو لله يقول ﷺ: ((**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة..**))[4].

(١) شرح حديث النزول ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٣٥٧٩ عن عمرو بن عبسة وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ١٥٤٤ بإسناد صحيح، وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل ٢٤٤ وابن خزيمة في صحيحه ١١٤٧ والطبراني في الدعاء ١٢٨ وصححه الحاكم ١/ ٤٥٣ ووافقه الذهبي. والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٨٣٣ .

(٣) الروضة الندية ص٢٢١.

(٤) صحيح مسلم ١٣٤٨ عن عائشة، رضي الله عنها.

وفي صفة الهبوط يقول ﷺ: ((**إن الله يمهل حتى يذهب ثلث الليل، ثم يهبط**))[١].

وفي صفة النزول يقول ﷺ: ((**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر**))[٢].

وقد استدل ابن تيمية بأحاديث الدنو والهبوط والنزول على إثبات صفة القرب لله[٣].

٥-قوله ﷺ: ((**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى**))[٤].

قال العلامة ابن رجب[٥]: هذا الحديث يدل على قرب الله تعالى من المصلي في حال صلاته، وقد تكاثرت النصوص بذلك، ثم ساق بعضها[٦].

(١) مسند أحمد ٢/ ٣٨٣ عن أبي هريرة بإسناد صحيح على شرط مسلم ونحوه في مسلم ٧٥٨ (١٧٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٩٤ ومسلم رقم ٧٥٨ .

(٣) نقض التأسيس ج٢، ق٧١ .

(٤) متفق عليه من حديث أنس وابن عمر. فأخرجه البخاري رقم ٤٠٥ و٤٠٦ ومسلم ٥٤٧ و٥٥١.

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود، الشيخ العلامة زين الدين أبو الفرج الحنبلي، ولد سنة ٧٣٦هـ وتوفي سنة ٧٩٥هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٢/ ٣٢١، والبدر الطالع ١/ ٣٢٨، والشذرات ٦/ ٣٣٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٧٤-٧٥.

(٦) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٥٧ .

قال العلامة زيد بن فياض: وفي الحديث دليل على قرب الله ﷻ من المصلي(١).

٦-أحاديث قرب بعض المخلوقات لله ﷻ، مثل قوله ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**))(٢). وقوله ﷺ: ((**يُؤتى بالمؤمن يوم القيامة، فيدنيه الله تعالى منه..**))(٣) قال أبو يعلى:(٤) فأما قوله: " يُدني عبده " فغير ممتنع حمله على ظاهره، وأنه دنو من ذاته، وقد نص أحمد على الأخذ بظاهره من غير تأويل، وإنما قال ذلك؛ لأنه ليس في حمله على ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نصفه بالانتقال من مكان إلى مكان، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ..** ﴾(٥)، وأن المراد بالدنو دنوه من الذات(٦).

٧-ومما روي في قرب الله ﷻ: ((**نزل الله من ابن آدم أربع منازل، هو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو يحول بين المرء وقلبه، وهو آخذ بناصية**

---

(١) الروضة الندية ص٢٠٦ .

(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٣٦-٢٣٧، والحديث تقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر، فأخرجه البخاري ٢٣٠٩ و٤٤٠٨ و٥٧٢٢ و٧٠٧٦ ومسلم ٢٧٦٨ .

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، الإمام شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى، ولد سنة ٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٥٨هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، والسير ١٨/ ٨٩، والوافي بالوفيات ٣/ ٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، والشذرات ٣/ ٣٠٦ .

(٥) سورة النجم ٨.

(٦) إبطال التأويلات ١/ ٢٢٧ .

كل دابة، وهو معهم أينما كانوا)) [١] وما روي في قصة أيوب -عليه السلام- أنه أظله غمام، ثم نودي : ((**يا أيوب ؟ أنا الله، أنا قد دنوت منك، أنزل منك قريباً**)) [٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ [٣]. فيستدل به بعض العلماء على إثبات القرب لله ﷻ، لكنهم يقولون: إنه قرب علم واطلاع وقدرة، قال شيخ المفسرين الطبري: معناه: أملك به وأقرب إليه في القدرة عليه، أو بالعلم بما توسوس به نفسه [٤]. وفسره الكلبي[٥] بالعلم والاطلاع[٦] وكذا ابن الجوزي[٧] رحمه الله[٨]،

---

(١) ذكره السيوطي في تفسيره ١٣/ ٦١٩ عن أبي سعيد مرفوعاً، وعزاه إلى ابن مردويه، ولم يتيسر لي الوقوف على إسناده.

(٢) ذكر الخبر الطبري في تفسيره ١٦/ ٣٤٧ والبغوي في تفسيره ٥/ ٣٤١ ونحوه في تاريخ الطبري ١/ ٣٢٢ وعرائس المجالس، للثعالبي ١٣٥ قال ابن تيمية: هو من الإسرائيليات من حديث وهب بن منبه، والإسرائيليات تذكر على وجه المتابعة لا على وجه الاعتماد عليها وحدها. شرح حديث النزول ص٩٧، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٤.

(٣) سورة ق١٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ٤٢٢ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الشيخ المفسر أبو القاسم الكلبي الغرناطي الشهير بابن جزي، ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: مقدمة تفسيره ٦/ د-ح، ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٢٥.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير الكلبي) ٤/ ١١٥ .

(٧) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، الشيخ العلامة جمال الدين أبو الفرج الشهير بابن الجوزي الحنبلي ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١، والكامل، لابن الأثير ١١/ ٦٧، والشذرات ٤/ ٣٢٩ .

(٨) تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) ٨/ ٩ .

والبغوي[١] رحمه الله، والماوردي[٢] رحمه الله [٣].

وروي تفسير القرب في الآية بالعلم عن الامام أحمد[٤]، وأبي يعلى[٥]، ومقاتل[٦]، والصرصري[٧]، رحمهم الله[٨] .

وبعض المفسرين يفسرون القرب في الآية بالقدرة والسلطان [٩].

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [١٠] قال ابن عباس: ملك الموت أدنى إليه من أهله [١١]. وقال الطبري: رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم [١٢].

---

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) ٧/ ٣٥٨.

(٢) هو علي بن محمد بن حبيب البصري، الشيخ العلامة، أبو الحسن الماوردي. ولد سنة ٣٦٤هـ وتوفي سنة ٤٥٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، وطبقات السبكي ٣/ ٣٠٣، والكامل ٩/ ٢٢٩، والشذرات ٣/ ٢٨٥ .

(٣) في تفسيره (النكت والعيون) ٤/ ٨٥ .

(٤) ينظر: الأربعين للذهبي ٦٥، ومختصر العلو ١٩٠، وشرح ابن عيسى، للنونية ١/ ٤٤٩ .

(٥) إبطال التأويلات ١/ ٢٢٩.

(٦) الأربعين ٦٤، ومختصر العلو ١٣٩، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٠ .

(٧) هو يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، الشيخ العلامة جمال الدين أبو زكريا الصرصري الشاعر المادح الحنبلي، صاحب الدواوين في مدح النبيﷺ . ولد سنة ٥٨٨هـ وقتل شهيداً في سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ بأيدي التتار. ينظر: البداية والنهاية ١٧/ ٣٧٧، والعبر ٥/ ٢٣٧، وفوات الوفيات ٤/ ٢٩٨، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٢٦٢ .

(٨) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ٣١٦ .

(٩) ينظر: تفسير الثعالبي ٤/ ١٩٦، وتفسير ابن عطية ١٣/ ٥٣٩-٥٤٠، وتفسير القرطبي١٩/ ٤١٦ تفسير الرازي ٢٨/ ١٦٢ .

(١٠) سورة الواقعة ٨٥.

(١١) تفسير ابن الجوزي ٨٧/ ١٥٥.

(١٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣ .

وبعض المفسرين يفسرون القرب في هذه الآية إما بالعلم والاطلاع، أو بقرب الملائكة، فإن عنى الله القرب بنفسه فقوله: ﴿ لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ رؤية قلبية، وإن عنى الملائكة؛ فهي رؤية عينية [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –في سياق كلامه على آية سورة {ق}– بعد بيانه أن مجموعة من أهل التفسير فسروا القرب في الآية بالعلم وبالقدرة ونحوها–: وهذه الأقوال ضعيفة، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء. وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية [2].

وقال ابن القيم –في سياق كلامه على آية ق–: هذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين، فقالت طائفة: نحن أقرب إليه بالعلم والقدرة والإحاطة، وعلى هذا فيكون المراد: قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به. والقول الثاني: أن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم، فيقول

(١) ينظر: التسهيل ٤/ ١٧١، وتفسير الثعالبي ٤/ ٢٥٨، وتفسير أبي السعود ٥/ ٢٦٨، وتفسير ابن عاشور ٢٧/ ٣٤٤، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٢٩، وتفسير الواحدي ٢/ ١٠٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤، وشرح حديث النزول ١٢١ .

الملك: نحن قتلناهم وهزمناهم. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (١) وجبريل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ . وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (٢) فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه، إذ هو بأمره، وهذا القول أصح من الأول لوجوه:

أحدهما: أنه سبحانه قيد القرب في الآية بالظرف، وهو قوله: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ فالعامل في الظرف ما في قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين، ولا كان في ذكر التقييد به فائدة. فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق.

الثاني: أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (٣) وقريب منه قوله تعالى في أول السورة: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ (٤) ونحو قوله: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ (٥).

---

(١) سورة القيامة ١٨.
(٢) سورة الأنفال ١٧.
(٣) سورة الزخرف ٨٠.
(٤) سورة ق ٤ .
(٥) سورة طه ٥٢.

الثالث: أن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصاً لا عاماً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجيء القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [١].

٤- ومن الأوجه التي تضعف تفسير القرب في الآية بالعلم أنه لا يجوز أن يراد به مجرد العلم، فإن من كان بالشيء أعلم من غيره، لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به، ولا لمجرد قدرته عليه. ثم إنه -سبحانه وتعالى- عالم بما يسر من القول وما يجهر به، وعالم بأعماله، فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه، فإن حبل الوريد قريب إلى القلب، ليس قريباً إلى قوله الظاهر، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه. قال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [٢] وقال: ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [٣]،[٤].

---

(١) سورة البقرة ١٨٦. ينظر: مختصر الصواعق ٤٥٨، وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/ ٢٣٦ و٥٠٥ وشرح حديث النزول ١٣١، والمدارج ٢/ ٢٩٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٢٤٥ وأقاويل الثقات، لمرعي الكرمي ١٠١.
(٢) سورة الملك ١٣-١٤ .
(٣) سورة طه ٧ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥٠٤، وشرح حديث النزول ١٢٨-١٢٩ .

٥- ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١)، فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما هو الآخر (٢).

وإذا تقرر أن القرب في الآية لا يصح أن يراد به العلم، فينبغي أن نوضح أنه لا يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص، كما في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ فإن ذاك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده، وهذا المحتضر قد يكون كافراً أو فاجراً أو مؤمناً أو مقرباً، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (٣). ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٤)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (٥)، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ

(١) سورة ق ١٦-١٧.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٠٤، شرح النزول ١٢٩ .
(٣) سورة الواقعة ٨٨-٩٤.
(٤) سورة النساء ٩٧.
(٥) سورة الأنفال ٥٠.

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[2][3].

(١) سورة الأنعام ٦١.
(٢) سورة السجدة ١١.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٥٠٦، شرح النزول ١٣٠ .

المبحث الثاني : كلام السلف في إثبات هذه الصفة .

أولاً: ما روي عن الصحابة، رضي الله عنهم :

١- قال عمر بن الخطاب ﷺ : إن ربكم أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد [١].

٢- وقال علي بن أبي طالب ﷺ : الحمد لله الذي دنا في علوه [٢].

٣- وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: دنا الله ﷻ [٣] .

٤- وقال معاوية بن أبي سفيان ﷺ : الحمد لله الذي دنا في علوه وعلا في دنوه [٤].

ثانياً: ما روي عن التابعين وأئمة السلف :

١- قال عمر بن عبد العزيز[٥]، رحمه الله: إن الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد. وكان مجاهد [٦] حاضراً يسمع، فأعجبه حسن كلام عمر [٧].

---

(١) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٦٠ وقال: وخرجه أبو نعيم، وعنده أن القائل ابن عمر.
(٢) الرد على الجهمية، للدارمي ص٢٧٧، ضمن عقائد السلف بجمع النشار.
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤، ومعجم الطبراني الكبير ١١٣٢٨، وتفسير السيوطي ٦/ ١٢٣، ومختصر العلو ١٢٠، قال الحافظ في الفتح: ١٣/ ٤٨٤: إسناده إلى ابن عباس حسن.
(٤) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان ص٥٤٠.
(٥) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الزاهد الراشد، ولد سنة ٦١هـ، ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ وتوفي سنة ١٠١هـ. ينظر: السير ٥/ ١١٤، والحلية ٥/ ٢٥٣، وتاريخ الطبري ٦/ ٥٦٥، والشذرات ١/ ١١٩.
(٦) هو مجاهد بن جبر، الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب. توفي سنة ١٠٢هـ وقيل ١٠٣ وقيل ١٠٤هـ. ينظر: السير ٤/ ٤٤٩، والحلية ٣/ ٢٧٩، والعبر ١/ ١٢٥، والشذرات ١/ ١٢٥ .
(٧) فتح الباري، لابن رجب ٣/ ١٦٠ .

٢- قال الحسن البصري، رحمه الله: ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل..[١] ونُقل عن الحسن في رواية عنه أن الذي دنا في آية النجم هو الله ﷻ[٢].

٣و٤- عطاء[٣] وعكرمة[٤]: قالا: إن الذي دنا في الآية هو الله ﷻ[٥].

٥- الإمام مالك[٦] -رحمه الله- قال -في عقيدته-: خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[٧].

٦- الإمام الشافعي[١] -رحمه الله- قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم...

---

(١) إثبات العلو، لابن قدامة ١١١-١١٢، واجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٢، والعلو للذهبي ٩٣ وقال: إسناده حسن.

(٢) إبطال التأويلات ١/ ١٢٤.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح، الإمام مفتي الحرم أبو محمد، ولد في أثناء خلافة عثمان، وتوفي سنة ١١٤هـ وقيل ١١٥هـ. ينظر: السير ٥/ ٧٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٦١، والعبر ١/ ١٤١، والشذرات ١/ ١٤٧.

(٤) هو عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله القرشي الحافظ المفسر، من أعلم الناس بالتفسير، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر: السير ٥/ ١٢، والحلية ٣/ ٣٢٦، والعبر ١/ ١٣١، والشذرات ١/ ١٣٠.

(٥) إبطال التأويلات ١/ ١٢٤.

(٦) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله الأصبحي، ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: السير ٨/ ٤٣، والحلية ٦/ ٣١٦، ووفيات الأعيان ٤/ ١٣٥، والشذرات ٢/ ١٢.

(٧) ينظر: شرح عقيدة أهل السنة على مذهب مالك. د. محمد الخميس ص٢٠-٢١.

الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً ﷺ رسوله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف يشاء [٢].

٧- الإمام ابن سريج[٣] قال –في بيان عقيدته-: يجب على المرء المسلم الموقن الإيمان بكل ما نطق به القرآن في الصفات، كالفوقية و.. والقرب والبعد [٤].

٨- الأشعري –رحمه الله– قال: ونقول: إن الله ﷻ يقرب من عباده كيف يشاء، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، وكما قال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٥].

٩- الإمام حماد بن زيد[١]، قال: الله يقرب من خلقه كيف يشاء [٢]. وبلفظ: يدنو من خلقه كيف يشاء [٣].

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، الإمام الشافعي، أبو عبد الله القرشي. ولد سنة ١٥٠هـ. وتوفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: السير ١٠/ ٥، والحلية ٩/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، والشذرات ٢/ ٩.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥، وإثبات صفة العلو ١٢٤، ومختصر العلو ١٧٦، ومجموع الفتاوى ٤/ ١٨٢-١٨٣، وشرح ابن عيسى، للنونية ١/ ٤٤٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سريج الإمام أبو العباس الشافعي. ولد سنة بضع وأربعين ومائتين وتوفي سنة ٣٠٦هـ. ينظر: السير ١٤/ ٢٠١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٠، وطبقات السبكي ٣/ ٢١، والشذرات ٢/ ٢٤٧.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧١ بتصرف، والعلو ١٥٢-١٥٣، والفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لابن معمر ص١٧٠.

(٥) سورة النجم ٨-٩. ينظر: الإبانة ص١١. وينظر: مختصر العلو ٢٤٢، اجتماع الجيوش الإسلامية ٢٩٣، نقض التأسيس لابن تيمية ٢/ ق ١٨٤ .

١٠- الإمام إسحاق بن راهويه قال: -عندما سئل عن قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (٤): حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه (٥).

١١- العلامة زكريا الساجي(٦) قال: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء (٧).

١٢- الإمام شقيق بن سلمة(٨) . فقد سُئل عن قرب الله من خلقه، فقال: نعم، يقول تعالى: " ابن آدم ادن مني شبراً أدنُ منك ذراعاً، ادنُ مني ذراعاً أدنُ منك باعاً.. " (٩).

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم، العلامة المحدث، أبو إسماعيل أحد الأعلام، توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: السير ٧/ ٤٥٦، والحلية ٦٠/ ٢٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٨، والشذرات ١/ ٢٩٢.

(٢) نقض التأسيس ٢/ ق١٨٥، ولوائح الأنوار السنية، للسفاريني ١/ ٣٢٤، واللوامع ١/ ٤٣.

(٣) شرح لامية ابن تيمية، للمرداوي ص٦٢.

(٤) سورة المجادلة ٧.

(٥) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٢٦، وإثبات الحد، للدشتي ق١٠/ ب، ومختصر العلو ١٩١.

(٦) هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الضبي، أبو يحيى البصري الساجي، ولد سنة ٢٢٠هـ وتوفي سنة ٣٠٧هـ. ينظر: السير ١٤/ ١٩٧، والعبر ٢/ ١٣٤، وطبقات السبكي ٣/ ٢٩٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٨١٣ .

(٧) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤٥-٢٤٦، ومختصر العلو ٢٢٣.

(٨) هو شقيق بن سلمة، شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي، من المخضرمين أدرك النبي ﷺ ولم يره. توفي سنة ٨٢هـ. ينظر: السير ٤/ ١٦١، والحلية ٤/ ١٠١، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٦٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٦.

(٩) الحديث عن أبي هريرة، تقدم تخريجه، وقول شقيق في السير ٤/ ١٦٤، والحلية ٤/ ١٠١ .

١٣- الحسن بن حامد[١] قال: يجب الإيمان بما ورد من قرب الحق[٢].

١٤- النووي[٣] قال: إن الله يقرب من عباده كيف يشاء، لقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وأشباه ذلك من آيات الصفات، ولا نتأولها ولا نكشف عنها، بل نكف عن ذلك كما كف عنه السلف الصالح[٤].

١٥- ابن رجب الحنبلي قال: ليس قرب الله كقرب الخلق المعهود منهم، إنما هو قرب ليس يشبهه قرب المخلوقين، كما أن الموصوف به ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير[٥].

---

(١) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان، شيخ الحنابلة ومفتيهم، أبو عبد الله الوراق البغدادي، مصنف كتاب الجامع في عشرين مجلداً في الاختلاف. توفي شهيداً سنة ٤٠٣هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٠٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٧١، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٠٣، والشذرات ٣/ ١٦٦.

(٢) ينظر: دفع شبه التشبيه، لابن الجوزي ٢٤٥.

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، الشيخ العلامة محيي الدين، أبو زكريا النووي الشافعي. ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ٢٥٠، وطبقات السبكي ٥/ ١٦٧، والشذرات ٥/ ٣٥٤، ومعجم المؤلفين ٤/ ٩٨.

(٤) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ص٦٨. والملاحظ هنا أن النووي -رحمه الله- أوّل صفة القرب بالمكانة والمنزلة من الله، وقال: إنها مجاز عن الثواب. كما في شرحه لمسلم ٩/ ٢٧-٢٨، بينما في هذا الكتاب يقرر مذهب السلف في القرب، إضافة إلى أن النووي قرر في هذا الكتاب مذهب أهل السنة في صفة الكلام، ورد على الأشاعرة وبيّن تناقضهم، وأن كلامهم بارد ركيك، ص٣٩. وقد ألف النووي هذا الكتاب في ٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ أي قبل وفاته بشهرين، مما يظهر لنا أنه عاد عن مذهب الأشاعرة إلى مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله وتوفيقه.

(٥) فتح الباري ٣/ ١٦٠.

١٦- شيخ الإسلام ابن تيمية قال: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وقوله ﷺ: ((**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)). وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكره من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته، وهو علي في دنوه قريب في علوه [1].

١٧- الإمام ابن القيم. له تقريرات كثيرة في إثبات قرب الله وأنواعه [2].

---

(١) العقيدة الواسطية بشرح الفياض ص٢٧٤، وبشرح الهراس ٢٦٩. وينظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٠.

(٢) ينظر: المدارج ٢/ ٢٦٥ و٢٩٠، ومختصر الصواعق ٤٥٨.

وينبغي هنا أن أشير إلى جملة وردت في مختصر الصواعق لابن الموصلي، وهي: فهو -أي الله ﷻ- قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، ص٤٦٠. والإشكال عندي في لفظة (بذاته) حيث أشك في كون هذه الكلمة من كلام ابن القيم، بل يظهر أنها من تصرف الشيخ محمد الموصلي؛ لأنها تعارض كلام ابن القيم في كتابه الآخر التفسير قال: الرب -تبارك وتعالى- قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، وقربه يستلزم قرب رحمته، ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة، وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين: قربه، وقرب رحمته. ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه -تعالى- أخص من قرب رحمته... نقله الشيخ على الحواس في كتاب النقول الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية ص٦٥ ثم قال: فهذا كلام ابن القيم -رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة، وهي قوله -تعالى-: { إنَّ رحمةَ الله قريب منَ المحسنين } واضح جلي لا يحتمل التأويل في أنه لم يقل: قريب من المحسنين بذاته. وإنما قال: قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، ولم يتطرق إلى لفظ الذات ألبته، ص٦٦. ثم قال: لو كان ثابتاً ما عُزي لابن القيم لما غفل عنه، وترك ذكره في جميع مؤلفاته، ولذكر ذلك ولو في بعضها عدا مختصر الصواعق لابن الموصلي. ولو فرض أن ما عُزي إلى ابن القيم قول ثابت، فإن ابن القيم

١٨- صديق حسن خان [١] قال: ومما نطق بها القرآن، وصح بها النقل من الصفات... وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء [٢].

-رحمه الله تعالى- مجتهد، وهو من أهل الاجتهاد؛ لأن شروط المجتهد متوفرة فيه -رحمه الله- والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وخطؤه مغفور، لكن المجتهد إذا أخطأ فإنه لا يتابع على خطئه. والدليل على أنه مجتهد فيما عُزي إليه -إن ثبت ذلك عنه- أنه قال في مختصر الصواعق لمحمد بن الموصلي: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين؛ فهو قريب سبحانه منهم قطعاً. إلى أن قال: فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير... فقوله: والذي عندي. دليل واضح على أن هذا القول اجتهاد منه -رحمة الله- لم يستند فيه إلى قول أحد ممن سبقه من الأئمة الأعلام لا من قبله ولا في زمنه حتى ولا من شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، -رحمه الله تعالى- ص٧٠-٧١.

وقد استدل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- بهذه العبارة التي وردت في مختصر الصواعق على أن المعية لله حقيقية ذاتية تليق به وذلك في مقال كتبه بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٤٠٣هـ وتعقبه الشيخ علي بن عبد الله الحواس في كتابه: النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية. وتعقبه كذلك الشيخ حمود بن عبد الله التويجري بكتاب: إثبات علو الله ومباينته لخلقه، والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية. ثم كتب العلامة ابن عثيمين تنبيهاً يقتضي موافقته للسلف في هذا الأمر. ينظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين ص٦٣-٦٤. وقد قرأ العلامة ابن عثيمين كتاب حمود التويجري، وقال: كل ما قرره فهو حق. فيتضح بذلك أن العلامة ابن عثيمين على مذهب السلف الصالح في ذلك، والله أعلم.

(١) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب الهندي. عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١٢٤٨هـ وتوفي سنة ١٣٠٧هـ. ينظر هدية العارفين ٢/ ٣٨٨، والأعلام ٧/ ٣٦، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٥٨ .

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص٦٥ .

الفصل الثالث :

علاقة صفة القرب ببعض الصفات وآثار الإيمان بهذه الصفة

المبحث الأول: علاقة صفة القرب ببعض الصفات .

صفة القرب لله من الصفات الاختيارية الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وهذه الصفة لها تعلق ببعض الصفات الأخرى لله كعلو الله، واستوائه على العرش، ومعيته، ونزوله، ونحو ذلك.

المطلب الأول: علاقة القرب بالعلو والاستواء على العرش.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله فوق سمواته مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما علم العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به، وقصدهم إياه، سبحانه وتعالى[1].

وأهل السنة يثبتون لله العلو المطلق من جميع الوجوه :

١- علو الذات، وهو كونه فوق جميع المخلوقات، مستوياً على عرشه.

٢- علو القدر؛ إذ له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها.

٣- علو القهر، فهو القاهر فوق عباده.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٢٩٧.

والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة الدالة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً[١].

وقد جاء إثبات صفة العلو لله تعالى في كتابه على وجوه عديدة، وأفراد هذه الأدلة كثيرة جداً، حتى قال بعض أصحاب الإمام الشافعي: إن في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده[٢].

والعلو صفة ذاتية لله ﷻ، لا تنفك عن ذاته، بل هي لازمة له أزلاً وأبداً، والقرب -كما تقدم- صفة فعلية أو اختيارية، متعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها.

ويقرر أهل السنة أن الله -سبحانه وتعالى- يقرب، ويدنو من عباده " مع كونه فوق عرشه، قال ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)) فهذا قرب الساجد من ربه، وهو فوق عرشه .

وكذلك قوله في الحديث الصحيح: ((**إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)) فهذا قربه من داعيه، والأول قربه من عابديه، ولم يناقض ذلك كونه فوق سمواته على عرشه.

---

(١) شرح الطحاوية ص٣٨٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١٢١ ولمزيد تفصيل في ذكر الأدلة على علو الله على خلقه ينظر: شرح الطحاوية ص٣٨١ وما بعدها، ومختصر الصواعق ٢/ ٢٠٥-٢١٧، والتوحيد، لابن خزيمة ١/ ٢٣١، والكتب المفردة في الموضوع، مثل: العلو للعلي الغفار، للذهبي. وإثبات علو الله، لابن قدامة. واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم. وعلو الله على خلقه، للدكتور موسى الدرويش.

وإن عسر على فهمك اجتماع الأمرين، فإنه يوضح ذلك معرفة إحاطة الرب وسعته، وأنه أكبر من كل شيء، وأن السموات السبع والأرضين في يده كخردلة في كف العبد، وأنه يقبض سمواته السبع بيده والأرضين باليد الأخرى، ثم يهزهن، فمن هذا شأنه كيف يعسر عليه الدنو ممن يريد الدنو منه، وهو على عرشه؟ وهو يوجب لك فهم اسمه الظاهر والباطن، وتعلم أن التفسير الذي فسر رسول الله ﷺ به هذين الاسمين هو تفسير الحق المطابق لكونه بكل شيء محيط، وكونه فوق كل شيء "[1].

ويؤكد أهل السنة على أن الله يقرب من بعض عباده قرباً يليق به، ولا يلزم منه الملاصقة والمخالطة، فهو ﷻ يقرب إلى بعض عباده، وهو فوق عرشه؛ إذ لا يكون الرب إلا فوق العرش، ففوقيته وعلوه من لوازم ذاته، ولا تناقض بين نزوله ودنوه وهبوطه ومجيئه وإتيانه وعلوه، لإحاطته، وسعته، وعظمته، وأن السموات والأرض في قبضته، وأنه مع كونه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، فهو الباطن الذي ليس دونه شيء، فظهوره بالمعنى الذي فسره به أعلم الخلق لا يناقض بطونه بالمعنى الذي فسره به أيضاً[2].

---

(١) من كلام ابن القيم في "مختصر الصواعق" ٢/ ٤٢٨ .

(٢) مختصر الصواعق ٢/ ٤٢٨.

يتلخص من ذلك أن " كل ما في الكتاب والسنة من الأدلة على قربه ومعيته، لاينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته، وهو عليّ في دنوّه، قريب في علوّه "(١).

كما يقرر الأئمة أن من يثبت علو الله ﷻ على خلقه، فهو يقول بقرب العباد إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكل من استدل على أنه -تعالى- فوق العرش بالنصوص المتضمنة لذكر العلو إليه، مثل قوله -تعالى-: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾(٢) وقوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٣) وقوله: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾(٤) وغير ذلك فإنه يقول: إنه يتقرب إليه، وكذلك أثبت أن يكون عبده يلقاه، أو يكون بينه وبين خلقه حجاب ونحو ذلك، فإنه يقول: إنه يتقرب إليه. وفي القرآن مما فيه وصف ذهاب بعض الأشياء إلى نفسه، أو صعودها إليه، أو نزولها من عنده، وما يشبه ذلك نحو خمسمائة آية أو أكثر، وكل ذلك يدل على جواز التقرب إليه... ومن نفى أحدهما نفى الآخر، ومن أثبت أحدهما أثبت الآخر(٥)، فإنه إذا

---

(١) من "قطف الثمر" لصديق حسن خان ص٥١ وينظر: شرح الواسطية، لهراس ٢٣٠، وشرح الفياض، للواسطية ٢٧٤، والفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٦٣، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ ابن باز ٢/ ٩٠ .

(٢) سورة فاطر ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ٥٥.

(٤) سورة المعارج ٤.

(٥) نقض التأسيس ج٢ ق١٧٤-١٧٥ .

كان فوق العرش أمكن القرب إليه، وكان علوه دليلاً على إمكان القرب منه [١]، كما بيّن -رحمه الله- أن الصعود إلى الله ﷻ نوع من القرب[٢].

كما يثبت أهل السنة صفة الاستواء لله على عرشه، كما أثبته الله لنفسه في كتابه فقال: ﴿ **ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ** ﴾ [٣]، وقال: ﴿ **ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ** ﴾ [٤] وقال ﷺ : ((**يا أبا هريرة إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**)) [٥] وقال ﷺ : ((**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**)) [٦].

" وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل" [٧]. ولم يخالف فيه إلا من هو متهم على الإسلام، أو مغرور بالتقليد لمن يحسن به الظن [٨].

---

(١) نقض التأسيس ج٢ ق١٨١.

(٢) المصدر السابق ج٢ ق١٨١.

(٣) سورة طه ٥.

(٤) سورة الأعراف ٥٤ ، يونس ٣ ، الرعد ٢ ، الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤ ، الحديد ٤ .

(٥) أخرجه النسائي في التفسير ٤١٢ وحسن إسناده العلامة الألباني في مختصر العلو ص١١١-١١٢ رقم ٧١.

(٦) صحيح البخاري عن أبي هريرة رقم ٧٤٢٢.

(٧) من كلام العلامة محمد بن عثيمين في كتابه "شرح لمعة الاعتقاد: لابن قدامة ص٣٦ . وينظر: في أقوال السلف: مختصر العلو، واجتماع الجيوش الإسلامية، وشرح أصول الاعتقاد، للالكائي ٢/ ٢١٦ و٣/ ٣٨٧، والفواكه العذاب ص٥٥، ودقائق التفسير، لابن تيمية ٥/ ٢٣٧ و٦/ ٤٣٦ .

(٨) ينظر: شرح كتاب التوحيد من البخاري، للشيخ عبد الله الغنيمان ١/ ٤٠٧ .

ولصفة الاستواء مناسبة مع صفة العلو، وذلك أن الاستواء علو خاص بالعرش، وأما العلو فهو علو الله العام على جميع المخلوقات [١]، ولهذا تجد أن الذين ينفون علو الله العام على جميع خلقه ينفون كذلك علوه الخاص على العرش، لكن العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند أئمة المثبتة، وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل [٢].

ومعنى الاستواء: العلو والارتفاع والاستقرار والصعود، قال ابن القيم:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذا ... ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... . [٣].

وتقدم أنه ليس في إثبات علو الله وفوقيته ما يناقض قربه من عباده، فقد أخبر النبي ﷺ أن الله هو الظاهر فليس فوقه شيء، وأخبر أن الذي يدعونه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به، أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمواته، على

(١) ينظر: شرح كتاب التوحيد من البخاري للعلامة ابن عثيمين ص١٠٣، ١١٦.
(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧، منهج ابن حجر في العقيدة لمحمد كندو ٢/ ٧٥٢.
(٣) نونية ابن القيم ١/ ٢١٥ (بشرح الهراس).

عرشه، مطلع على خلقه، يرى أعمالهم، ويعلم ما في بطونهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده والأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه، ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو على العرش ؟.(١)

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن كون الله على عرشه، وما ورد من قربه ؟ فجاء الجواب: يجب اعتقاد أن الله تعالى فوق عرشه؛ لقوله تعالى: ﴿ **ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ** ﴾ وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾(٢) وذلك بعلمه وبملائكته، وهو سبحانه فوق عرشه، منزّه عن مخالطة خلقه(٣).

المطلب الثاني: علاقة القرب بالمعية .

صفة المعية ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب قوله –تعالى-: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾(٤)، وقوله : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي**

---

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٤٦٠ وينظر: الروضة الندية ٢١٦.
(٢) سورة ق ١٦-١٧.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع أحمد الدويش ٣/ ٢٠٢-٢٠٣ رقم ٧٤٠٥.
(٤) سورة الحديد ٤.

ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾(١).

ومن السنة قوله –تعالى– في الحديث القدسي: ((**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**))(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأجمع سلف الأمة على أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليّ على خلقه، وهو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون(٣).

ويعتقد أهل السنة أن الله معنا حقيقة، وأنه فوق سمواته حقيقة، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وهذه المعية لا تقتضي الممازجة ولا المخالطة، فإن الله تعالى بائن من مخلوقاته، وهم منه بائنون (٤)، وعلوه ﷻ لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق، ولذلك جمع بينهما في آية واحدة، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٥).

والمعية عند السلف معيتان: معية عامة تقتضي العلم والإحاطة، ومعية خاصة تقتضي النصر والتأييد.

---

(١) سورة المجادلة ٧.
(٢) صحيح البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ عن أبي هريرة.
(٣) الواسطية بشرح الفياض ص٢٧٣، القواعد المثلى لابن عثيمين ص٩٥.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٤٢ و٥/ ١٠٣ .
(٥) سورة الحديد ٤.

فالأولى كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾.

والثانية كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١).

فالله تعالى مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم –وهو أنبياؤه وأولياؤه– بالإعانة والنصر والتأييد (٢).

والفرق بين المعيتين أن المعية العامة من مقتضاها العلم والإحاطة والاطلاع على جميع الخلق، وأما الخاصة، فمن مقتضاها النصرة، والتأييد، والحفظ، والعناية، والتوفيق، والتسديد.

والمعية العامة من الصفات الذاتية، وأما الخاصة فمن الصفات الفعلية.

والمعية العامة تأتي في سياق التخويف والمحاسبة على الأعمال والحث على المراقبة، والخاصة تأتي مرتبة على الاتصاف بالأوصاف الجميلة والأخلاق الحميدة(٣).

أما الفرق بين المعية والقرب فيوضح ذلك الآتي:

القرب ورد خاصاً لا عاماً، وهو: قرب من الداعي بالإجابة، ومن المطيع بالإثابة، وقرب خاص يليق بالله لبعض العباد، ولم يجئ القرب كما

(١) سورة النحل ١٢٨.

(٢) ينظر: فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧ و٤٩٧، ومختصر العلو ١٣٣، ومختصر الصواعق ٢/ ٤٥٣–٤٥٧، وشرح الواسطية، للهراس ١٧٩–١٨٠.

(٣) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان ص٣٦٢.

جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أنه قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر، وإنما جاء خاصاً، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ**﴾ (١).

ومن العلماء من يجعل القرب كالمعية، مثل العلامة ابن رجب (٢)، والأظهر أن صفة المعية أعم، وصفة القرب أخص، وقد جعلها ابن القيم أحد أنواع المعية، فقال: المعية نوعان: عامة، وهي معية علم وإحاطة، وخاصة وهي معية القرب (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجميع ما وصف به الرب ﷻ نفسه من القرب؛ فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص. وأما قربه ما يقرب منه؛ فهو خاص لمن يقرب منه، كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة، ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج (٤).

وبيّن -رحمه الله- أن بعض الناس لما ظنوا أن الله يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية (٥). فليس لفظ القرب في الكتاب والسنة

---

(١) سورة البقرة ١٨٦. وينظر: الروضة الندية ص٢١٦.
(٢) فتح الباري ٣/ ١٦٠.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٥.
(٤) شرح حديث النزول ص١٠٩.
(٥) المصدر السابق ص١٢١، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤ .

على جهة العموم كلفظ المعية، ولا لفظ التقريب في اللغة والقراءة كلفظ المعية [١].

ومما يؤكد التفريق بين القرب والمعية قوله ﷺ في الصحيح: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم... إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم " قال القرطبي[٢]: فهذه معية وقرب [٣]. وقال النووي: فالله سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة [٤].

فأثبت النبي ﷺ في الحديث صفة القرب، ثم أثبت صفة المعية، مما يدل على أن هناك فرقاً بينهما، ولو كان القرب بمعنى المعية، لكان قوله ﷺ : ((**وهو معكم**)) تكراراً لا داعي له، والعياذ بالله. والله أعلم.

المطلب الثالث : علاقة القرب بالنزول .

يعتقد أهل السنة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، وهي صفة فعلية خبرية ثابتة لله ﷻ بالسنة الصحيحة، قال ﷺ : ((**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر..**)) [٥] وقال:

(١) شرح حديث النزول ١٢٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٧٨ و٤٩٩ .

(٢) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الشيخ العلامة، أبو العباس القرطبي المالكي، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: البداية والنهاية ١٧/ ٣٨١، وحسن المحاضرة، للسيوطي ١/ ٢٦٠، والشذرات ٥/ ٢٧٣، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٧/ ٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩/ ٢٧.

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري رقم ٧٤٩٤ ومسلم رقم ٧٥٨.

((.. فإذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله تعالى إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر))[١].

قال الدارمي – بعد ذكره أحاديث النزول- : فهذه الأحاديث قد جاءت كلها، وأكثر منها في نزول الرب -تبارك وتعالى- في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها[٢].

وقال الإمام الصابوني[٣]: ويثبت أهل الحديث نزول الرب -سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره[٤].

وقد تقدم بيان أن السلف على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه العرش[٥]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –في معرض رده على

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٢٠ عن أبي هريرة، وعن علي بن أبي طالب بإسناد حسن والدارمي ١٤٨٥ والبزار ٤٧٧ و٤٧٨ والطبراني في الأوسط ١٢٦٠.

(٢) الرد على الجهمية ص٧٩.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، الإمام أبو عثمان الصابوني، عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد سنة ٣٧٣هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: السير ١٨/ ٤٠، وطبقات السبكي ٣/ ١١٧، والشذرات ٣/ ٢٨٢.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٤٦ وينظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٩، وشرح أصول الاعتقاد ٣/ ٤٣٤، والتبصير في معالم الدين، للطبري ١٣٢، وأصول السنة، لابن أبي زمنين ص١١٠.

(٥) ينظر: إبطال التأويلات ص٢٦١ وينظر ص: ١٩.

المخالفين في صفة النزول-: فإن قال القائل: هو قادر على ما يشاء، قيل: فقل: هو قادر على أن ينزل -سبحانه وتعالى- وهو فوق عرشه [١].

وقال ابن القيم: إن للروح شأناً آخر غير شأن البدن، وهذا جبريل -صلوات الله وسلامه عليه- رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح، منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب [٢]، وكان يدنو من النبي ﷺ حتى يضع ركبتيه إلى ركبتيه، ويديه على فخذيه، وما أظنك يتسع بطانك [٣] أنه كان حينئذٍ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو بمستقره، وقد دنا من النبي ﷺ هذا الدنو، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له، وأُهلت لمعرفته، ومن لم يتسع بطانه لهذا؛ فهو ضيق أن يتسع للإيمان بالنزول الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة، وهو فوق سمواته على عرشه، ليس فوقه شيء ألبته، بل هو العالي على كل شيء، وعلوه من لوازم ذاته، وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل الموقف، وكذا مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه وإشراق الأرض بنوره، وكذلك كل ما ورد من هذا الباب فهو حق وصدق، وهو فوق سمواته على عرشه [٤].

---

(١) شرح حديث النزول ص١١٣ .
(٢) ينظر: صحيح البخاري ٣٣٣٢ و٤٨٥٦ ومسلم رقم ١٧٤ .
(٣) البطان: حزام يشد على البطن، يقال: فلان عريض البطان: أي رخي البال، والمعنى: ما يتسع صدرك لمثل هذا الكلام. وينظر في معنى كلمة بطان من كتب اللغة: العين ١/ ١٧٢-١٧٣، وتهذيب اللغة ١٣/ ٣٧٦، والقاموس المحيط، مادة "بطن".
(٤) الروح ص١٤٠-١٤١ ونقله السفاريني في اللوائح ١/ ٣٤٢-٣٤٣ .

وصفة النزول نوع من أنواع القرب من الله لبعض عباده، قال العلامة ابن رجب: وهكذا القول في أحاديث النزول إلى سماء الدنيا، فإنه من نوع قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه (١).

ومن ينكر صفة النزول ينكر صفة القرب لله تعالى لمن يشاء من خلقه، وهم من ينكر قيام الفعل الاختياري بذات الرب تعالى.

والقرب في لغة العرب أعم من النزول، فيصح أن يقال لمن نزل: إنه قرب، لا العكس، والفرق واضح في اللغة، فقد يقرب الرب -جل وعلا- من شيء من مخلوقاته، ولا ينزل إلى ذلك الشيء، كقربه من الداعي والساجد مثلاً، لكنه -جلَّ وعلا- إذا نزل إلى شيء كنزوله إلى السماء الدنيا؛ فقد قرب من أهل الأرض؛ لأن النزول يتضمن القرب؛ ولذلك جاء في حديث النزول من حديث عمرو بن عبسة الصحيح مرفوعاً: " أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر " وجاء الحديث بلفظ الدنو؛ لأنه وقت النزول الإلهي، ولما سُئل حماد بن زيد عن حديث النزول قال: هو في مكانه يقرب ممّن شاء من خلقه. فجعل الإجابة عامة في جميع أنواع القرب، وتضمّنت الإجابة: الإجابة على السؤال؛ لأن النزول من أنواع القرب، وبهذا يتبين أن بين النزول والقرب عموماً وخصوصاً مطلق.

(١) فتح الباري ٣/ ١٦٠ .

ومما يوضح الفرق في اللغة بين النزول والقرب، أن المخلوق قد يقرب من مخلوق آخر، ويكون ذلك المخلوق الآخر فوقه، كمن يقرب من شخص في أعلى الجبل، فلا يقال: نزل إليه، بل صعد إليه، بخلاف العكس، فكل من نزل إلى شيء قرب منه وممن دونه .

لكن قرب الرب -جلَّ وعلا- لا يكون إلا من علو؛ لأنه -جلَّ وعلا- فوق كل شيء، فلا يقرب -جلَّ وعلا- من شيء من مخلوقاته إلا من علو، بخلاف المخلوق، وهذا -والله أعلم- الذي حمل ابن القيم أن يقول عن دنوه -جلَّ وعلا- وقربه من موسى لما كلّمه من الشجرة: نزل إلى الشجرة التي كلم موسى منها [1].

إلا أن الصحيح في مثل هذا -والله تعالى أعلم- أن يقتصر على ألفاظ النصوص، فإن فيها ذكر القرب من موسى، وهو الدنو، لا النزول، وهناك فرق بينهما، فهو -جلَّ وعلا- قرب من موسى، وإن كان ذلك القرب دون السماء الدنيا.

ومما يوضح الفرق بين القرب والنزول في مثل هذا ما تقدم مما نقله ابن تيمية عن وهب بن منبه أن أيوب -عليه السلام- أظلّه الغمام، ثم نودي: " يا أيوب أنا الله، أنا قد دنوت منك، أنزل منك قريباً " [2]. لكن هذه الإسرائيليات إنما تذكر على وجه المتابعة لا الاعتماد عليها وحدها.

---

(١) شفاء العليل ص٨٨ .

(٢) تقدم تخريجه ص: ٤١.

والقرب –كما تقدم– ليس هو المعية، " وإذا قرب الرب تعالى من شيء، فقد يكون معه المعية الخاصة والعامة؛ لأنه –جلّ وعلا– إنما يقرب من المحسن والعابد والداعي والساجد، وذلك إحسان لهم وإكرام، وعناية خاصة بهم بسبب إحسانهم، وهذا من أنواع المعية الخاصة، وقد تنتفي المعية الخاصة عن بعض من يقرب الرب تعالى منهم، كقربه كل ليلة إلى السماء الدنيا، إذا جعلنا النزول عاماً، وليس خاصاً بمن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت دون غير العابد، وقد توجد المعية الخاصة، ولا توجد صفة القرب، فالقرب لغة واصطلاحاً غير المعية، والله أعلم "[١].

(١) من كتاب "صفة النزول الإلهي" لعبد القادر الغامدي ص١٨٧-١٨٩.

المبحث الثاني :

آثار الإيمان بصفة القرب .

مما ينبغي أن يعلم أن العلم بأسماء الله وصفاته ﷻ ، والإيمان بها على ما يليق به سبحانه، وتدبرها يورث ثمرات عظيمة، وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وقد حرمها قوم كثيرون من المعطلة والمؤولة والمشبهة.

وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات، التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم العفو الغفور عن اسمه المنتقم، ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (١). والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل

(١) سورة الأعراف ١٨٠ .

عليم، جواد يحب كل جواد، جميل يحب الجمال، عفو يحب العفو وأهله، حييّ يحب الحياء وأهله، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين.

والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها، ويحب من يعرفها، ويعقلها، ويثني عليه بها، ويحمده، ويمدحه بها، كما في الصحيح " لا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه.. "[1].

ومن الصفات الاختيارية لله ﷻ ما تقدم الكلام فيها، وهي صفة القرب، فإن الإيمان بهذه الصفة الجليلة العظيمة يورث العبد المسلم آثاراً عظيمة، ومنها:

أولاً: الاعتقاد بأن الله منزّه عن الحلول بالمخلوقات، وأنه فوق كل شيء، مطّلع على كل شيء، بائن عن خلقه، مستوٍ على عرشه، وهو قريب من بعض عباده، فإذا احتاج العبد إلى ربّه؛ وجده قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه، وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل، كما يليق به سبحانه، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، فيورث ذلك حرصاً

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فأخرجه البخاري رقم ٤٦٣٤ ومسلم ٢٧٦٠ وينظر: معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى، للتميمي ص٣٧٤-٣٧٥.

*تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيّداً كقوله تعالى: { **إنّا من المجرمين منتقمون** } سورة السجدة ٢٢. وقوله تعالى: { **والله عزيز ذو انتقام** } سورة المائدة ٩٥. والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم، ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ. مجموع الفتاوى ٨/ ٩٦.

عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه، فهو سبحانه قريب في علوه بعيد في دنوه (١).

ثانياً: الإيمان بهذه الصفة يثمر التعبد باسمه القريب؛ فإنه من أسماء الله الحسنى، كما عدّه كثير من العلماء (٢).

وعند من يقرر أن الباطن يدل على القرب، فيكون التعبد باسم الباطن يثمر القرب والمعية (٣).

وبناءً على ماتقدم من أن القرب ليس عاماً لكل أحد، بل هو خاص، فيقرر العلماء أن اسم القريب ليس متعلقاً بكل موجود، بل يتعلق بما يناسبه فقط، فلذلك قرن اسم القريب بالمجيب، فهو مقرون بالتوبة والاستغفار، فالله قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال: إنه مجيب

---

(١) ينظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف ص٣٥-٣٦.

(٢) قال د. محمد التميمي في كتابه: "معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى" ص١٦١-١٦٢: ورد هذا الاسم في رواية الوليد بن مسلم عند ابن خزيمة، وفي طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني، وطريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، وفي جمع جعفر الصادق، وسفيان ابن عيينة، والخطابي، وابن منده، والحليمي، والبيهقي، وابن حزم، والأصبهاني، وابن العربي، والقرطبي، وابن القيم، وابن الوزير، وابن حجر، والسعدي، والعثيمين، والقحطاني، والحمود، والشرباصي، ونور الحسن خان. وينظر: النعوت، للنسائي ٢٤٥، كما جاء هذا الاسم بلفظ الأقرب، ينظر: معتقد أهل السنة ص٢١٩ .

(٣) ينظر: شرح الهراس، للواسطية ص١٢١.

لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه، سبحانه وتعالى[١].

ثالثاً: الإيمان بصفة القرب يثمر عبودية الدعاء، قال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ**..﴾، قال العلامة ابن عاشور[٢]: وفيه لطيفة قرآنية، وهي إيهام أن الله تعالى تولى جوابهم عن سؤالهم بنفسه، إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء [٣].

وتقدم أن أحد أنواع القرب : قرب الله من بعض عباده قرب إجابة لدعائهم، فيحسن للمسلم أن يكثر من الدعاء في الأحوال التي يقرب الله فيها منه، ومن ضمن هذه الأحوال: السجود، كما قال ﷻ : ﴿ **وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب**﴾[٤].

والمراد: القرب من الداعي في سجوده، وكما قال ﷺ : ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**))[٥]. وقال: ((**وأما السجود**

(١) ينظر: شرح حديث النزول ص١٢١، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٤ .

(٢) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة بها، ولد سنة ١٢٩٦هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ٦/ ١٧٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٦٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٢/ ١٧٩ .

(٤) سورة العلق ١٩ .

(٥) صحيح مسلم ٤٨٢ عن أبي هريرة.

فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم))(١). فأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود مع قرب العبد من ربه وهو ساجد، وقد أمر المصلي أن يقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى.(٢).

وقد ثبت في الصحيح (٣) أن في الليل ساعة يُستجاب الدعاء فيها، كما في يوم الجمعة، وذلك كل ليلة، وأقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فلما كان السجود غاية سفول العبد وخضوعه؛ سبّح اسم ربه الأعلى، فهو سبحانه الأعلى، والعبد الأسفل، كما أنه الرب، والعبد العبد، وهو الغني، والعبد الفقير، وليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كملها قرب العبد إليه؛ لأنه سبحانه برّ جواد محسن، يعطي العبد ما يناسبه، فكلما عظم فقره إليه، كان أغنى، وكلما عظم ذله له كان أعز (٥).

---

(١) صحيح مسلم ٤٧٩ عن ابن عباس. وقَمِنَ بفتح القاف والميم، معناه: حقيق وجدير. ينظر: إكمال المعلم، لعياض ٢/ ٣٩٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٧ والحديث رواه أحمد ٤/ ١٥٥ عن عقبة بن عامر بإسناد حسن، وأبو داود ٨٦٩ وابن ماجة ٨٨٧ وابن حبان ١٨٩٨ والحاكم ١/ ٢٢٥ والدارمي ١٣٠٥ ونحوه في مسلم عن حذيفة ٧٧٢ .

(٣) ينظر: صحيح مسلم ٧٥٨، ومسند أحمد ٤/ ١١٣، وسنن الترمذي ٣٥٩٧، والدعاء للطبراني ٢/ ٨٣٩ وما بعدها .

(٤) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٣٧-٢٣٨ .

رابعاً: الإيمان بصفة القرب يورث مراقبة الله باستشعار قربه، فإن مقام الإخلاص – كما قال العلامة ابن رجب -: أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله، وعَمِل عليه، فهو مخلص لله؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

ثم بيّن رحمه الله أن القرآن والسنة دلا على استحضار هذا القرب في حال العبادات، وساق جملة من نصوص القرب[1].

وقال العلامة ابن سعدي –في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾-: يخبر تعالى أنه المنفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله وما يسره ويوسوس في صدوره، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد،.. وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلّهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ** ﴾ أي يتلقيان عن العبد أعماله كلها واحد عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكل منهما قعيد بذلك متهيء لعمله

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٩-١٣٠ .

الذي أعدَّ له، ملازم له، ما يلفظ من قول خير أو شر إلا لديه رقيب عتيد، مراقب له، حاضر لحاله (١).

خامساً: من لوازم المحبة لله القرب منه، وقرب الله من لوازم محبته، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر (٢).

ولا شك أن كل من أحب شيئاً؛ فإنه لابد أن يعرفه، ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد عن قلبه (٣).

يقول ابن القيم: والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز تقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه، كما قيل:

ألا رُبَّ من يدنو ويزعم أنه ... يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم، وأحب إليهم منها، يجدون نفوسهم أقرب إليه، وهم في الأقطار النائية عنه من جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها، هذا مع عدم تأتي القرب منها، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء، وهو مستوٍ على عرشه ؟.

---

(١) تفسير ابن سعدي ص٨٠٥ .
(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم ص٢٤-٢٥، والروضة الندية ٢٢١ .
(٣) شرح النزول ص٩٩ .

والقصد أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حباً، ازداد قرباً، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها [١].

ولا شك أن الطريق الوحيد للوصول إلى محبة الله للمؤمنين هو التعبد بالفرائض، والتقرب إلى الله بالنوافل، قال الحليمي [٢] – معلقاً على قوله ﷺ: ((**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله** ..)) [٣] -: فإن قال قائل: ما معنى محبة الله تعالى جده ؟ ثم ذكر عدة أمور إلى أن قال: والثامن: أن يحرص على أداء الفرائض والتقرب إليه من نوافل الخير بما يطيقه [٤].

وقال ﷻ في الحديث القدسي: ((**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** ..)) [٥]. قال العلامة السفاريني [٦] –معلقاً

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٦-٢٦٧ وينظر: الدرر السنية، لابن قاسم ٣/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، الشيخ العلامة، أبو عبد الله الشافعي البخاري، ولد سنة ٣٣٨هـ وتوفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر: السير ١٧/ ٢٣١، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٠، وطبقات السبكي ٤/ ٣٣٣، والشذرات ٣/ ١٦٧ .

(٣) متفق عليه من حديث أنس، فأخرجه البخاري ٢١ و١٦ ومسلم رقم ٤٣ .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٩٦-٤٩٧ .

(٥) صحيح البخاري رقم ٦٥٠٢ عن أبي هريرة.

(٦) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، الشيخ العلامة شمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي، ولد سنة ١١١٤هـ، وتوفي سنة ١١٨٨هـ ينظر: مختصر طبقات الحنابلة، لابن الشطي ١٢٧-١٣٠، وسلك الدرر، للمرادي ٤/ ٣١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٥ .

على هذا الحديث- : فدلّ هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ﷺ من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى، فمن أحب الله سبحانه رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره [1].

وقد تقدم أنه ليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كمّلها العبد قرب إلى الله ﷻ [2].

والعبد بتكميله للطاعات والنوافل واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه، يصير محباً لما أحب الرب، مبغضاً لما أبغض، موالياً لمن يوالي، معادياً لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه .

وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده، فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة.

وتقدم الحديث القدسي: ((**وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه..**)) فأخبر -سبحانه وتعالى- أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله، فيصير العبد محبوباً لله، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى**

(١) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ١٤١ .

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٣٨ .

﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١)، وقال: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ (٤)، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٥). فقد أخبر أنه يحب المتبعين لرسوله والمجاهدين في سبيله، وأنه يحب الصابرين والتوابين والمتطهِّرين، وهو سبحانه يحب كل ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب (٦).

(١) سورة آل عمران ٣١ .
(٢) سورة البقرة ١٩٥ .
(٣) سورة البقرة ٢٢٢ .
(٤) سورة الصف ٤ .
(٥) سورة آل عمران ١٤٦ .
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥١٠-٥١٢ .

الفصل الرابع : آراء المبتدعة في صفة القرب ونقضها

افترق الناس في هذه الصفة إلى عدة أقسام :

١-الجهمية المعطلة الذين يقولون: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فلا يقولون بعلو الله ولا فوقيته، وهو قول أكثر المعتزلة .

٢-حلولية الجهمية والمتصوفة الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. فهم يحتجون بنصوص المعية والقرب، ويتأولون نصوص العلو والاستواء .

٣-من يقول: إن الله بذاته فوق العرش، وهو بذاته في كل مكان، وهو قول طوائف من أهل الكلام والتصوف.

٤-من يؤول هذه الصفة بالمنزلة والمكانة والدرجة، أو الرحمة والإنعام، أو القدرة والسلطان، ونحو ذلك من التأويلات، وهم الأشاعرة ومن وافقهم.

٥-قول سلف الأمة وأئمتها، وهو أن الله -سبحانه وتعالى- فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو مع العباد

عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد، وهو أيضاً قريب مجيب [١].

وسنذكر فيما يلي من المباحث آراء المبتدعة، ونرد عليها .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧-٢٣١ و٦/ ١٣ .

المبحث الأول : معطلة الجهمية[١] والمعتزلة[٢] .

يرى الجهمية أنه لا يجوز أن يوصف الله بما يوصف به خلقه؛ لأن ذلك -بزعمهم- يقتضي التشبيه والتجسيم[٣]. قال الإمام أحمد -حاكياً قول جهم-: وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدّث عنه رسوله ﷺ كان كافراً، وكان من المشبهة [٤].

وقال الشهرستاني[٥] -حاكياً قول جهم- : ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيهاً [٦].

(١) الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، أبي محرز الراسبي المبتدع، كان يقول بنفي الأسماء والصفات والجبر، والقول بأن الإيمان هو المعرفة فقط، وفناء الجنة والنار، وإنكار رؤية الله في الآخرة، وغير ذلك من البدع. ينظر: الفرق بين الفرق ص١٩٤، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢١٤، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٣، والملل والنحل ٨٦.

(٢) هم فرقة اعتزل إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لما خالفه في حكم مرتكب الكبيرة، فسموا معتزلة، ويقوم مذهبهم على خمسة أصول: التوحيد، وقصدوا به نفي الصفات، والعدل، وقصدوا به إنكار القدر، والقول بأن العبد يخلق فعل نفسه، والمنزلة بين المنزلتين، وقصدوا به أن صاحب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، والوعد والوعيد، وعنوا به إيجاب التنعيم والتعذيب للطائعين والعصاة على الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه الخروج على ولاة الأمر بالسيف. ينظر: الملل والنحل ٤٣، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥، واعتقادات فرق المسلمين ص٢٣، والفرق بين الفرق ١١٢ .

(٣) ينظر: الملل والنحل ٨٦، والفرق بين الفرق ١٩٩ .

(٤) الرد على الجهمية ص: ٢٨ .

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح شيخ أهل الكلام والحكمة، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٤٨، وقيل ٥٤٩هـ. ينظر: السير ٢٠/ ٢٨٦، وطبقات السبكي ٦/ ١٢٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٣، والشذرات ٤/ ١٤٩ .

(٦) الملل والنحل ص٨٦ .

ويعد الجهمية أول من أنكر قيام الأفعال الاختيارية بـذات الله، ومنهـا القرب والدنو(١). فلـيس عنـدهم أن الله يقـرب مـن عبـاده، ولا عنـدهم تقرب من العباد إليه أصلاً(٢).

ويؤولــون قــرب الله الــوارد في النــصوص بــالثواب(٣). ويتــأولون النصوص التي تتعلق بالاستواء على العـرش بقـولهم: إن الله لـيس فـوق العرش، وإن نسبة العرش والكرسي إليه سواء، وإنه لا داخـل العـالم ولا خارجه، لكن يثبتون حركة العبد والملائكة، فيقولون: قـرب العبـد إلى الله حركة ذاته إلى الأماكن المشرفة عند الله، وهـي الـسموات وحملـة العـرش والجنة، وبذلك يفسرون معراج النبي ﷺ(٤).

والجهمية والمعتزلة ممن يقولون بخلق القرآن، وصفة الكلام الإلهي لهـا ارتباط بصفة القرب، حيث إن " الذين يثبتون أن الله كلّم موسى بمـشيئته وقدرته كلاماً قائماً به؛ هم الذين يقولون بدنوه من عباده بنفسه، وأما مـن قال: القرآن مخلوق أو قديم؛ فأصل هـؤلاء أنـه لا يمكـن أن يقـرب مـن شيء، ولا يدنو إليه... ونصوص الكتاب والسنة وآثار الـسلف متظـاهرة بالإثبات، وليس على النفي دليل واحد لا من كتاب ولا من سنة ولا مـن

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٦٦، وشرح حديث النزول ٩٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩، وشرح حديث النزول ٩٩، ونقض التأسيس ٢/ ق ١٧٥ .

(٣) شرح حديث النزول ٩٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٧ .

أثر، وإنما أصله قول الجهمية "[١]. والمعتزلة رأيهم في الصفات الاختيارية من جنس رأي الجهمية[٢].

ومن المعتزلة من يقول بقول حلولية الجهمية الآتي ذكره، وهو أن الله في كل مكان[٣]. فالمعتزلة يؤولون الصفات الاختيارية، ومن ضمنها القرب، ويزعمون أن في وصف الله بها ما يقتضي كونه جسماً؛ لأن الحركة والمجيء والقرب لا يحصل إلا من الأجسام[٤]. ويقولون: إن القرب الوارد في النصوص تمثيل واستعارة[٥].

وللجهمية والمعتزلة شُبه أخرى نفوا لأجلها الصفات، مثل أن أخص وصف للرب عندهم القدم، وأن كل ما سواه محدث، ولو كان له صفات وأفعال لاستلزم ذلك تعدد القدماء، ولشاركته هذه الصفات في أخص وصفه وهو القدم، وكان مركباً من تلك الذات والصفات[٦].

---

(١) من شرح حديث النزول ص١٠٠ .

(٢) المعتزلة جهمية في الصفات، وهم من الدرجة الثانية في التجهم، فهم يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز، ينظر: شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى ١/ ٢٥١.

(٣) ينظر: الأصول الخمسة، لعبد الجبار ٢٢٦، وينظر أيضاً في حكاية قولهم من كتب السلف: إثبات صفة العلو، لابن قدامة ١٢٧-١٢٨، والتمهيد، لابن عبد البر ٧/ ١٢٨، والحجة في بيان المحجة، للأصبهاني ٢/ ١١٠، والرد على الجهمية، للدارمي ص٣٨٢ .

(٤) شرح الأصول الخمسة ٢١٧-٢١٨، والمختصر في أصول الدين له - ضمن رسائل العدل والتوحيد - ١/ ١٧٤ .

(٥) الكشاف، للزمخشري ١/ ٣٣٧ وحكاه الشوكاني في تفسيره عنه ١/ ٢٥٣ .

(٦) المغني، لعبد الجبار ٤/ ٢٥٢، وشرح الأصول الخمسة ١٩٥ و٢١٦ و٢١٨ ، والمحيط بالتكليف، لعبد الجبار ٢٠٣، ومروج الذهب، للمسعودي ٣/ ٢٦٩ .

وهذه الشبهة ليست بصحيحة؛ فإن أخص وصف لله مالا يتصف به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه إله واحد، ونحو ذلك، والصفة لا توصف بشيء من ذلك، ولا يقال صفاته قديمة، بل الرب بصفاته قديم، وذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له في شيء من خصائصه، فإن القديم ليس من خصائص الذات المجردة، بل هو من خصائص الذات الموصوفة بالصفات، وإلا فالذات المجردة لا وجود لها، فضلاً عن أن تختص بالقدم، ووجود ذات بلا صفات لا وجود له إلا في الذهن، والذهن يفرض أشياء مستحيلة الوقوع، فعلم أن الممتنع تعدد الذوات، لا تعدد صفات لذات واحدة(١).

ويُقال لهم: هذه نخلة واحدة مع أن لها صفات كثيرة، فلها جذور، ولها ساق، ولها سعف، ولها طول معين، وعرض معين، ولون معين، ولها أشياء كثيرة، مع أنها نخلة واحدة، فتعدد الصفات لذات واحدة ليس ممتنعاً، بل الذات التي لا صفات لها هي الممتنع وجودها، فلو قال قائل: عندي نخلة، فقيل له: لها جذع ؟ قال: لا، قيل له: لها سعف؟ قال: لا، قيل له: لها جذور؟ قال: لا، ولم يصفها بشيء من الصفات، قيل له: ليس عندك نخلة؛ لأنه ما من ذات إلا ولها صفات، وأما ذات بلا صفات؛ فلا

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٤/ ٢٢٦-٢٢٧، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٢١٥.

وجود لها ألبتة، وإنما يفرضها الذهن فرضاً، وهذا حقيقة قول المعتزلة والجهمية (١).

ولا شك أن قول الجهمية والمعتزلة ضلال خطير، ومناقضة لتوحيد الرسل، ولذلك حذّر العلماء والأئمة منهم وضللوهم وكفروهم بهذه المقالات (٢).

ويمكن الرد على أباطيل الجهمية والمعتزلة في إنكارهم صفة القرب وتأويله بالآتي:

١- الأدلة العامة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في اتصاف الله ﷻ بالصفات الاختيارية ومنها القرب، ففي القرآن ما يدل على إثبات هذه الصفات في أكثر من ثلاثمائة موضع (٣)، بل هي أكثر من أن تحصر (٤).

وفي السنة أحاديث كثيرة صحيحة لا يمكن حصرها (٥). وكلام السلف والأئمة ومن نقل مذهبهم في هذا الأصل كثير يوجد في كتب التفسير والأصول (٦).

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية، للإمام أحمد ص٤٩ .
(٢) سيأتي ذكر بعض كلام العلماء فيهم.
(٣) ينظر: منهاج السنة ٢/ ٣٩٠، ومجموع الفتاوى ٨/ ٢٢٢-٢٢٤ و٢٣٣، وجامع الرسائل، لابن تيمية ٢/ ٢٣، ودرء التعارض ٢/ ١١٥ . وينظر بيان ابن القيم أن سورة الفاتحة ترد على الجهمية في الصفات في مدارج السالكين ١/ ٦٤-٦٥ .
(٤) درء التعارض ٢/ ٢٤٧ .
(٥) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٣٣، ودرء التعارض ٢/ ١٢٤، وجامع الرسائل ٢/ ٢٣ .
(٦) درء التعارض ٢/ ٢٠ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لا يمكن أحد أن ينقل عن محمد ﷺ ولا عن إخوانه المرسلين ما يدل على قول النفاة، لا نصاً ولا ظاهراً، بل الكتب الإلهية المتواترة عنهم، والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة، وتوافق قول أهل الإثبات، وكذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين من أرباب المذاهب الأربعة وشيوخ المسلمين المتقدمين، لا يمكن أحد أن ينقل نقلاً صحيحاً عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة، بل المنقول المستفيض المتواتر عنهم يوافق قول أهل الإثبات، فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة تنازعوا في هذا الأصل لما حدث مذهب الجهمية نفاة الصفات، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين، ولم يكن قبل هذا يعرف في أهل الملة من يقول بنفي الصفات، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته، ولما حصل هذا أنكر السلف عليهم كما هو متواتر معروف [1].

وهذه الأدلة صريحة في إثبات الصفات الاختيارية القائمة به كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض، والطي، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك، بل والخلق والإحياء والإماتة، فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال الملازمة كالاستواء، وبالأفعال المتعدية، كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم، فإن الفعل لابد له من فاعل، سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لابد له من فعل، سواء

(١) درء التعارض ٤/ ٢٣-٢٤ و٢/ ١٨، ومنهاج السنة ٢/ ٣٩٠ .

كان فعله مقتصراً عليه أو متعدياً إلى غيره، والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله، إذ كان لابد له من الفاعل، وهذا معلوم سمعاً وعقلاً:

أما السمع فإن أهل العربية التي نزل بها القرآن، بل وغيرها من اللغات متفقون على أن الإنسان إذا قال: قام فلان وقعد، وقال: أكل فلان الطعام وشرب الشراب، فإنه لابد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة، إذ كلتا الجملتين فعلية، وكلاهما فيه فعل وفاعل، والثانية امتازت بزيادة المفعول، فقوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [1] تضمن فعلين: أولهما متعدٍّ إلى المفعول به، والثاني مقتصر لا يتعدى، فإذا كان الثاني – وهو قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى}– فعلاً متعلقاً بالفاعل، فقوله {خَلقَ} كذلك بلا نزاع بين أهل العربية ...

وأما من جهة العقل، فمن جوّز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له كالمجيء والاستواء، ونحو ذلك، لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء، كما أن من جوّز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة، لم يمكنه أن يمنع قيام الصفة المتعلقة

(١) سورة الحديد ٤ .

بالغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر، ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر.

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعاً لما يفعل من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه، وهذه سبب الحدوث، والله تعالى حيٌّ قيّوم لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما شاء، فَعّال لما يشاء، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة[1].

٢- يسمي هؤلاء نفي الصفات توحيداً ؟!، وتوحيدهم مناقض لتوحيد الرسل من كل وجه، فإن مضمونه إنكار حياة الرب، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بأبصارهم عياناً من فوقهم يوم القيامة، وإنكار وجهه الأعلى، ويديه ومجيئه وإتيانه وقربه ومحبته ورضاه وغضبه وضحكه، وسائر ما أخبر الرسول ﷺ عنه. ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول ﷺ بما أخبر به عن الله، فاستعار له أصحابه اسم التوحيد[2].

---

(١) درء التعارض ٢/ ٣-٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود ٣/ ١٢٠٧-١٢٠٩، وصفة النزول، للغامدي ٣٧٩ .

(٢) مختصر الصواعق ص١٧٩ .

٣- لوازم قول الجهمية والمعتزلة في ذلك خطيرة شنيعة معلومة البطلان بالضرورة من دين الإسلام، وهي من أعظم الكفر، وبطلان الإلزام يستلزم بطلان ملزومه، فإن من لوازمه أنه لا يُستفاد من خبر الرسول ﷺ عن الله في هذا الباب علم ولا هدى، ولا بيان الحق في نفسه، ومن لوازمه أن يكون كلامه متضمناً لضد ذلك في ظاهره وحقيقته، ومن لوازمه القدح في معرفته وعلمه، أو في فصاحته وبيانه، ومن لوازمه أن يكون المعطلة النفاة أعلم بالله منه أو أنصح، ومن لوازمه أن يكون أشرف الكتب وأشرف الرسل قد قصّر في هذا الباب غاية التقصير، وأفرط في التجسيم والتشبيه غاية الإفراط... ومن لوازمه أن القلوب لا تحبه، ولا تريده، ولا تبتهج له، ولا تشتاق إليه، ولا تلتذّ بالنظر إلى وجهه الكريم في دار النعيم، وهم صرحوا بذلك كله.. ومن لوازمه -بل صرّحوا به- أن رسول الله ﷺ لم يعرج به إلى الله حقيقة، ولم يدن من ربه.. ومن لوازمه أن الله تعالى لم يفعل شيئاً، ولا يفعل شيئاً، فإن الفعل عندهم عين المفعول، وهو غير قائم بالرب، فلم يقم به عندهم فعل أصلاً.. ولوازمهم أضعاف أضعاف ما ذكرناه[1].

(١) مختصر الصواعق ص١٨٠-١٨٢.

وأما مسألة الجسمية؛ فقد قرر الأئمة أن إثبات الصفات لا يستلزم التشبيه والتجسيم[1]، فإننا إذا قلنا: إن الله يقرب من عباده كما يليق بجلاله وعظمته، قرباً ليس له نظير وشبيه، تنتفي هذه الشبهة.

ويُناقش المخالفون في هذه المسألة فيُقال لهم: إذا قال القائل: إنّ الباري تعالى جسم، قيل له: أتريد أنه مركب من الأجزاء كالذي كان متفرقاً فرُكب؟ أو أنه يقبل التفريق سواء قيل: اجتمع بنفسه أو جمعه غيره؟ أو أنه من جنس شيء من المخلوقات؟ أو أنه مركب من المادة والصورة؟ أو من الجواهر المنفردة؟ فإن قال هذا، قيل: هذا باطل. وإن قال: أريد به أنه موجود أو قائم بنفسه.. أو أنه موصوف بالصفات، أو أنه يرى في الآخرة، أو أنه يمكن رؤيته، أو أنه مباين للعالم، فوقه، ونحو هذه المعاني الثابتة بالشرع والعقل، قيل له: هذه معان صحيحة، ولكن إطلاق هذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع، مخالف للغة، فاللفظ إذا احتمل المعنى الحق والباطل لم يطلق، بل يجب أن يكون اللفظ مثبتاً للحق نافياً للباطل.

وإذا قال: ليس بجسم، قيل: أتريد بذلك أنه لم يركبه غيره، ولم يكن أجزاءً متفرقة، أو أنه لا يقبل التفريق والتجزئة، كالذين ينفصل بعضه عن بعض؟ أو أنه ليس مركباً من الجواهر المنفردة، ولا من المادة والصورة، ونحو هذه المعاني.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٦٠ .

أو تريد به شيئاً يستلزم نفي اتّصافه بالصفات بحيث لا يُرى، ولا يتكلم بكلام يقوم به، ولا يباين خلقه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا تعرج إليه الملائكة ولا الرسول، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يعلو على شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين ولا محايث له، ونحو ذلك من المعاني السلبية التي لا يعقل أن يتّصف بها إلاّ المعدوم؟ فإن قال: أردت الأول. قيل: المعنى صحيح، لكن المطلقون لهذا النفي أدخلوا فيه هذه المعاني السلبية، ويجعلون ما يوصف به من صفات الكمال الثبوتية مستلزمة لكونه جسماً، فكل ما يذكر من الأمور الوجودية، يقولون: هذا تجسيم، ولا ينتفي ما يسمونه تجسيماً إلا بالتعطيل المحض؛ ولهذا كل من نفى شيئاً قال لمن أثبته: إنه مجسم، فغلاة النفاة من الجهمية والباطنية يقولون لمن أثبت له الأسماء الحسنى: إنه مجسم، ومثبتة الأسماء دون الصفات من المعتزلة ونحوهم يقولون لمن أثبت الصفات: إنه مجسم، ومثبتة الصفات دون ما يقوم به من الأفعال الاختيارية -كالأشاعرة- يقولون لمن أثبت ذلك: إنه مجسم، وكذلك سائر النفاة.

وكل من نفى ما أثبته الله ورسوله بناءً على أن إثباته تجسيم؛ يلزمه فيما أثبته[1].

ولا شك أن الجهمية والمعتزلة قد ضلوا عن سواء السبيل بهذه البدع، ولذا أفتى الأئمة بضلالهم وكفرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(١) منهاج السنة، لابن تيمية ٢/ ٢١١-٢١٤ بتصرف.

والمشهور من مذهب أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع [١].

قال ابن القيم:

فهم بذا جهمية أهل اعتزا ... ل ثوبهم أضحى له علمان
ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي [٢] الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني [٣][٤]

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٥ .

(٢) في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٣١٣ وما بعدها. واللالكائي هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الإمام أبو القاسم الشافعي الطبري توفي سنة ٤١٨هـ. ينظر: السير ١٧/ ٤١٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، والعبر ٣/ ١٣٠، والشذرات ٣/ ٢١١ .

(٣) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، الإمام الحافظ المحدث أبو القاسم الطبراني، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٦٠هـ. ينظر: السير ١٦/ ١١٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ٤٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٢، والشذرات ٣/ ٣٠. وكلامه عن الجهمية يظهر أنه في كتاب السنة، وهو مفقود .

(٤) نونية ابن القيم بشرح ابن عيسى ١/ ٢٩٠. وينظر: إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية. مجموع يضم رسائل للمشايخ: إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وسليمان بن سحمان. ص١٢٧ و٨٩ و١٠٢ .

المبحث الثاني: حلولية[١] الجهمية وبعض المتصوفة[٢] .

بيّن العلماء أن الجهمية ومن وافقهم لم يجوّزوا وصف الله بـ"أيـن" لأن الله عندهم في كل مكان، لا يخلو منه مكـان، وأن شـيئاً لا يخلـو منـه مكان يستحيل أن يقال: أين هو ؟ [٣].

(١) الحلول هو الاعتقاد بحلول ذات الخالق -جلَّ وعلا- في كل مكان، أو في بعض الأمكنـة، أو حلوله في بعض الأشخاص، أو حلول جزء من ذاته في بعضهم، على قدر استعداد مزاج الشخص ورياضته وتقبله لذلك، على حد زعمهم. فهو عندهم حلول الإله بذاته أو روحه جزءاً أو كـلاً في البشر، أو بعضهم من الأنبياء والأئمة والأولياء ونحوهم، فأصبح هؤلاء آلهة بذلك. وقد انتشرت هذه العقيدة عند بعض الجهمية، وغلاة المتصوفة، وغلاة الرافضة والإسماعيلية وغـيرهم. ينظـر: الملـل والنحـل ١٧٣ و١٧٥، والتبـصير في الـدين١٠٨، وفتـاوى ابـن تيميـة ١٥/ ٤٢٣-٤٢٤، وبتفصيل بحث أعده أ.د/ محمد العلي بعنوان "عقيدة الحلول: عرض ونقض".

(٢) التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجـري، كنزعـات فرديـة تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعـات بعـد ذلـك حتـى صـارت طرقـاً مميـزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى أصحابها تربية النفس والسمو بهـا بغيـة الوصـول إلى معرفـة الله بالكشف والمشاهدة لا بالوسائل الشرعية، وظهرت في بعضهم الفلسفة ودعاوى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ومن أشهر رموز حلولية الـصوفية الحـلاج المقتـول سـنة ٣٠٩هــ وابـن عـربي ت٦٣٨هـ وابن الفارض ت٦٣٢ وابن سبعين ت٦٦٧هــ. ينظـر: الموسـوعة الميـسرة ١/ ٢٥٣- ٢٧٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ١١، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية، لـصادق سـليم، ودراسـات حـول التـصوف، لإحسان إلهي ظهير.

(٣) ينظر: الرد على الجهمية، للدارمي٤٨ وما بعدها، والنقض على المريسي ص٤٣٧و٤٥٢ و٤٥٣.

وبناءً على أصلهم هذا أنكروا أن يكون لله حد وغاية ونهاية، ووافقهم على هذا الإنكار المعتزلة[١] ومتأخرو الأشاعرة[٢] وغيرهم، وأنكرت الجهمية أن يكون الله بائناً باعتزال وبفرجة بينه وبين خلقه[٣].

والجهمية يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ومنهم من يقول -وهو قول بعض المتصوفة-: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان[٤].

وما روي من قرب الرب إلى خواص عباده وتجليه لقلوبهم؛ عند الجهمية هو مجرد ظهور الله وتجليه لقلب العبد[٥].

وبعض المتصوفة يرون رأي الجهمية في ذلك، يقول العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله : بعض المتصوفة يقولون: إن الله قريب بذاته من كل شيء، إذ منه كل شيء إيجاداً وإمداداً، وهذا عليه السادة الصوفية، قال أحدهم في قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ -: ذلك شأن الذات. وهذا بنصه في اليواقيت والجواهر، للشعراني[٦].

---

(١) ينظر: الأصول الخمسة ٢٢٦.

(٢) ينظر: أساس التقديس، للرازي٤٥، وإبكار الأفكار، للآمدي ٢/ ٥٢٤ .

(٣) ينظر: الإمام الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، لمحمد أبو رحيم ص٢٢٦ .

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢/ ٢٥٩ .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٨ .

(٦) تفسير المنار ٢/ ١٦٨ وينظر: تفسير القاسمي ١٥/ ٥٤٩١ . والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني، أبو المواهب الشافعي الشاذلي، ويسمى الشعراوي، فقيه صوفي ولد سنة ٨٩٨هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ. ينظر: شذرات الذهب

ويقول ابن عطاء الله السكندري[١]: كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ [٢]. وقال: ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له، لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده [٣].

وقال الشاذلي[٤]: من أطاعني في كل شيء، بهجرانه لكل شيء، أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء، حتى يراني أقرب إليه من كل شيء، هذه هي طريق أولي الحق، وهي طريق السالكين، وطريق كبرى، من أطاعني في كل شيء بإقباله على كل شيء لحسن إرادة مولاه في كل شيء، أطعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء[٥].

٨/ ٣٧٢، والكواكب السائرة، للغزي ٣/ ١٧٦، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي ٤/ ٦٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٣٣٩ .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن، تاج الدين أبو الفضل وأبو العباس المالكي الشاذلي الصوفي الاسكندري. توفي سنة ٧٠٩هـ بالقاهرة. ينظر: طبقات السبكي ٩/ ٢٣، والوافي بالوفيات ٨/ ٥٧، والدرر الكامنة ١/ ٢٩١، والشذرات ٨/ ٣٦ .

(٢) حكم ابن عطاء الله بشرح الشرنوبي ص٨٢ .

(٣) حكم ابن عطاء الله بشرح الشرنوبي ص١٣١ . وينظر: ص١٨٢ و٢١٢.

(٤) هو عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي أبو الحسن الصوفي، شيخ الطائفة الشاذلية، يصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان. توفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني ٢/ ٤ .

(٥) ينظر: لطائف المنن، للسكندري ص٨٩، وينظر من كتب الصوفية: الفتوحات المكية، لابن عربي ٤/ ٢٦٥، وشفاء الفؤاد، لمحمد علوي المالكي ١٢٠ .

قال العلامة مرعى الكرمي(١) –حاكياً قول الحلولية في القرب–: انقسم أهل هذا القول إلى قسمين: قسم يقولون: إنه تعالى حال بذاته المقدسة في كل شيء، قال ابن تيمية(٢): وهذا القول يحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية، وكانوا يكفرونهم بذلك.

وقسم يقولون: إنه تعالى مع كل أحد بذاته، ومع كل شيء، لكن معية تليق به، وهذا المذهب هو قول كثير من متأخري الصوفية. واحتجوا بأنه تعالى فوق عرشه إلى مالا نهاية له، وما دون العرش ومع كل شيء، معيةً تليق به، فكأنما أنه ليس كمثله شيء في ذاته؛ ليس كمثله شيء في صفاته، فليست معيته وقربه كمعية أحد منا وقربه. قالوا: فلسنا معطلين؛ لأن تعظيمنا أبلغ من تعظيمهم، ومن قال: إن الله تعالى عند كل الجهات، وإن لم يكن فيها، ومع كل شيء وإن لم يكن في شيء، لا بالحلول ولا بالمجاورة ودليله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ فلا تعطيل معه ولا تجسيم. ثم قال الشيخ مرعي: ورأيت بعض أكابر مشايخهم صرّح في تصنيف له: أنه لا تخلو ذرة من ذرات العالم من ذات الباري، تقدّس وتعالى.

وهذا الشيء ينفر منه الطبع والشرع(٣).

(١) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد، زين الدين الكرمي المقدسي الحنبلي. توفي سنة ١٠٣٣هـ. ينظر: خلاصة الأثر، للمحبي ٤/ ٣٥٨، ومختصر طبقات الحنابلة، لابن الشطي ٩٩، والنعت الأكمل، للغزي ١٨٩ .
(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠ و١٧٢ و١٩٥ و٢٩٨ و٤٦٦ و٦/ ٤٦٩ .
(٣) أقاويل الثقات ص٩٦-٩٧ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –حاكياً كلام بعض المتصوفة في القرب وأن فيه قطعة كبيرة من الحلول العام- : قال أبو طالب[١] عن الله ﷻ : إنه أمام كل شيء، ووراء كل شيء، وفوق كل شيء، ومع كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من ذلك، ثم تكلم عن فضل شهادة التوحيد، ووصف توحيد الموقنين فقال: فشهادة الموقن يقينه أن الله هو الأول من كل شيء، وأقرب من كل شيء، فهو المعطي المانع،.. ويشهد قرب الله منه، ونظره إليه.. ويعلم أن الله أقرب إلى القلب من وريده،وأقرب إلى الروح من حياته، وأقرب إلى البصر من نظره، وأقرب إلى اللسان من ريقه... وأن قربه من الثرى ومن كل شيء كقربه من العرش.. إلى أن قال: وإن الله لا يحجبه شيء عن شيء، ولا يبعد عليه شيء، قريب من كل شيء بوصفه[٢].

وكذلك قال أبو حامد الغزالي[٣] موافقاً لأبي طالب المكي في بعض ما قال[٤].

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية، الزاهد شيخ الصوفية، أبو طالب المكي، مكي المنشأ، يروي عن أبي بكر الآجري، كانت له رياضات وجوع بحيث إنه ترك الطعام حتى اخضر لونه. توفي سنة ٣٨٦هـ. ينظر: السير ١٦/ ٥٣٦، وتاريخ بغداد ٣/ ٨٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٠٣، والشذرات ٣/ ١٢٠.

(٢) شرح حديث النزول ص١١٥-١١٦ .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد، الشيخ حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٥٠هـ ودخل في كثير من علوم الفلاسفة والباطنية، وفي تواليفه كلام خطير، وكان خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومطالعة الصحيحين، توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: السير ١٩/ ٣٢٢، والمنتظم ٩/ ١٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، طبقات السبكي ٦/ ١٩١، والشذرات ٤/ ١٠ .

(٤) شرح حديث النزول ص١٢٨. وينظر في حكاية مذهبهم: التعاريف ١/ ٥٧٩، نقض التأسيس ٢/ ق١٩٣ .

وقد بيّن العلماء والأئمة أن الحلولية يحتجون على مذهبهم بنصوص المعية والقرب، وكل نص يحتجون به، فهو حجة عليهم[١] .

وبشكل أدق يستدلون بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، وقوله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ كما قرر ذلك الشيخ مرعي الكرمي[٢]. وبحديث القرب: " إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً.." كما قرر ذلك الإمام الدارمي [٣].

ويستدلون بالعقل، بقولهم: ألا ترى أن من صعد الجبل لا يقال: إنه أقرب إلى الله تعالى [٤].

الرد على الحلولية في صفة القرب .

قبل الكلام على نقض آراء الحلولية وما استدلوا به، ينبغي أن نبين – من باب العدل والإنصاف – أن هذه العقيدة الفاسدة في القرب، هي عند بعض متأخري المتصوفة، بينما بعض الصوفية على المعتقد الصحيح في هذه الصفة، فيما يتعلق بعلو الله واستوائه على عرشه، ومباينته لخلقه، وعموم علمه بهم .

ولنذكر طرفاً من أقوال بعض شيوخ الصوفية في تقرير ذلك :

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٢٨ .
(٢) أقاويل الثقات ص١٠٥ .
(٣) النقض على المريسي ص٤٣٨ .
(٤) النقض على المريسي ص٢٩٠ .

* قال الشيخ أبو نعيم الأصبهاني(١) -في عقيدته بعد إثبات نزول الله-: وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل.. وأنه سبحانه بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة، ثم ذكر أن السلف أجمعوا على ذلك (٢).

* وقال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري(٣) : إن الله استوى على العرش بذاته، وقرر علو الله في ذلك قال: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك(٤).

* وقال الشيخ يحيى الرازي(٥): الله تعالى على العرش بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان (٦).

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى، الإمام أبو نعيم الأصبهاني الصوفي صاحب الحلية، ولد سنة ٣٣٦هـ. وكان أبوه من كبار المحدثين، وتوفي سنة ٤٣٠هـ. ينظر: السير ١٧/ ٤٥٣، ووفيات الأعيان ١/ ٩١، وطبقات السبكي ٤/ ١٨، والشذرات ٣/ ٢٤٥.

(٢) ينظر: مختصر العلو ٢٦١، واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٦٠ و١٩٠ .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد، الإمام القدوة، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب "ذم الكلام". من ذرية أبي أيوب الأنصاري. ولد سنة ٣٩٦هـ وتوفي سنة ٤٨١هـ. ينظر: السير ١٨/ ٥٠٣، وطبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٣، والشذرات ٣/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: مختصر العلو ٢٧٨، واجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٩ .

(٥) هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أبو زكريا له كلام جيد ومواعظ مشهورة، توفي سنة ٢٥٨هـ. ينظر: السير ١٣/ ١٥، والحلية ١٠/ ٥١، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، والشذرات ٢/ ١٣٨.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٧٠ .

* وقال إمام الطائفة الجنيد[١] – عندما سُئل عن صفة القرب لله –: بعيد بلا اقتراب، قريب بلا التزاق [٢].

أما الرد على الحلولية فيما يتعلق بصفة القرب؛ فيمكن بيانه في الآتي:

١ – أن ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه مقيد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق، فبطل قول الحلولية [٣].

فمن يظن أن المراد بالقرب في: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله؛ فهذا في غاية الضعف، وذلك أن الذين يقولون: إنه في كل مكان، أو أنه قريب من كل شيء بذاته، لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا إنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء.

وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم، وهو عندهم في جميع بدن الإنسان، أو قريب من جميع بدن الإنسان، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت، فكيف يقول: ونحن أقرب إليه منكم، إذا كان معه ومعهم على وجه واحد ؟ وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه ؟ وسياق الآية –كما

---

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، سيد الطائفة، أبو القاسم البغدادي القواريري، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، وكان يقول: علمنا –يعني التصوف– مشبك بحديث رسول الله ﷺ. توفي سنة ٢٩٨هـ. ينظر: السير ١٤/ ٦٦، والحلية ١٠/ ٢٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، والشذرات ٢/ ٢٢٨ .

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني ١/ ٧٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٤٧ و٢٤٠ .

تقدم- يدل على أن المراد الملائكة. ومعلوم أنه لـو كـان المـراد قـرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال، ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب.

وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿ **فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ** ﴾ [١]، فلو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال، ولا قال: ﴿ **وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ** ﴾؛ فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ولكن نحن لا نبصره، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال، لا الملائكة ولا البشر.

وأيضاً فإنه قال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ** ﴾ فأخبر عمّـن هـو أقـرب إلى المحتضر من الناس الذين عنـده في هـذه الحـال. وذات الـرب -سبحانه وتعالى- إذا قيل: هي في مكان، أو قيل: قريبة من كل موجـود، لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال، ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء [٢].

وقريب من هذا من يفسر المعية الـواردة في النـصوص بـالحلول، فمـن فهم من معية الله العامة أنه حال في جميع خلقه، أو موجـود بكـل مكـان -كما يقول الحلولية- فهذا من أبطل الباطل من وجوه:

١) أنه ليس في ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة "مع" على هذا بوجه من الوجوه،

---

(١) سورة الواقعة ٨٣-٨٥.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٥٠٥-٥٠٦.

فهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، والمتأمل لنصوص القرآن يدرك هذا، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [١]، وقال: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [٢]، وقال: ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [٣]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٤]، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٥] وأضعاف ذلك، فهل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات والتصاقاً وامتزاجاً؟ حتى يقال: إن حقيقة المعية في حق الرب تعالى تقتضي ذلك ؟ [٦].

٢) أن لفظ المعية ورد عاماً وخاصاً، فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص [٧].

---

(١) سورة الفتح ٢٩.
(٢) سورة الحديد ١٤.
(٣) سورة التوبة ٨٣.
(٤) سورة التوبة ١١٩.
(٥) سورة الأعراف ١٥٠.
(٦) مختصر الصواعق ٢/ ٢٦٥.
(٧) شرح النزول ١٢٧ .

٣) أن الله –سبحانه وتعالى– أخبر أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)، فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه (٢).

وأما ما استدل به الحلولية على بدعتهم فقد تقدم بيان آيات المعية وأنها لا تقتضي الحلول والمخالطة، وأما القرب الوارد في الآيتين، فقد عرض الإمام ابن القيم بدعة الحلولية في ذلك وتمسكهم بهذه النصوص، قال: وأما ما ذكرتم من القرب، فإن أردتم عموم قربه إلى كل لسان من نطقه، وإلى كل قلب من قصده، فهذا لو صح لكان قرب قدرة وعلم وإحاطة لا قرباً بالذات والوجود، فإنه سبحانه لا يمازج خلقه، ولا يخالطهم، ولا يتحد بهم، مع أن هذا المعنى لم يرد عن الله ورسوله، ولا عن أحد من السلف الأخيار تسميته قرباً. وإن أردتم القرب الخاص إلى اللسان والقلب، فهذا قرب المحبة وقرب الرضى والأنس، كقرب العبد من ربه، وهو ساجد، وهو نوع آخر من القرب، لا مثيل له ولا نظير، فإن الروح والقلب يقربان من الله، وهو على عرشه، والروح والقلب في البدن، وهذا القرب لا ينافي القصد والطلب، بل هو مشروط بالقصد، فيستحيل

---

(١) سورة الحديد ٤ .

(٢) ينظر: علو الله على خلقه د. موسى الدويش ص٢٦١ .

وجوده بدونه، وكلما كان الطلب والقصد أتم، كان هذا القرب أقوى. ثم قال: فإن قيل: فكيف تصنعون بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[1] ؟ قيل: هذه الآية فيها قولان للناس: أحدهما: أنه قرب بعلمه، ولهذا قرنه بعلمه بوسوسة نفس الإنسان، والقول الثاني: أنه قربه من العبد بملائكته الذين يصلون إلى قلبه، فيكون أقرب إليه من ذلك العرق. اختاره شيخنا[2].

وأما الحديث فقد تقدم شرحه والتفصيل فيه، وبيان أنه قرب حقيقي خاص لله تعالى لبعض عباده على ما يليق به، ولا يقتضي ذلك الممازجة والمخالطة والحلول.

وبعض العلماء يفسرون القرب في الحديث بالعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وطائفة من أهل السنة تفسر القرب في الآية[3]، والحديث بالعلم، لكونه هو المقصود، فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده، وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول: إنه قريب من كل شيء بمعنى العلم والقدرة، فإن هذا قد قاله بعض السلف، كما تقدم عن مقاتل، وكثير من الخلف، ولكن لم يقل أحد منهم: إن نفس ذاته قريب من كل موجود، وهذا المعنى يقر به جميع المسلمين؛ ممّن يقول: إنه فوق العرش[4].

---

(١) سورة ق١٦.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٨٩-٢٩٠ وشيخه هو شيخ الإسلام ابن تيمية وتقدم بيان كلامه في هذه المسألة والتفصيل فيها، ينظر: ص٤١-٤٦.
(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وإذا سَألكَ عِبادي عنّي فإنِّي قريبٌ ﴾.
(٤) شرح حديث النزول ص١٢٦.

" وإنما فسر بعض أهل العلم القرب بالعلم رداً على الحلولية الذين فسروا القرب بحلول الله بذاته في عباده، ومن ثم استدلوا بنصوص القرب على عقيدتهم الحلولية الباطلة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –بعد أن ذكر تفسير بعض العلماء للقرب بالعلم– : وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري –جلّ وعلا– قريبة من وريد العبد ومن الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة، كما في لفظ المعية. ولا حاجة إلى هذا "[1].

وأما شبهة الحلولية العقلية فقد عرضها الإمام الدارمي، ونقضها، قال: فيقال لهذا المعارض المدعي مالا علم له : من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله؛ لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سمواته، علم يقيناً أن رأس الجبل أقرب إلى الله من أسفله، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة، ثم كذلك إلى الأرض. ثم ساق قول ابن المبارك[2] : رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها، ثم قال: وصدق ابن المبارك؛ لأن كل ما كان إلى السماء أقرب، كان إلى الله أقرب، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء من خلقه، وبعض الخلق أقرب إليه من بعض، على نحو ما

(١) فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٠٥ وما بين علامتي تنصيص من كلام أ.د/ محمد العلي في بحثه: الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب الحلول. عرضها ونقض استدلالهم بها ص٣٣-٣٤.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام عالم زمانه، أبو عبد الرحمن الحنظلي، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ. ينظر: السير ٨/ ٣٣٦، والحلية ٨/ ١٦٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢، والشذرات ١/ ٢٩٥.

فسرنا من أمر السموات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله، فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السموات كلها، والعرش أقرب إليه من السماء السابعة، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد، هذا معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن بأن فوق العرش إلهاً [١].

٢- أفضى هذا القول الساقط عند بعض المتصوفة إلى القول بإسقاط التكاليف الشرعية؛ فيزعم بعضهم سقوط التكليف عمن سما في درجة القرب من الله ﷻ، فلا صلاة عليه ولا زكاة ولا غيرهما من أوامر الله ﷻ، بل ويرون له استباحة المحرمات من الزنى والخمر وغيرهما مما حرمه الله ﷻ.

قال ابن القيم: وقد صرّح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء، فأخرجوهم من الإسلام، وقالوا: لو وصل العبد من القرب إلى الله أعلى مقام يناله العبد، لما سقط عنه من التكاليف مثقال ذرة [٢]. وقال: وليس الأمر كما ظنّه بعض الملاحدة المنتسبين إلى الطريق حيث قال: القرب الحقيقي تنقّل العبد من الأحوال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة، ويريح الجسد والجوارح من كدّ العمل. وهؤلاء أعظم كفراً وإلحاداً، حيث عطلوا العبودية، وظنّوا أنهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة وخدع الشيطان [٣].

(١) النقض على المريسي ص٢٩٠-٢٩١.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ١١٨.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ١١٨.

ثم بيّن ابن القيم -رحمه الله- أنه على المرء المسلم أن يكون أكثر عبادة والتزاماً في القيام بأوامر الله، والكف عن نواهيه، كلّما ترقى في درجات القرب من الله، قال: العبد كلما كان إلى الله أقرب كان جهاده في الله أعظم، وتأمل أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا كلما ترقوا من القرب في مقام عظُم جهادهم واجتهادهم[(١)].

ويبقى أن نعلق على قضية لها علاقة مما سبق، وهي أنه مما يدخل في معاني القرب -وليس في الطوائف من ينكره- القرب المعروف والمعهود إلى قلوب العارفين والعابدين، فإن كل من أحب شيئاً فإنه لابد أن يعرفه ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد من قلبه، لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحل في قلوب العارفين العابدين، وإنما في القلوب معرفته وعبادته ومحبته والإيمان به، ولكن العلم يطابق المعلوم، وهذا الإيمان الذي في القلوب هو المثل الأعلى الذي له في السموات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [(٢)]، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(٣)]، وقد غلط في هذا طائفة من الصوفية والفلاسفة وغيرهم، فجعلوه حلول الذات اتحادها بالعابد والعارف، من جنس قول النصارى في المسيح، وهو قول باطل[(٤)].

(١) مدارج السالكين ٣/ ١١٨ وينظر: موقف ابن القيم من بعض الفرق بمقدمة اجتماع الجيوش الإسلامية، للدكتور عواد المعتق ص١٤٢-١٤٣.
(٢) سورة الزخرف ٨٤.
(٣) سورة الأنعام ٣ .
(٤) شرح حديث النزول ص٩٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٥ و٦/ ٨ .

قال شيخ الإسلام – بعد حكايته قول المكي وقد سبق ذكره - : وهذا الذي ذكره من قربه وإطلاقه وأنه لا يتجلى بوصف مرتين، ولا يظهر في صورة لاثنين؛ هو حكم ما يظهر لبعض السالكين من قربه إلى قلوبهم وتجليه لقلوبهم، لا أن هذا هو وصفه في نفس الأمر، وأنه كما تحصل هذه التجليات المختلفة، تحصل يوم القيامة للعيون.

وهذا الموضع مما يقع الغلط فيه لكثير من السالكين؛ يشهدون أشياء بقلوبهم، فيظنون أنها موجودة في الخارج هكذا، حتى إن فيهم خلقاً من هم على المتقدمين والمتأخرين، يظنون أنهم يرون الله بعيونهم، لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة، ويغيب بشهوده فيها غيبة حصل لقلوبهم، ويحصل لهم فناء واصطلام(١)، فيظنون أن هذا هو أمر مشهود

(١) الفناء عند الصوفية له عدة معان، منها: سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة، ومنها: أنه تبديل الصفات البشرية بالصِفات الإلهية، أو هو عدم شعور الشخص بنفسه أو بلوازم نفسه، وهو درجتان: فناء عن شهود ما سوى الله، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمعروفه عن معرفته، بحيث يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوى الله، والدرجة الثانية: فناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، بحيث يرى أنه ليس في الوجود إلا الله، وهناك فناء شرعي، وهو الفناء عن عبادة غير الله بعبادته وحده . ينظر: التعريفات ص٩٠، والتدمرية ١٨٧ و٢٢١-٢٢٢.
وأما الاصطلام فهو عند الصوفية: الفناء عن شهود السوى، وهو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكى أن رجلاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت، فلم وقعت أنت ؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني. ينظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٣ و٣٦٨ و٨/ ٣١٠ و١٩/ ٢٧٧، ومدارك السالكين ٢/ ٢٨٨، والتعاريف ٦٨.

بعيونهم، ولا يكون ذلك إلا في القلب، ولهذا ظنّ كثير منهم أنـه يـرى الله بعينه في الدنيا. وهذا مما وقع لجماعة من المتقدمين والمتأخرين، وهـو غلـط محض[١].

(١) شرح حديث النزول ص١١٨ وينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٢-٤٩٣ و٢٤٩ .

المبحث الثالث :

الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] والكلابية[٣] والفلاسفة[٤]وغيرهم[٥] .

(١) فرقة كلامية ينتسب أصحابها لأبي الحسن الأشعري ت٣٢٤هـ. وهم يقولون بإثبات سبع صفات فقط، وهي: العلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، ويؤولون ما عداها، ويقولون بعدم حجية أخبار الآحاد في العقيدة، ويقولون بالإرجاء في مسائل الإيمان، وبعضهم يميل إلى الجبر، ويسمونه الكسب، ولهم بدع أخرى. ينظر فيهم: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/ عبد الرحمن المحمود، ومنهج الأشاعرة في العقيدة، لسفر الحوالي، ومنهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد العبادة، لخالد نور. الموسوعة الميسرة ١/ ٨٧-٩٨ .

(٢) فرقة كلامية منسوبة إلى أبي منصور الماتريدي ت٣٣٣هـ، يضطربون في نصوص الصفات بين التفويض والتأويل، ويرون عدم حجية خبر الآحاد، وأثبتوا الصفات السبع، وزادوا عليها صفة التكوين، ويقولون بالتحسين والتقبيح العقلي، ووقوع المجاز في اللغة والقرآن والحديث. ووافقوا أهل السنة في السمعيات عدا القول بالرؤية في الآخرة ، فقد وافقوا الأشاعرة في إثباتها ونفي الجهة والمقابلة. ينظر: منهج الماتريدية في العقيدة د/ محمد الخميس، والماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني، والماتريدية، دراسة وتقويم، لأحمد الحربي، والموسوعة الميسرة ١/ ٩٩-١١٠ .

(٣) فرقة كلامية منسوبة إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب ت٢٤٠، وقيل ٢٤١هـ من المشهورين بالردود على المعتزلة، يثبت الأسماء والصفات، ولكن ينفي ما يتعلق منها بمشيئة الله وإرادته بناءً على نفي حلول الحوادث بذات الله. ويثبت الرؤية لله كما أثبتها أهل السنة. ينظر فيهم: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود ١/ ٤٤٢، ودرء التعارض ٦/ ١٩٣، ونشأة الفكر الفلسفي، للنشار ١/ ٢١٧.

(٤) الفلسفة في الأصل كلمة يونانية مركبة من كلمتين فيلا بمعنى الإيثار والمحبة، وسوفيا بمعنى: الحكمة، فالفيلسوف مؤثر للحكمة. وأطلقت الفلسفة قديماً على تفسير المعرفة تفسيراً عقلياً، وكانت الغاية منها عند أصحابها البحث عن الحقيقة عن طريق النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة، وهي بهذا المعنى من أخطر الطواغيت المحاربة للإيمان والأديان، وقد دخلت الفلسفة للعالم الإسلامي عن طريق ترجمة كتب اليونان في عصر الخليفة العباسي المأمون، ومذهبهم أن الله موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزيئات، ولا يؤمنون بأن الله يتكلم، وينكرون الملائكة واليوم الآخر. ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٧٣، الموسوعة الميسرة ٢/ ١١١٨-١١٢١، وشرح الطحاوية ص٤٠٢ .

(٥) وأباضية الخوارج على مذهب الأشاعرة في تأويل القرب بالرحمة. ينظر: تفسير هميان الزاد، لأطفيش ١٢/ ٨٠، والخوارج د/ ناصر العقل ص٩٠. وأحال الشيخ -حفظه الله- إلى مجموعة من كتب الأباضية.

يرى الأشاعرة أن وصف الله بالقرب يقتضي قطع المسافات، وتداني الأجسام بزعمهم، وذلك في حقه تعالى محال، فيتعين حمله على المجاز، ويكون تأويله: الإثابة، أو قرب الرتبة والكرامة[١]. ويقررون أن ما ورد من نصوص القرب فهو استعارة ومجاز[٢]. فقرب الله يؤول -عندهم- باللطف والعرفان والرضوان والامتنان[٣] والإنعام والإفضال والرحمة[٤].

قال التهانوي[٥]: قال الراغب[٦]: قرب الله من العبد هو الإفضال عليه والفيض، لا بالمكان[٧].

وقال القاضي عياض[٨]: إضافة القرب إلى الله تأنيس للنبي ﷺ وإكرام

---

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر ١٣/ ٥١٣-٥١٤ و٣٧٤-٣٧٥، وشرح الكرماني للبخاري ٢٥/ ٢٢٨، وعمدة القاري، للعيني ٢٥/ ١٨٩ .

(٢) عمدة القاري ٢٥/ ٩٢، وشرح الكرماني ٢٥/ ١٨، وإكمال المعلم ٨/ ٢٠١، وشرح مسلم للنووي ٩/ ٢٧/ ٢٨.

(٣) الفتح ١١/ ٣٤٣ .

(٤) تفسير القرطبي ١/ ٣٠٨، وتفسير ابن عاشور ١٢/ ١٠٩، وتفسير البيضاوي ١/ ١٠٦ و٤٦١، والأسماء والصفات، للبيهقي ٢/ ٣٥٣ و٣٨٤ .

(٥) هو محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، عالم لغوي من الهند. كان حياً سنة ١١٥٨هـ. ينظر: معجم المؤلفين ٣/ ٥٣٧، والأعلام ٧/ ١٨٨، وهدية العارفين ٢/ ٣٢٦.

(٦) هو الحسين بن محمد بن المفضل، الشيخ الراغب الأصفهاني، صاحب التصانيف. توفي سنة نيف وخمسمائة وقيل ٤٥٢ . ينظر: السير ١٨/ ١٢٠، وبغية الوعاة، للسيوطي ٢/ ٢٩٧، والأعلام ٢/ ٢٥٥ .

(٧) المفردات ص٤٠٨، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٩ .

(٨) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، الشيخ العلامة القاضي، أبو الفضل الأندلسي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: السير ٢٠/ ٢١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣، والشذرات ٤/ ١٣٨ .

له، وبيان عظم المنزلة عند الله [١].

ويقول الغرناطي: وقيل: إنها لله تعالى -يعني إضافة الدنو إلى الله في آية النجم-، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل؛ إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك [٢].

وقال الرازي[٣] -في بيان الأقوال في الدنو في آية النجم- : الثالث: وهو ضعيف سخيف، وهو أن المراد منه هو ربه تعالى، وهو مذهب القائلين بالجهة والمكان، اللهم إلا أن يريد القرب بالمنزلة، وعلى هذا يكون فيه ما في قوله ﷺ حكاية عن ربه تعالى: " من تقرب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً.." إشارة إلى المعنى المجازي، وههنا لما بيّن أن النبي ﷺ استوى وعلا في المنزلة العقلية لا في المكان الحسي [٤].

(١) الشفاء بشرح القاري ٢/ ٥٠٠، ونقله الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٨٤. ويعني -رحمه الله- ما ورد من الدنو والقرب في ليلة المعراج.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٣٦ .

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، الشيخ العلامة، أبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي، عالم من كبار علماء الأشاعرة، ولد سنة ٥٤٣هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٦٠٠، وطبقات السبكي ٥/ ٣٥، والوافي بالوفيات، للصفدي ٤/ ٢٤٨، والشذرات ٥/ ٢١.

(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٨٦ .

ويؤول القرطبي قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: دنا سبحانه، بأنه دنا أمره وحكمه[١]. ويؤول ابن الجوزي القرب بقرب الرحمة واللطف[٢].

وأما الماتريدية؛ فهم ينفون صفة القرب لله ﷻ، ويقولون: القرب يقع من العبد لا من الله، وهو من قبيل المتشابه[٣]. ويقررون أن القرب يقتضي المكان، والقرب والمجيء والنزول من صفات المخلوقين، وهي مستلزمة للمكان، فلا يجوز وصف الله بها[٤].

وأما الكلابية[٥]؛ فهم ينكرون صفة القرب، مثل من يقول: لا تقوم الأمور الاختيارية به[٦].

وقد جاء ابن كلاب بعد خروج الجهمية والمعتزلة وإنكارهم الصفات، فخالفهم في ذلك، وأثبت الصفات والعلو على العرش، لكن وافقهم على

(١) ذكره الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٧٤.
(٢) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص١٨٥-١٨٦ و٢٣٣ و٢٤٦. وينظر من كتب الأشاعرة: مشكل الحديث، لابن فورك٥٦، وعمدة الحفاظ، لابن السمين ٣/ ٢٠٩٦، والتفسير الكبير، للرازي ٥/ ٢٠٥، وشرح سنن النسائي، للسيوطي ٢/ ٢٢٦-٢٢٧، وروح البيان، للبرسوي ١/ ٢٩٦، وحاشية السندي على النسائي ٢/ ٢٢٦ .
(٣) شرح الفقه الأكبر، للماتريدي ص٦٨ .
(٤) تأويلات أهل السنة، للماتريدي ص٣٧٧، بحر الكلام، للنسفي ص١١٠.
(٥) لابن كلاب بعض المؤلفات، مثل كتاب الصفات، وخلق الأفعال، والرد على المعتزلة، كما في السير ١١/ ١٧٦ والفهرست، لابن النديم ٢٣٠، ولم يصل إلينا شيء من هذه المؤلفات، ولذلك يعتمد في بيان آرائه وأقواله على الناقلين عنه، أو عن بعض كتبه، ومن أهم المصادر في النقل عنه ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/ عبد الرحمن المحمود ١/ ٤٤٢.
(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١٣٤ .

أنه لا تقوم به الأمور الاختيارية؛ ولهذا أحدث قوله في القرآن: إنه قديم، لم يتكلم به بقدرته، ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف، بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته .

فالذين يثبتون أنه كلّم موسى بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً به، هم الذين يقولون: إنه يدنو، ويقرب من عباده بنفسه، وأما من قال: القرآن مخلوق أو قديم، فأصل هؤلاء أنه لا يمكن أن يقرب من شيء، ولا يدنو إليه، فمن قال منهم بهذا مع هذا، كان من تناقضه، فإنه لم يفهم أصل القائلين بأنه قديم(١).

فهم وإن أثبتوا الأسماء والصفات، لكن ينفون منها ما يتعلق بمشيئة الله وإرادته، بناءً على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، والكلابية بذلك وافقوا المعتزلة على هذا الأصل المقرر عندهم المبني على دليل حدوث الأجسام، وهو أن من قامت به الحوادث لا يخلو منها، فنفوا جميع الصفات عن الله تعالى بناءً على ذلك، أما ابن كلاب فقد خالفهم، فأثبت لله الصفات الذاتية والمعنوية، وجعلها أزلية، ونفى الصفات الاختيارية لموافقته لهم على هذا الأصل(٢). وأما الفلاسفة فيقررون أن قرب العبد إلى الله معناه التخلق بصفات الله، والتشبه بالإله على قدر الطاقة(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٦٦-٤٦٧ وينظر: نقض التأسيس ٢/ ق١٨٢.
(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د/ عبد الرحمن الحمود ١/ ٤٤٥ .
(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٦ و٥/ ٢٤٦٥، وفتح الباري، لابن حجر ١٣/ ٥١٣ .

• **الرد على الفرق المتقدمة .**

أما الأشاعرة فيقولون –كما تقدم– إن وصف الله بالقرب مجاز؛ لأنه يقتضي المكان، ويؤولون القرب بالرحمة والعطف والإفضال والإنعام، وقرب الرتبة والمنزلة.

وسيكون الرد عليهم من عدة أوجه :

أولاً: دعوى المجاز في نصوص الصفات .

" هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، وجعلوه جنةً يترسون بها من سهام الراشقين، ويصدرون عن حقائق الوحي المبين "[1].

قال ابن القيم: ومما ينبغي أن يعلم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، ليس تقسيماً شرعياً، ولا عقلياً ولا لغوياً، فهو اصطلاح محض، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين. ثم شرع –رحمه الله– في كسر هذا الطاغوت من وجوه عديدة ماتعة[2].

ولا شك أن القول بالمجاز في القرآن باطل محدث، يقول العلامة الشنقيطي[3] –بعد بيانه مذهب أهل السنة في الصفات– : وطريق مناظرة

(١) من كلام ابن القيم، كما في مختصر الصواعق ص٢٧١ .

(٢) ينظر: مختصر الصواعق ص٢٧٣ وما بعدها.

(٣) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عالم مفسر بارع، ولد سنة ١٣٢٥هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ بمكة. ينظر: الأعلام ٦/ ٤٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ١٤٦ .

القائل بالمجاز في القرآن، هي أن يقال: لا شيء من القرآن يجوز نفيه، وكل مجاز يجوز نفيه، ينتج من الشكل الثاني: لا شيء من القرآن بمجاز، وهذه النتيجة كلية سالبة صادقة، ومقدمتا القياس الاقتراني الذي أنتجها لا شك في صحة الاحتجاج بهما؛ لأن الصغرى منه، وهي قولنا: لاشيء من القرآن يجوز نفيه، مقدمة صادقة يقيناً، لكذب نقيضها يقيناً؛ لأن نقيضها هي قوله: بعض القرآن يجوز نفيه، وهذا ضروري البطلان، والكبرى منهما، وهي قولنا: وكل مجاز يجوز نفيه صادقة بإجماع القائلين بالمجاز، ويكفينا اعترافهم بصدقها؛ لأن المقدمات الجدلية يكفي في قبولها اعتراف الخصم بصدقها، وإذا صح تسليم المقدمتين صحت النتيجة التي هي قولنا: لاشيء من القرآن بمجاز، وهو المطلوب [(١)].

والقول بالمجاز في الصفات مبني على توهم باطل، وهو التشبيه؛ فإن المؤولة لم يفهموا من نصوص الصفات عامة، والقرب خاصة، إلا مثل ما هي عند المخلوق، فصرفوها عن الحقيقة إلى المجاز، فشبهوا أولاً، ثم أوّلوا ثانياً، فجمعوا بين أمرين فاسدين: التشبيه، والتعطيل.

وأما أهل السنة والجماعة، فيمرّون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله ﷻ، من غير تكييف ولا تمثيل.

(١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص٧-٨ .

" فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علـوِّه؟ وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيـل؟ وهـل هـذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟ "[1].

ولا شك أنه ليس في نصوص القرب أي قرينة تفيد صرفه عن معناهـا الشرعي، بل إن القرب أيضاً ثبت بلفظ النـزول الـذي يـدل عـلى المعنـى نفسه، الأمر الذي يحيل وقوع المجاز في هذه الـصفة. فقـد صـح الحـديث بلفظ النزول، وجاء بلفظ الهبوط والتدلي والدنو، فهذه الألفاظ دالـة عـلى نفي المجاز في هذه الصفة، وإثبات القرب على الحقيقـة كـما يليـق بـالله ﷻ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

ومما يرد به على هؤلاء المخالفين أن القـول بالمجـاز في الـصفات يرفـع الأمان والثقة باللغات، ويبطل فائـدة التخاطـب، إذ لا يـشاء الـسامع أن يخرج اللفظ عن حقيقته إلا وجد إلى ذلك سبيلاً[2].

كما أن الله ﷻ وصف نفسه بالقرب، ووصفه بالقرب أعلـم الخلـق بـه، وأنصحهم للأمـة، وأقـدرهم عـلى العبـارة التـي لا توقـع لبـساً، وتلقـى الصحابة –رضوان الله عليهم– هذه الـصفة، وبلغوهـا الأمـة، ولم يقـرن بألفاظ الأحاديث أو أقوال الصحابة ولا مرة واحدة ما يدل على المجاز في صفة القرب، بل تأتي النصوص بما يـدل عـلى إرادة الحقيقـة، فلـو كانـت

(١) من كلام العلامة ابن عثيمين في كتابه "القواعد المثلى" ص٧٤.
(٢) مختصر الصواعق ص٤٢١ .

إرادة الحقيقة باطلاً، وهي منفية، لزم القدح في علمه ﷺ أو نصحه أو بيانه(١).

كما أن القرب والمجيء والنزول من أنواع أفعاله، وهو الفعال لما يشاء، وأفعاله قائمة به كصفاته، فإن كانت هذه الأفعال مجازاً، فأفعاله كلها مجاز، ولا فعل له في الحقيقة، بل هو بمنزلة الجمادات(٢).

وأهل السنة مجمعون -كما قال الإمام ابن عبد البر- على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك... وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبه، وهم عند من أقرَّ بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة، والحمد لله(٣).

" فإن قيل: إذا منعتم المجاز في آيات الصفات، فما معنى الحقيقة فيها؟ فالجواب أن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها، فللخالق -جلّ وعلا- صفات حقيقية تليق به، وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمه، وكل من ذلك حقيقة في محله. ومعاني صفات الله -جلَّ وعلا-

(١) مختصر الصواعق ص٤٢٣-٤٢٥، بتصرف.
(٢) مختصر الصواعق ص٤٢٨-٤٢٩ .
(٣) التمهيد ٧/ ١٤٥.

معروفة، وكيفياتها لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك، وأم سلمة: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

والدليل على أن الكيف غير معقول قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾(١).

وحاصل تحرير الحق في مسألة آيات الصفات على وجه لا إشكال فيه مبني على أمرين:

الأول: الإيمان بكل ما ثبت في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة على وجه الحقيقة لا المجاز .

الثاني: نفي التشبيه والتمثيل عن كل وصف ثبت لله في كتاب أو سنة صحيحة.

فإن قيل: يلزم من إثبات صفة الوجه واليد والاستواء ونحو ذلك مشابهة الخلق؟ فالجواب: أن وصفه بذلك لا يلزمه مشابهة الخلق، كما لم يلزم من وصفه بالسمع والبصر مشابهة الحوادث التي تسمع وتبصر، بل هو تعالى متّصف بتلك الصفات المذكورة التي هي صفات كمال وجلال، من غير مشابهة للخلق ألبتة، فهي ثابتة له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما أن صفات المخلوقين ثابتة لهم حقيقة على الوجه المناسب لهم، فبين الصفة والصفة من تنافي الحقيقة مابين الذات والذات.

---

(١) سورة طه ١١٠ .

فإن قيل: بيّنوا كيفية الاتصاف بها لنعقلها، قلنا: أعرفتم كيفية الذات المتصفة بها؟ فلابد أن يقولوا: لا، فنقول: معرفة كيفية الصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فإن قال الخصم: هو ذات، لا كالذوات، قلنا: وموصوف بصفات لا كغيرها من الصفات. فسبحان من أحاط بكل شيءٍ ولم يحط به شيء ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا** ﴾[1].

ثانياً: شبهة المكان (الجهة) .

هذه الشبهة من أشهر الشبه التي يتمسك بها المؤولة للصفات الاختيارية، ومنها القرب، فيقولون -كما تقدم بيان أقوالهم-: لو أثبتنا صفة القرب على ظاهر النصوص لأثبتنا أن الله في مكان.

ولفظ الجهة والمكان من الألفاظ المجملة، فلا تثبت ولا تنفى، حتى يتبين المراد منه، فالجهة والمكان يُراد به شيء عدمي، وهو ما فوق العالم، فنقول بهذا المعنى: إن الله فوق العالم، نرفع أيدينا إليه، ونشير إليه، وإذا سئل أحدنا: أين الله ؟ أشار بإصبعه السبابة إلى فوق، وهذا دلّت عليه الكتب المنزلة، وأقوال الأنبياء وإجماع أهل السنة والعقل الصحيح، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، والأدلة التي تدل على ذلك تزيد على ألف دليل.

(١) سورة طه١١٠. وينظر: منع جواز المجاز، للشنقيطي ص٤٣-٤٥ بتصرف .

وإنْ قالوا: الله ليس في مكان ولا جهة بهذا المعنى، فإن هذا يعني أن الله ليس له وجود ألبتة، فإن كل موجود لابد ضرورة أن يكون في مكان بهذا المعنى وفي جهة، وهذا هو الفرق بين الوجود والعدم، أما قولهم: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا خلف ولا أمام، ولا هو مباين للعالم، ولا هو محايث له، فقد جعلوا ربهم عدماً محضاً لا وجود له ألبتة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإنك لو وصفت العدم المحض، لما استطعت أن تصفه بأعظم من هذا الذي قالوه، والعجيب أنهم مع وصفهم له -سبحانه وتعالى- بهذه السلوب؛ فهم يقولون: هو موجود، وهذا من أبين المحالات في العقل (١).

وإن أرادوا بالجهة والمكان أمراً وجودياً، وأن يكون هناك شيء مخلوق يحيط بالله تعالى، فهذا الذي ينزّه الله تعالى عنه، فإنه تعالى لا يحيط به شيء، بل هو أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، وهو تعالى وإن قرب من بعض عباده، لا يستلزم ذلك أن يحيط به شيء، بل يقرب، وهو فوق عرشه باقٍ على عظمته وعلوّه، بائن من خلقه، ولا يستلزم ذلك ممازجة ولا مخالطة بشيء من المخلوقات (٢).

وقد جاء في الصحيح لفظ يقصم ظهور المؤولة في صفة القرب والدنو، وهو قوله ﷺ -في حديث الإسراء والمعراج- : ((**حتى جاء**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٤/ ٢١٠ و٢١٢ والتدمرية ص٦٦، ومختصر الصواعق ٤٥٠-٤٥١.

(٢) ينظر نحو ذلك في: صفة النزول الإلهي، للغامدي ص٤٧٠ .

سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى))[١] قال الخطابي: ليس في الصحيح[٢] حديث أشنع ظاهراً، ولا أبشع مذاقاً من هذا الحديث، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي يعلو من فوق إلى أسفل[٣]. ونقل الحافظ ابن حجر ذلك[٤]، وساق جملاً من اعتراضات الخطابي على إثبات عدم صحة هذه الرواية منها: أن هذا الحديث كان رؤيا منامية، فهو مثل ضرب؛ ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وأن هذه القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه، ولم يعزها إلى النبي ﷺ، وأن القصة من رواية شريك[٥]، وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة[٦].

أما دعوى أن القصة كانت رؤيا منام فقد رد الحافظ ابن حجر هذه الدعوى في الفتح[٧]، وقد جمع الحافظ ابن كثير روايات هذه القصة من

---

(١) صحيح البخاري ٧٥١٧ عن أنس بن مالك ﵁.
(٢) يعني صحيح البخاري.
(٣) أعلام الحديث ٤/ ٢٣٥٢ .
(٤) الفتح ١٣/ ٤٨٣ .
(٥) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني المحدث، قال ابن معين والنسائي: ليس به بأس، ووثقه أبو داود. مات قبل الأربعين ومائة. ينظر: السير ٦/ ١٥٩-١٦٠، والجرح والتعديل ٤/ ٣٦٣، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٧ .
(٦) فتح الباري ١٣/ ٤٨٣-٤٨٤ .
(٧) الفتح ١٣/ ٤٨٠ .

طرقها المختلفة، ثم قال: والحق أنه -عليه السلام- أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق،.. ثم أتي بالمعراج، فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع(١).

وأما دعوى أن القصة من حكاية أنس ﷺ من عند نفسه، فقد ردّها الحافظ قائلاً: وما نفاه من أن أنساً لم يسند هذه القصة إلى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي، فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ، أو عن صحابي تلقاها عنه (٢).

وأما الطعن في شريك راوي الحديث فهو مردود بإخراج الإمام البخاري(٣) له في الصحيح، وبما ذكره الحافظ في الشرح من توثيق أئمة الجرح والتعديل له، وقبولهم إياه، واحتجاجهم به في تصانيفهم (٤)، فلا سبيل إذاً إلى الطعن فيه.

وأما ما جزم به الخطابي من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي، فقد ذكر الحافظ في شرحه من وافق شريكاً فيها (٥). وقد سبق الكلام عن هذه الآية وذكر أقوال من نسب الدنو إلى الله ﷻ فيها (٦).

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٧٥٤-٧٦٧ .

(٢) الفتح ١٣/ ٤٨٣-٤٨٤ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن المغيرة، الإمام أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ. ينظر: السير ١٢/ ٣٩١، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٧١، وتاريخ بغداد ٢/ ٤و٣٣، والشذرات ٢/ ١٣٤ .

(٤) الفتح ١٣/ ٤٨٥ .

(٥) الفتح ١٣/ ٤٨٤ . وينظر: منهج ابن حجر في العقيدة، لمحمد كندو ٢/ ٧٨٢-٧٨٤ .

(٦) ينظر: ص٤٧-٤٨.

ثالثاً: الرد على تأويلات المخالفين في صفة القرب .

يرد على تأويل صفة القرب بالرحمة والعطف ونحوهما بالآتي:

١-أن الله ﷻ راحم ومتعطف مع عدم القرب والدنو، كما هو بعد القرب والدنو، فلا يصح حمله على مالا يفيد [١].

٢-أن هذا التأويل لا يصح في قوله تعالى: ﴿ **وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ** ﴾، ومعلوم أن هذا يتناول المؤمن والكافر، والثاني لا يقرب من رحمته .

٣-أن هذا التأويل إنما يجيء في قرب العبد من الرحمة، لا يقال: قرب رحمته ودنوها من العبد، وهذا لا يستقيم.

٤-يُقال: قوله: " من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً " إما أن يُراد بكل واحد من المقربين قرب رحمته ودنوها من العبد، أو يُراد بأحدهما غير ذلك، والأول ممتنع؛ لأن أحد المتقربين لو كان هو الآخر لكان جزاء العمل هو العمل. وهذا باطل، فلابد أن يكون أحدهما غير المعنى الذي ذكر؛ ولأنه قال: ((**من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت منه ذراعاً**)) فجعل الثاني ضعف الأول، فيمتنع أن يكون إياه.

٥-أن قرب الرحمة ودنوها من العبد ليس من فعله ومقدوره، وإنما هو من فعل الله، فلا يصلح أن يفسر به تقرب العبد، بل الذي يفسر به القرب إنما يفسر به قرب الله تعالى [٢].

---

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى ١/ ٢٢٨ .

(٢) نقض التأسيس، لابن تيمية ٢/ ق١٨٦ .

٦-أن المصطفى ﷺ قال: ((**يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيدنيه الله تعالى منه، فيضع كنفه عليه حتى يستره..**)) فقوله: " يدني عبده " غير ممتنع حمله على ظاهره وأنه دنو من ذاته [١].

فكل ذلك ألفاظ صريحة يعلم من سمعها بالاضطرار أن الذي يدنيه منه، ويضع كنفه عليه، ويقرره بذنوبه، ويغفرها له هو الله ، لا أحد من خلقه. فكيف يجوز أن يقال: لا يدنو العبد من ربه، وإنما يدنو من بعض مخلوقاته؟! وهل ذلك إلا بمثابة أن يقال: إن الذي يقرره بذنوبه هو بعض مخلوقاته، كما تقوله الجهمية، القائلون بأن الله لا يقوم به كلام، وإنما الكلام يقوم ببعض مخلوقاته؟! وكلاهما بمنزلة أن يقال: إن الله لا يغفر له، وإنما يغفر له بعض مخلوقاته. وهذا يؤول إلى قول الفلاسفة وغيرهم [٢].

وأما الماتريدية فهم من نفاة الصفات الاختيارية [٣]، بناءً على قولهم بنفي حلول الحوادث بالرب تعالى.

---

(١) إبطال التأويلات ٢/ ٢٢٧. والكَنَفَ صفة ثابتة لله بالسنة الصحيحة كما في الحديث المذكور في المتن، قال ابن المبارك: الكنف: الستر، كما في خلق أفعال العباد ١٠٣ قال الشيخ عبد الله الغنيمان: قوله: " حتى يضع كنفه عليه " : جاء الكنف مفسراً في الحديث بأنه الستر، والمعنى أنه تعالى يستر عبده عن رؤية الخلق له؛ لئلا يفتضح أمامهم فيخزى؛ لأنه حين السؤال والتقرير بذنوبه تتغير حاله، ويظهر على وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه الكرب والشدة. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢/ ٤٢٣ .

(٢) نقض التأسيس ٢/ ق١٨٨ .

(٣) ينظر: الماتريدية دراسة وتقويم، للمربي ص٢٩٣، وعداء الماتريدية للعقيدة السلفية للشمس الأفغاني ١/ ٥٠٧ .

ونفي حلول الحوادث بالرب تعالى فيه إجمال، فإن أريد به أن الله تعالى لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته، أو أنه لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء، ولا يغضب، ولا يرضى، ولا أنه يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان والقرب ونحو ذلك، فهذا نفي باطل [١].

وقولهم بنفي الصفات الاختيارية احتجاجاً بامتناع حلول الحوادث بذات الرب تعالى قول لا دليل عليه، وإنما عمدتهم أن الكرامية قالوا ذلك وتناقضوا، فيبيّنون تناقض الكرامية، ويظنون أنهم إذا بيّنوا تناقض الكرامية –وهم منازعوهم– فقد فلجوا، ولم يعلموا أن السلف وأئمة السنة والحديث تكلموا بذلك قبل أن تخلق الكرامية [٢].

وأساطين الفلاسفة والمتكلمين ذكروا حجج النفاة لحلول الحوادث، وبيّنوا فسادها كلها، وذكروا أن مذهب المتكلمين في نفي حلول الحوادث ليس لهم فيه حجة عقلية ولا سمعية [٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ص٩٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٢٢ .

(٣) ينظر: مناهج الأدلة، لابن رشد ١٤١-١٤٤، والأربعين في أصول الدين، للرازي ١١٨-١٢٠ ودرء التعارض ٤/ ٢٧ (نقلاً عن د/ أحمد الحربي من كتابه الماتريدية ص٣٠٦)،

قال الآمدي [١]: قالوا: لو جاز قيام الحوادث بذات الباري تعالى لاستحال خلوُّه عنها، وما استحال خلوُّه عن الحوادث فهو حادث، والباري مستحيل أن يكون حادثاً. واعلم أن هذا المسلك ضعيف جداً [٢]. ثم ذكر حججهم وبيّن فسادها [٣].

ودعوى الماتريدية أن صفة القرب ضمن المتشابه دعوى مجانبة للحق؛ فإنه لا يصح القول: إن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فمقتضى هذه الدعوى أن هذه النصوص ليس لها معانٍ معلومةٌ للعباد؛ وهذا باطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة، ولا عن الأئمة، لا أحمد بن حنبل، ولا غيره، أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إنّ الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معانٍ صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية، وردوها، وأبطلوا التي مضمونها تعطيل النصوص عمّا دلّت عليه.

---

(١) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، الشيخ العلامة، أبو الحسن سيف الدين الآمدي التغلبي، ولد سنة ٥٥١هـ وكان من علماء الأشاعرة، توفي سنة ٦٣١هـ ينظر: البداية والنهاية ١٧/ ٢١٤-٢١٥، والسير ٢٢/ ٣٦٤، وطبقات السبكي ٨/ ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣ .

(٢) غاية المرام ١٨٧ .

(٣) الماتريدية، للحربي ص٣٠٦ .

ونصوص أحمد والأئمة قبله بيّنة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية، ويقرون النصوص على ما دلّت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلّت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك.

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب: " الرد على الزنادقة والجهمية "(١) أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه، وبيّن معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين، ويُفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته (٢).

ومنشأ الخطأ عند من يجعل نصوص الصفات من المتشابه، أنهم جعلوا المتشابه مجهول المعنى، فإذا قالوا: إن نصوص الصفات من المتشابه، فإنهم يعنون بذلك أنها مجهولة المعنى، ولا يُفهم منها شيء معين.

وهذا الزعم باطل بلا شك، فإنّ الله -سبحانه وتعالى- حثّنا على تدبّر كتابه، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٣)، ولم

---

(١) ص٨٦. تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٩٤-٢٩٥ .

(٣) سورة محمد ٢٤ .

يستثن من القرآن شيئاً، لا آيات الصفات، ولا غيرها، ولم لم تكن مفهومة المعنى لم يكن للتدبّر فائدة .

وأيضاً فإن السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلّموا في جميع نصوص القرآن، آيات الصفات وغيرها، وفسّروها بما يوافق دلالتها وبيانها. ولو كان معاني هذه الآيات منفياً أو مسكوتاً عنه، لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه[1].

وأما الكلابية فقد سبق بيان تناقضهم في هذه الصفة.

وأما الفلاسفة فيفسرون قرب العبد على معنى إزالة النقائص والعيوب من نفسه، وتكميلها بالصفات الحسنة، حتى يكون مقارباً للرب مشابهاً له.

ويقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة،، وأما حركة الروح فممتنعة عندهم، وكذلك يقولون في قرب الملائكة.

وعند هؤلاء أن معراج النبي ﷺ إنما هو انكشاف حقائق الكون له.

وكلام هؤلاء يشتمل على حق وباطل، فالذي أثبتوه من تزكية النفس عن العيوب وتكميلها بالمحاسن حق في نفسه، لكن زعمهم أن لا معنى للنصوص إلا ذلك، وأن لا حق وراء ذلك، وأن الجنة والنار عبارة عن ذلك، والوصف المذكور عنهما في الكتب الإلهية إنما هو عبارة عن أمثال

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠٧-٣٠٨ .

مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني، وأن الملائكة والجن هي أعـراض، وهـي قوى النفس الصالحة والفاسدة، وأن الروح لا تتحرك، وإنما ينكـشف لهـا حقائق الكون، فيكون ذلك قربها إلى الله، وأن معراج النبي ﷺ هو من هذا الباب، لا شك أن هذا الكلام باطل [١].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٢٤-٢٥. ومن الفلاسفة من يفسر قول القائلين بأنه أقرب إلى كل شيء من نفس ذلك الشيء، بأن الأشياء معدومة من جهة أنفسها، وإنما هي موجودة بخلـق الـرب -سبحانه وتعالى- لها، وهي باقية ببقائه، وهو -سبحانه وتعالى- ما شاء كان، ومـا لم يـشأ لم يكـن، فلا موجود إلا بإيجاده، ولا باقٍ إلا بإبقائه، فلو قدر أنه لم يشأ خلقها وتكوينها لكانـت باقيـة عـلى العدم، ولا وجود لها أصلاً، فصار هو أقرب إليها من ذواتها، فتكوين الشيء وخلقـه وإيجـاده هـو فعل الرب -سبحانه وتعالى- أقرب إلى المخلوقات من المخلوقات إلى أنفسها بهذا الاعتبـار. وقـد يفسر بعضهم قوله تعالى: { كل شيءٍ هالك إلاّ وجهَه } بهذا المعنى؛ فإن الأشـياء كلهـا بـالنظر إلى أنفسها عدم محض، ونَفْي صرف، وإنما هي موجودة تامة بالوجد الذي لها إلى الخالق، وهو تعلّقهـا به، وبمشيئته وقدرته، باعتبار هذا الوجه كانت موجودة، وبالوجه الذي يـلي أنفـسها لا تكـون إلا معدومة، وقد يفسرون بذلك قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

ولا يقال: هذه المقالة صحيحة في نفسها، فإنها لولا خلقه للأشياء لم تكن موجودة، ولولا إبقاؤه لها لم تكن باقية. وقد تكلم النظار في سبب افتقارها إليه، هل هو الحـدوث – فـلا تحتـاج إلا في حـال الإحداث، كما يقول ذلك من يقوله من الجهمية والمعتزلة ونحوهم – أو هو الإمكان الذي يظن أنه يكون بلا حدوث يلي بكون الممكن المعلول قديماً أزلياً، ويمكن افتقارها في حال البقاء بلا حدوث ، كما يقوله ابن سينا وطائفة؟ وكلا القـولين خطـأ كـما قـد بـسط في موضـعه، وبَـيّنٌ أن الإمكـان والحدوث متلازمان كما عليه جمـاهير العقـلاء مـن الأولـين والآخـرين، حتـى قـدماء الفلاسـفة كأرسطو وأتباعه، فإنهم أيضاً يقولون: إن كل ممكن فهو محدث، وإنما خـالفهم في ذلـك ابـن سـينا وطائفة؛ ولهذا أنكر عليه إخوانه كابن رشد وغيره، والمخلوقات مفتقرة إلى الخالق، فالفقر وصـف لازم لها دائماً لا تزال مفتقرة إليه، والإمكان والحدوث دليلان على الافتقار؛ لأن هـذين الوصـفين جعلا الشيء مفتقراً بل الأشياء مفتقرة إلى خالقها، لازم لها، لا يحتاج إلى علة، كـما أن غنـى الـرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالغنى إلى علة، وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر إلى علـة، بل هو فقير لذاته، لا تكون ذاته إلا فقيرة فقراً لازماً لها لا يستغني إلا بـالله. شرح حـديث النـزول ص١٣٦-١٣٧ .

هذا ما تيسَّر لي دراسته في صفة القرب لله ﷻ عند أهل السنة والجماعة وعند المخالفين لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

ومن الفلاسفة كأرسطو وأتباعه من يوافق المعتزلة والجهمية على نفي الصفات، ومن ضمنها الصفات الاختيارية، فليس لله ﷻ صفة ثبوتية تقوم به عندهم، ولا يفعل شيئاً باختياره ألبتة. ينظر: إغاثة اللهفان ٢/ ١٩١، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٢ .

الخاتمة

أبـرز نتائـج البحـث

١- يعدُّ العلم بأسماء الله الحسنى وصـفاته العُـلى مـن أشرف العلـوم وأنفعها للعباد.

٢- لأهل السنة قواعد محكمة في باب الصفات، وقد توسـطوا في هـذا البـاب بين المبتدعة.

٣- الله ﷻ قريب مـن بعـض عبـاده قربـاً خاصـاً، كـما يليـق بجلالـه وعظمته، مع استوائه على عرشه، وكونـه بائنـاً مـن خلـقه. وقـرب الله لا يماثل بأي حال من الأحوال قرب العباد .

٤- ليس كل قرب ورد في النصوص الشرعية يفسّر بالقرب الحقيقي، بل قد يكون المراد من سياق بعض النصوص قرب الملائكة.

٥- ليس في القرآن ولا في الـسنة قـرب عـام لله ﷻ مـن كـل مخلـوق، وليس في النـصوص أيـضاً قـرب ذات الله مـن العبـاد، لا خـصوصاً ولا عموماً.

٦- القرب لله ثلاثة أنواع : قرب من الـداعي بالإجابـة، وقـرب مـن العابد بالإثابة، وقرب حقيقي من بعض خلقه ممن اختصّه الله مـن بعـض عباده.

٧- دلَّ على إثبات صفة القرب لله أدلة من القرآن، منها ما هو صريح في إثبات هذه الصفة، ومنها أدلة، استنبط بعض العلماء منها إثبات صفة القرب. وجاء إثبات صفة القرب في السنة النبوية، وفي كلام بعض الصحابة رضي الله عنهم وكبار التابعين وأئمة أهل السنة والجماعة.

٨- اختلف العلماء في آية ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ والذي يترجح أن المراد قرب الملائكة .

٩- لصفة القرب علاقة بكثير من الصفات، فقرب الله لا ينافي فوقيته وعلوَّه، فالله عليّ في دنوه، قريب في علوِّه. وهو تعالى مع قربه من عباده مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

والله ﷻ يوصف بالمعية، وهي خاصة وعامة، بينما يوصف بالقرب الخاص لا العام، فالمعية أعم والقرب أخص.

وكذلك يوصف الله بالنزول، ونزول الله يتضمن قربه، ولكن هناك فرق بين النزول والقرب.

١٠- يثمر الإيمان بصفة القرب في قلب العبد آثاراً جليلة، منها اعتقاد العبد علو الله، وبينونته من خلقه، واستواءه على عرشه، ونزوله ومعيته، ونحو ذلك من الصفات. ومنها التعبُّد باسم القريب، ومنها عبودية الدعاء، ومنها العلم بمراقبة الله للعبد باستشعار قربه، وغير ذلك من الآثار العظيمة النافعة.

١١- ضلَّ المبتدعة في صفة القرب، ومجمل بدعهم في الآتي :

أ- من يقول: إنّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، فينفون العلو والفوقية، وهو قول الجهمية والمعطلة.

ب- من يقول: إنّ الله بذاته في كل مكان، ويحتجون بنصوص قرب الله ومعيّته على ذلك، وهم الحلولية وبعض المتصوفة.

جـ- من يقول: الله بذاته فوق العرش، وهو بذاته، في كل مكان، وهو قول بعض المتكلمين والمتصوفة.

د - من يؤول قرب الله بالمنزلة والمكان والدرجة، أو بالرحمة والإنعام، أو القدرة والسلطان، ونحو ذلك، وهم الأشاعرة، ومن وافقهم.

ولهم شبهات ساقطة لتأييد مزاعمهم، مثل شبهة التجسيم، والجهة، والقول أن معنى هذه الصفة مجاز، وليس حقيقة، وبعض الشبه العقلية الباطلة.

فهرس المراجع والمصادر

١- الإبانة، للأشعري، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٣، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. و/ أخرى تحقيق فوقية حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار، ط١، ١٣٩٧هـ.

٢- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى، تحقيق محمد الحمود، مكتبة دار الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣- إبكار الأفكار، للآمدي. مخطوط من دار الكتب المصرية رقم ١٦٠٣، علم كلام.

٤- إثبات الحد لله، للدشتي، مخطوط مصور عن الظاهرية رقم ٣٨٠٤.

٥- إثبات صفة العلو، لابن قدامة. تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية بالكويت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦- إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية، لحمود التويجري. مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٧- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم. تحقيق د. عواد المعتق. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨- إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية، مجموع لبعض مشائخ الدعوة، جمع وتخريج عبد العزيز عبد الله الزير. دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٩- أحكام القرآن، لابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

١٠- الأربعين في أصول الدين، للرازي. دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٥٣هـ.

١١- الأربعين في صفات رب العالمين، للذهبي. تحقيق عبد القادر صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢- أساس التقديس، للرازي. مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م، ط. أخرى، تحقيق أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣- الاستقامة، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٤- الأسماء والصفات، للبيهقي. تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٥- الأصول الخمسة، بشرح القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

١٦- أصول السنة، لابن أبي زمنين. تحقيق عبد الله محمد البخاري، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ومعه المرشد الأمين، لطه عبد الرؤوف سعد، ومصطفى الهواري. نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٨- أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري، للخطابي. تحقيق د. محمد بن سعد آل سعود، ط. جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٩- الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.

٢٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم. المكتبة الثقافية، بيروت د.ت.

٢١- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي الكرمي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦٣هـ- ١٩٨٥م.

٢٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض. تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٣- الإمام الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف، محمد أبو رحيم. دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٤- بحر الكلام، للنسفي. دراسة وتعليق ولي الدين الفرفور. مكتبة دار الفرفور دمشق، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٥- البداية والنهاية، لابن كثير. تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

٢٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي. المكتبة السلفية، المدينة، د.ت.

٢٩- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) المطبعة الحسينية المصرية، على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه، ط١، د.ت.

٣٠- تأويلات أهل السنة، للماتريدي، تحقيق محمد مستفيض الرحمن، إشراف جاسم محمد الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٣١- التبصير في الدين، للأسفراييني. تعليق محمد زاهد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م .

٣٢- التدمرية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد السعوي، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ .

٣٣- تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٤- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، مصر، توزيع مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.

٣٥- تفسير ابن بدران (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار) تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٣٦- تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق مجموعة محققين. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٣٧- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م .

٣٨- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت .

٣٩- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) تقديم زهير الشاويش. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٤٠- تفسير الرازي (التفسير الكبير) المطبعة البهية المصرية، ط١، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م .

٤١- تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن) تحقيق محمد زهري النجار، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

٤٢- تفسير السيوطي (الدر المنثور) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٤٣- تفسير الشوكاني (فتح القدير) تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٤- تفسير الطبري (جامع البيان) تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٥- تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٤٧- تفسير العز بن عبد السلام. تحقيق د. عبد الله الوهيبي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الإحساء وليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.

٤٨- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م .

٤٩- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

٥٠- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

٥١- تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م. ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٥٢- تفسير الكلبي الغرناطي (التسهيل لعلوم التنزيل) تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض. مطبعة حسان. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م .

٥٣- تفسير الماوردي (النكت والعيون) تحقيق خضر محمد خضر، مراجعة عبد الستار أبو غدة، مطابع المقهوي، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٥٤- تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٥٥- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، ط٢، د.ت.

٥٦- تفسير النسائي، تحقيق صبري الشافعي وسيد عباس. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٠٠هـ- ١٩٩٠م .

٥٧- تفسير هميان (الزاد إلى دار المعاد) لأطفيش، مطابع العرب، نشر وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٨٠م.

٥٨- تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) تحقيق صفوان الداوودي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٩- التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد الفلاح، وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م وطبعة أخرى بتحقيق أسامة إبراهيم، نشر الفاروق الحديثة بالقاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٦٠- التهجد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا، تحقيق مصلح الحارثي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

٦١- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٢٥هـ. ط. أخرى عناية إبراهيم الزيبق وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

٦٢- التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ .

٦٣- التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته، لابن منده، تحقيق د. علي محمد فقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

٦٤- جامع الرسائل، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٦٥- جامع العلوم والحكم، لابن رجب. تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٦- جامع المسائل، لابن تيمية. تحقيق محمد عزير شمس، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٧- جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، للنووي. تحقيق أحمد الدمياطي، مكتبة الأنصار، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.

٦٨- الحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني. تحقيق محمد ربيع المدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٦٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧٠- الحكم، لابن عطا الله بشرح الشرنوبى. ضبطه وعلق عليه عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٧١- حلية الأولياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٧٢- الحموية، لابن تيمية. رسالة ماجستير، تحقيق د. حمد بن عبد المحسن التويجري، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤١٢هـ.

٧٣- الخوارج، د. ناصر العقل. دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٤- دراسات في التصوف، للشيخ إحسان إلهي ظهير. نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٥- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م.

٧٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٧٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر. تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م، مطبعة المدني.

٧٨- الدعاء للطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٩- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لابن الجوزي. تحقيق وتعليق حسن السقاف، دار الإمام النووي، عمان، الأردن، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨٠- دقائق التفسير، لابن تيمية. لمحمد السيد الجليند، مكتبة دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٨١- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب. دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٨٢- الرد على الجهمية، لأحمد بن حنبل. تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨٣- الرد على الجهمية، للدارمي. ضمن عقائد السلف جمع النشار والطالبي، مكتبة الآثار السلفية، ١٩٧١م.

٨٤- روح البيان، إسماعيل حقي البرسوي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٨٥- الروح، لابـن القـيم. دار الرشـد للنـشر والتوزيـع، الريـاض، د.ت.

٨٦- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيـد الفيـاض. دار الوطن، الرياض، ط٣، ١٤١٤هـ.

٨٧- زاد المعاد في هـدي خـير العبـاد، لابـن القـيم، تحقيـق شـعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٨٨- الزهد، لهناد بن الـسري، تحقيـق عبـد الـرحمن الفريـوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٨٩- سلك الدرر، للمرادي. القاهرة، المطبعـة الميريـة، ١٣٠١هــ- ١٨٨٣م.

٩٠- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيـي الـدين عبـد الحميـد، المكتبـة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٩١- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩٢- سـنن الـدارمي، تحقيـق عبـد الله هاشـم المـدني، نـشر حـديث أكـادمي، باكـستان، توزيـع الرئاسـة العامـة لإدارة البحـوث العلميـة والإفتاء. الرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩٣- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٩٤- سير أعلام النبلاء، للذهبي. تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٩٥- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان. تصحيح السيد عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٩٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

٩٧- شرح أصول الاعتقاد، للالكائي. تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ .

٩٨- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني. تقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٩٩- شرح حديث النزول، لابن تيمية. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

١٠٠- شرح عقيدة أهل السنة على مذهب الإمام مالك. د. محمد الخميس، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠٢- شرح العقيدة الواسطية، للهراس. تعليق الشيخ محمد بن عثيمين، عناية علوي السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الظهران، ط٥، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٠٣- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان. دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٠٤- شرح الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة، للماتريدي. دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، ط٢، ١٣٦٥هـ.

١٠٥- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ الغنيمان. مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ ابن عثيمين. مطبوع على الكمبيوتر على هيئة مذكرة .

١٠٧- شرح الكرماني، للبخاري (الكواكب الدراري) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٠٨- شرح لامية ابن تيمية، للمرداوي (اللآلئ البهية) مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

١٠٩- شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١١٠- شرح صحيح مسلم، للنووي، إشراف حسن قطب. دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١١١- شفاء العليل، لابن القيم. تحرير الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

١١٢- الشفا، لعياض بشرح ملا علي قاري، تحقيق حسنين مخلوف، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

١١٣- الصحاح، للجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١١٤- صحيح البخاري مع فتح الباري، لابن حجر. (انظر فتح الباري).

١١٥- صحيح سنن الترمذي، للألباني، بتكليف من مكتب التربية العربية لدول الخليج العربي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١٦- صحيح ابن حبان، مع الإحسان، لابـن بلبـان، تحقيـق شـعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١٧- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمـي، المكتـب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

١١٨- صحيح مـسلم، تحقيـق وتعليـق موسـى لاشـين وأحمـد عمـر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنـشر، بـيروت، ط١، ١٤٠٧هــ- ١٩٨٧م.

١١٩- صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٢٠- صـفة النـزول الإلهـي ورد الـشبهات حولهـا، لعبـد القـادر الغامدي، دار البيان الحديثة، الطائف، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢١- طبقات الحنابلة، لابـن أبي يعـلى، دار المعرفـة، بـيروت، د.ت، مصورة من الطبعة التي صـححها الـشيخ محمـد حامـد الفقـي. مطبعـة السنة المحمدية، القاهرة.

١٢٢- طبقات السبكي (طبقات الشافعية الكـبرى) تحقيـق د. محمـود الطناحي ود. عبد الفتاح الحلو. هجر للطباعـة والنـشر، القـاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٢٣- الطبقات الكبرى، للشعراني. المطبعة العـامرة الـشرقية، مـصر، ١٣١٥هـ.

١٢٤- طبقات المفسرين، للداودي. تحقيـق عـلي محمـد عمـر. مكتبـة وهبة، مصر، مطبعة الاستقلال الكبرى. ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

١٢٥- طريق الهجرتين، لابن القيم. تحقيق عمر محمود أبـو عمـر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٦- العبر في خبر مـن غـبر، للـذهبي. تحقيـق فـؤاد سـيد، سلـسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١م.

١٢٧- عرائس المجالس، للثعلبي. دار إحياء الكتـب العربيـة، مطبعـة عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت.

١٢٨- العظمــة، لأبي الــشيخ، تحقيــق رضــا الله المبــاركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٢٩- عقائد السلف، جمع النشار والطـالبي، مكتبـة الآثـار الـسلفية، ١٩٧١م.

١٣٠- عقيدة الحلول: عرض ونقض، د. محمد العلي، بحـث مكتـوب على الكمبيوتر.

١٣١- العقيـدة الـسلفية في كـلام رب البريـة، عبـد الله بـن يوسـف الجديع. المكتبة السلفية، الكويت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٢- العلو للذهبي، باختصار الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٣٣- علو الله على خلقه، موسى الدويش. عالم الكتب، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٣٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لابن السمين. تحقيق عبد السلام التونجي الحلبي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، للعيني. دار المنار، بير وت، د.ت.

١٣٦- العين، للخليل بن أحمد. تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وتصحيح أسعد الطيب. انتشارات أسوة، مؤسسة الميلاد، قم، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣٧- غاية المرام في علم الكلام، للآمدي. تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

١٣٨- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية. تقديم حسين مخلوف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

١٣٩- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد الدويش. دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر. تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وتصحيح محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

١٤١- فتح الباري، لابن رجب الحنبلي. تحقيق مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤٢- الفتوحات المكية، لابن عربي، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٣٢٩هـ.

١٤٣- الفرق بين الفرق، للبغدادي. اعتنى به إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٤٤- فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب. تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، ١٤١٠هـ.

١٤٥- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، مطبعة الصحابة الإسلامية، الكويت، مكتبة ابن تيمية بالكويت، ط٢، د.ت.

١٤٦- الفهرست، لابن النديم، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، المكتبة الرحمانية بمصر، د.ت.

١٤٧- فوات الوفيات، للكتبي. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٤٨- الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حمد بن معمر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٤٩- القاموس المحيط، للفيروزآبادي. تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٥٠- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لصديق حسن خان. تحقيق د. عصام القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٥١- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن عثيمين. نشر وتوزيع مكتبة وتسجيلات الكوثر، ١٤٠٦هـ.

١٥٢- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٥٣- الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري. تحقيق محمد الصادق القمحاوي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٢- ١٩٧٢م.

١٥٤- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي. تصحيح محمد وجيه، ط. أخرى تحقيق لطفي عبد البديع وعبد المنعم حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

١٥٥- الكليات، للكفوي. تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥٦- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للسلمان. مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

١٥٧- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي. تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ت.

١٥٨- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للغزي. تحقيق جبرائيل جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

١٥٩- لسان العرب، لابن منظور، مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، مصر، د.ت.

١٦٠- لطائف المنن في مناقب أبي العباس، لابن عطاء الله السكندري. تحقيق خالد العك، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦١- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة. بشرح العلامة ابن عثيمين، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٦٢- لوائح الأنوار السنية، للسفاريني. تحقيق عبد الله محمد البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٦٣- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني. دار الخاني بالرياض للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٦٤- الماتريدية، دراسة وتقويم، لأحمد الحربي. دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

١٦٥- الماتريدية، وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني. مكتبة الصديق، الطائف، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٦٦- المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي. مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٦٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٦٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ ابن باز، جمع وإشراف محمد الشويعر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٦٩- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧٠- مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٧١- المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق وجمع الحسن بن أحمد وعمر عربي. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.

١٧٢- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، طبعة خالية عن الجهة الطابعة وتاريخ النشر.

١٧٣- المختصر في أصول الدين، لعبد الجبار، ضمن رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، طبعة دار الهلال، د.ت.

١٧٤- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، والمختصر للموصلي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٧٥- مختصر طبقات الحنابلة، لابن شطي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٧٦- مدارج السالكين، لابن القيم. تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

١٧٧- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، لإبراهيم البريكان. دار ابن عفان، القاهرة، ط٥، ١٤١٨هـ.

١٧٨- مـروج الـذهب، للمـسعودي. فهرسـة يوسـف داغـر، دار الأندلسي، بيروت، د.ت.

١٧٩- المستدرك على الصحيحين، للحاكم. دراسة وتحقيـق مـصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٨٠- مسند الإمام أحمد. تحقيـق مجموعـة محققـين بمؤسـسة الرسـالة والمشرف العام د. عبد الله التركي. ط١، ١٤١٣هـ.

١٨١- مسند البزار (البحر الزخار) تحقيـق محفـوظ الـرحمن زيـن الله، مؤسسة علوم القرآن، بـيروت، مكتبـة العلـوم والحكـم، المدينـة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٨٢- مشكل الحديث، لابن فورك. تحقيق موسى محمد عـلي، مطبعـة حسان، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

١٨٣- المصادر العامة للتلقـي عنـد الـصوفية، صـادق سـليم. مكتبـة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

١٨٤- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسني، لمحمد خليفـة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٨٥- معجـم الطـبراني الأوسـط، تحقيـق محمـود الطحـان، مكتبـة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٨٦- معجم الطبراني الصغير، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ودار النصر بالقاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

١٨٧- معجم الطبراني الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، بإشراف وزارة الأوقاف العراقية.

١٨٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٨٩- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ت.

١٩٠- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي. تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير، دمشق. ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٩١- مقالات الإسلاميين، للأشعري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.

١٩٢- الملل والنحل، للشهرستاني. تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٩٣- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي. تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٩٤- منع جواز المجاز، للشنقيطي. مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، دار عالم الفوائد، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٩٥- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية. تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود. مصورة عنها بالمغرب ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٩٦- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي. تحقيق حلمي فودة، دار الفكر، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

١٩٧- منهج الشوكاني في العقيدة، عبد الله نومسوك. مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٩٨- منهج ابن حجر في العقيدة من خلال فتح الباري، محمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

١٩٩- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، خالد عبد اللطيف نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٠٠- المؤتلف والمختلف، للدارقطني. تحقيق موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر التابعة للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣، ١٤١٨هـ.

٢٠٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن بن صالح الحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٣- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٧٧م.

٢٠٤- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد، للغزي. تحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٠٥- النعوت، للنسائي، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠٦- نقض أساس التقديس، لابن تيمية (بيان تلبيس الجهمية) مخطوط جامعة الملك سعود رقم ٢٥٩٠ وطبع أخيراً كاملاً.

٢٠٧- نقض عثمان بن سعيد الدارمي علي المريسي. تحقيق منصور السماري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

٢٠٨- النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية. للشيخ علي الحواس، مطابع العزيزية للأوفست، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٠٩- هدية العارفين، للبغدادي. دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة أستنبول ١٩٥١م.

٢١٠- الوافي بالوفيات، للصفدي. اعتناء هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، ط٢، ١٩٦٢م.

٢١١- وفيات الأعيان، لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

فهرس الموضوعات